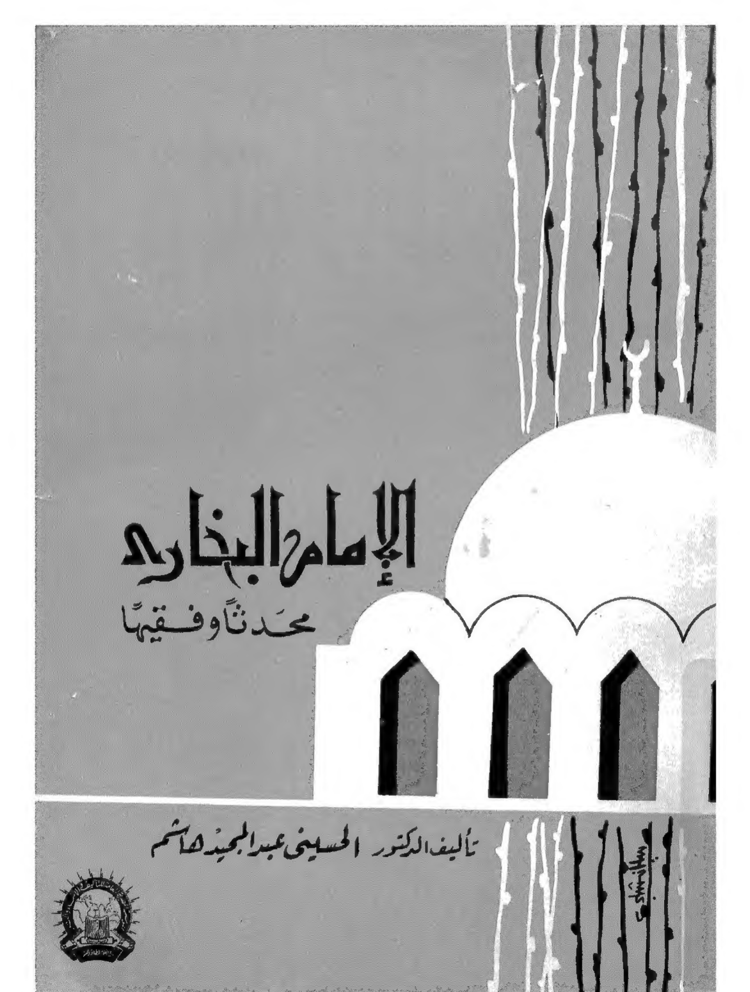

الإمام البخاري
محدثاً وفقيهاً
تأليف الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم

الإمام البخاري محدثاً وفقيهاً

تأليف

الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم



الناشر
الدار القومية للطباعة والنشر
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين الذى أرسله الله الى الناس كافة شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ·

ومكن لرسالته الخلود بوحى يتلى وهو القرآن الكريم وبوحى مبين ومفصل للكتاب الخالد وهو السنة النبوية وفى كلتا الحالين أمده الله بالعناية وعصمه من اتباع الهوى قال تعالى : « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى » ·

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين ·

أما بعد ..

فأقدم الى العالم الاسلامى هذا الكتاب « الأمام البخارى محدثا وفقيها » بدأته بمقدمة اجمالية عن مكانة السنة فى الاسلام .. وعن تاريخ تدوين السنة الى عصر البخارى ثم بدراسة نشأة الامام البخارى ومنهجه فى حياته العلمية وذكرت بعض شيوخة الاعلام كنماذج لمصادر ثقافته النقية ، ثم بمنهجه فى حياته العامة حتى أكون على علم بمكانته التى لها أثرها فى القاء الأضواء الكاشفة لخطواته العلمية ثم ، كتبت عن منهجه فى جامعه الصحيح . ولكى أبين مدى تأثر منهجه بالسابقين وأحدد مميزاته ، قارنت بين كتابه وبين أعظم كتاب ألف فى القرن الثانى . « موطأ الأمام مالك رضى الله عنه » ولبيان اثر منهجه فيمن

بعده قارنت بينه وبين أعظم كتاب ألف بعد كتاب البخارى وهو الجامع الصحيح للامام مسلم بن الحجاج رضى الله عنه .

ثم كتبت عن اجتهاد البخارى وفقهه .

ثم عن النقد القديم فى صحيحه وبينت قيمته . ثم النقد الحديث وبينت قيمة موازينه ومقاييسه .

ثم قارنت بين منهج المحدثين والبخارى ، وبين المنهج التاريخى الأوربى الحديث .

ثم تعرضت لمؤلفاته الموجودة بما يؤكد قوته العلمية فى معرفة تاريخ الرواة حيث أن لها الصلة الوثيقة بأحاديثه والله ولى التوفيق .

المقدمة

مكانة السنة فى الدين الإسلامى

اصطفى الله سبحانه وتعالى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم . وأعده اعدادا كاملا ليتحمل أسمى رسالة يعطر بأريجها الدنيا . تزكية للنفوس وتطهيرا للقلوب وتثبيتا للعقيدة الصحيحة وسيرا نحو النور فى الطريق المستقيم فى ميدان العقيدة والشريعة .

فأنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين(١) » .

وأشرق ذلك الكتاب المبين يحمل فى نفسه دليل صدقه ذاتيا وهو الدليل الخالد على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل ما جاء به ، وكان المعجزة الكبرى الذى تحدى الانس والجن « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (٢) » .

وعرف أرباب الفصاحة والبلاغة حلاوته وطلاوته وبلاغته وفصاحته وأيقنوا أنه ليس من كلام البشر وأن الذى جاء به انما هو رسول رب العالمين . وحمل القرآن الأسس الكاملة للرسالة العامة الخالدة . « قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا (٣) » .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢ .
(٢) الاسراء الآية ٨٨ .
(٣) الاعراف الآية ١٥٨ .

وأمره الله بتبليغه :

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعـل فمـا بلغت رسالته والله يعصمك من النـاس ان اللـه لا يهـدى القـوم الكافرين (١) »

ولكن هل كل العقول مستعدة لفهم كل ما جاء به القرآن ؟.

واذا فهمته فهل من سبيل الى تفصيل اجماله وبيان ابهامه ؟ اذن لابد من البيان والتفصيل والتوضيح فأمر الله نبيه فى كتابه ان يبين للناس ما نزل اليهم بسنته .

قال تعالى : « وأنزلنا اليـك الذكر لتبـين للنـاس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون (٢) » . « وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (٣) » .

وتكفل الله بعصمة الرسول وامداده بالوحى وعصـمته عن الخطأ والهوى فى كل ما يأتى به من قرآن وسنة فيها بيان للقرآن أو تشريع مستقل « وما ينطق عن الهـوى ان هو الا وحى يوحى علمه شـديد القوى (٤) » .

« فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم أن علينا بيانه (٥) » .

ومهد له الطريق وعبده لتذليل مهمته فأمر الناس بطاعة الرسـول ونص فى قرآنه على أنها طاعة لله كما نص على أنه لا خيرة فى الأمر بعد كلام الرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى : « من يطع الرسـول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا (٦) » . وقال تعالى : « يأيها الذين آمنـوا أطيعـوا الله ورسـوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون (٧) » . وقال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك

---

١ ـ المائدة الآية ٦٧ .
٢ ـ سورة النحل الآية ٤٤ .
٣ ـ النحل الآية ٦٤ .
٤ ـ النجم الآية ٣ ، ٤ ، ٥ .
٥ ـ سورة القيامة الآية ١٨ ، ١٩ .
٦ ـ سورة النساء الآية ٨٠ .
٧ ـ الانفال الآية ٢٠ .

فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (١) » .

قال ابن القيم (٢) : أقسم سبحانه وتعالى بنفسه على نفى الايمان عن العباد حتى يحكموا رسوله فى كل ما شجر بينهم من الدقيق والجلى ولم يكتف فى ايمانهم بهذا التحكيم بمجرده حتى ينتفى عن صدورهم الحرج والضيق من قضائه وحكمه ولم يكتف منهم أيضا بذلك حتى يسلموا تسليما وينقادوا انقيادا . أ ، هـ .

وقال الامام الشافعى (٣) : نزلت هذه الآية فيما بلغنا والله أعلم فى رجل خاصم الزبير فى أرض فقضى النبى صلى الله عليه وسلم بها للزبير وهذا القضاء سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حكم منصوص فى القرآن ا ، هـ .

فكل ما جاء به الرسول وأثر عنه من السنة فاتباعه انما هو واجب لصريح أمر الله فى قرآنه باتباعه وهو بالتالى اتباع لله وقرآنه وهذا صريح فيما تقدم وفى قوله تعالى : « (٤) وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » . وأخبر تعالى ان الرسول أوتى القرآن والحكمة وهما مصدرا التشريع فقال : « (٥) لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » وذهب جمهور العلماء والمحققين بأن الحكمة هى السنة وجزم بهذا الامام الشافعى لتغايرهما بالعطف وهى فى مقام المنة ولم يوجب علينا الا اتباع الرسول فلا يمكن أن تكون شيئا آخر غير السنة . « من يطع الرسول فقد أطاع الله (٦) » .

وحب الله فى اتباع الرسول وسنته .

« قل (٧) إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » .

---

١ ـ النساء الآية ٦٥ .
٢ ـ اعلام الموقعين جـ ١ ص ٥٧ لابن قتيبه
٣ ـ الرسالة ص ٨٣ للشافعى .
٤ ـ سورة الحشرة الآية ٧ .
٥ ـ سورة آل عمران الآية ١٦٤ .
٦ ـ سورة النساء الآية ٨٠ .
٧ ـ سورة آل عمران الآية ٣١ .

فالقرآن هو الأصل الأول فى الدين الداعى الى السنة ، والسنة هى الأصل الثانى فى الدين ، وهى المبينة للقرآن المفصلة لأجماله والمستقلة بالتشريع ، فيها يعرف مثلا أوقات الصلاة وعدد ركعاتها وسـجداتها وما يقيمها أو يبطلها مما لم يفصله القرآن،بل أجمله فى الأمر بالصلاة. كما انفردت السنة ببعض الأحكام مما لم يذكره القرآن مثل تحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها ، وتحريم الحمر الأهلية وكل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير ، الا ان مثل هذه الأمور يمكن ان يقال بأنها ليست مستقلة استقلالا تاما عن القرآن حيث ان الأخذ بها منـدرج تحت أمر القرآن باتباع الرسول وسنته ، وأخرج أبو داود والترمذى عن المقدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك رجل منكم متكئا على اريكته يحدث بحديث عنى فيقـول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ، ألا وان ماحرم رسول الله مثل ما حـرم الله . زاد أبو داود ــ الا انى اوتيت الكتاب ومثله معه » والمماثلة للكتاب هى السنة .

ومن رياض السنة تفجرت ينابيع التفسير بالمـأثور ، ومن رياض القرآن والسنة تكونت ثروة الفقه الاسلامى ، وهما أصـل مصـادر التشريع ، وهما ميزان العدل الالهى الصادق ، وعلى هديهما يستطيع المصلحون فى كل وقت ان يقيسوا أعمال الأفراد والجماعات والأمم ، ولا يكون الاعتدال الكامل فى الأخلاق والمعاملات والعبادات الا بالكتاب والسنة .

وقد توفى الرسول بعد أن ظل يعلم الناس بمكة والمدينة مركزى أشعاع الدعوة الى الدنيا ثلاثا وعشرين سنة يقيم للناس معالم الدين على منهاج الحق بالكتاب والسنة ، وتوفى وهو مطمئن الى أنه تركهما لنا ميزان حق وصدق لن نضل ما تمسكنا بهما ، قال صلى الله عليـه وسلم : « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى ــ كتاب الله وسنتى » .



مسجد الامام البخاري في قرية خرتنك قرب سمرقند

جمع السنة وتدوينها

من عصر الصحابة إلى عصر البخاري

بعث الله فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وببعثة الرسول وتلاوته الكتاب والحكمة النبوية وهى السنة زكت نفوس وطهرت قلوب وعمرت صدور بالايمان فأقبلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعلمون الكتاب والحكمة وأزكى فيهم ذلك الاقبال قدوة حسنة متمثلة فى الرسول وبلاغة نادرة متمثلة فى الكتاب والسنة وذوق عربى أصيل فى الصحابة حبب اليهم الكتاب والحكمة ، وذاكرة واعية ضربوا بها المثل الأعلى فى قوة الحفظ اسعفتهم بتسجيل ما يلقى عليهم من الرسول ووضعوه فى صدورهم الأمينة التى طهرها الاسلام .

والقرآن يدفعهم ويوجههم الى العناية بالسنة واتباع الرسول ، والرسول يفسر ويشرع بالسنة وهم يحفظون . ومعلوم ان القرآن نزل فى خلال ثلاثة وعشرين عاما فكان الرسول يبلغ الآيات ويفسرها وتطبق عمليا وفى ذلك يقول أبو عبد الرحمن السلمى (١) : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود ـ انهم كانوا اذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ... قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا ونهج النبى معهم المنهج التربوى النبوى فكان يتخولهم بالموعظة كراهة السآمة وفى ذلك تثبيت للمعلومات .

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٤ .

روى البخارى بالسند المتصل عن ابن مسعود قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهة السآمة علينا (١) » .

والقرآن يدعوهم الى العلم « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » والسنة تدعوهم الى العلم روى البخار بالسند المتصل قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيرا يفهمه » وانما العلم بالتعلم «وفى رواية» من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، « ويأمرهم النبى بالتبليغ ويقول لهم بعد المقالة بعض الأحيان .

« هذا فليبلغ الشاهد الغائب فان الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه (٣) ودعا لمن أدى مقالته كما حفظها فقال : نضر الله امرءا سمع مقالتى فحفظها ووعاها حتى يبلغها غيره « وقد التزموا أوامر رسولهم وتفانوا فى الحرص على تبليغ العلم روى البخارى قال أبو ذر رضى‌الله عنه « لو وضعتم الصمصامة « السيف » على هذه وأشار الى قفاه ثم ظننت انى أنفذ كلمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان تجيزوا على « تقطعوا رأسى » لأنفذتها (٤) « وقال ابن عباس » : « كونوا ربانيين حكماء فقهاء ، ويقال الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره» وكان من عناية الصحابة بحديث النبى أنهم كان الواحد منهم اذا شغله عمل أرسل صاحبه الثقة ليخبره بما يقول الرسول فكانوا يتناوبون فى السماع ويبلغ الشاهد الغائب ويسأل الغائب الشاهد وسطروا السنة على صفحات قلوبهم ووعوا كل ما سمعوا وما شهدوا وحرصوا على نشره وتبليغه وتعاون ثقات المجتمع الاسلامى من الصحابة فى حياة الرسول وبعد وفاته على حراسة سنة نبيهم وهل يشق على الآلاف الثقات من الصحابة المخلصين حراسة تراث رجل واحد رأوا فيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة ؟ وعدتهم فى ذلك ايمان عميق بنبيهم وبسمو سنته وذاكرتهم الواعية التى فاقوا فيها جميع الأمم وشعورهم الفياض بأن

---

١ ـ صحيح البخارى ج ١ ص ٢٠ من كتاب العلم .
٢ ـ سورة الزمر الآية ٩ .
٣ ـ صحيح البخارى ج ١ ص ٢٠ من كتاب العلم .
٤ ـ صحيح البخارى ج ١ ص ٢٠ من كتاب العلم .

السنة هى سنة رسول رب العالمين . فلو تخصص عشرة من الصحابة وحفظ كل واحد منهم فى صدره ما يساوى كمية نصف القرآن الكريم الذى حفظوه لكانوا جديرين بحراستها فما بالك وقد جند لها آلاف الثقات الحفاظ أنفسهم ؟ .

هذا فضلا عن ان منهم من بدأ يكتب الحديث فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وان لم يكن التدوين عاما فقد كانت هناك صحائف خاصة . كان عبد الله بن عمرو رضى الله عنه كاتبا محسنا اشتهرت صحيفته التى دون فيها الحديث (بالصحيفة الصادقة) لأنه كتبها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة فهى أصدق ما يروى عنه ويقول عبد الله بن عمرو بن العاص لمجاهد هذه الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بينى وبينه أحد (١) وكانت عزيزة عليه للغاية حتى كان يقول ابن عمرو « ما يرغبنى فى الحياة الا الصادقة والوهط (٢) وكان لجابر بن عبد الله الانصارى صحيفة (٣) وكان لانس ابن مالك صحيفة كان يبرزها اذا اجتمع الناس (٤) واشتهر ابن عباس بطلب العلم ودأبه عليه وكان بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم يسأل الصحابة ويكتب عنهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا له كما فى صحيح البخارى فى باب العلم بالسند المتصل عن ابن عباس قال :

ضمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم علمه الكتاب وفى الكفاية (٥) اللهم علمه الحكمة وعلمه التأويل ولهمام بن منبه صحيفة وتسمى الصحيفة الصحيحة وهو أحد أعلام التابعين رواها عن أبى هريرة (٦) ويقول الأستاذ الندوى أن تأليف هذه الصحيفة يرجع الى أواسط القرن الأول ، لأن أبا هريرة توفى سنة ٥٨ هجرية وهى من أملاء

---

١ ــ المحدث الفاصل للرامهرمزى ــ تقييد العلم ص ٨٤ وجامع بيان العلم وفضله .
٢ ــ سنن الدارمى جـ ١ ص ١٢٧ والوهط أرض لعمرو بن العاص تصدق بها وولتها
٣ ــ جامع بيان العلم جـ ١ ص ٧٤ تدوين السنة ص ٢٤٨ .
٤ ــ تقييد العلم ص ٥
٥ ــ الكفاية ص ٢١٢ .
٦ ــ قال مؤلف السنة قبل التدوين ص ٣٥٦ قد وصلتنا صحيفة همام كاملة كما دونها عن أبى هريرة عثر عليها الدكتور محمد حميد الله فى مخطوطتين متماثلتين .

أبى هريرةويقررالأستاذ أبو الحسن الندوى (١) متفقا مع صاحب تدوين الحديث : العلامة مناظر أحسن الكيلانى (٢) رئيس القسم الدينى العلمى بالجامعة العثمانية بحيدر آباد بأنه اذا جمعت هذه الصحف والمجاميع وما أحتوت عليه من الأحاديث كونت العدد الأكبر من الأحاديث التى جمعت فى الجوامع والمسانيد والسنن فى القرن الثالث وهكذا يتحقق أن المجموع الكبير الأكبر من الأحاديث سبق تدوينه وتسجيله من غير نظام وترتيب فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وفى عصر الصحابة رضى الله عنهم وقد شاع فى الناس ـ حتى المثقفين والمؤلفين ـ ان الحديث لم يكتب ولم يسجل الا فى القرن الثالث الهجرى وأحسنهم حالا من يرى انه قد كتب ودون فى القرن الثانى وما نشأ هذا الغلط الا عن طريقتين .

الأولى : ان عامة المؤرخين يقتصرون على ذكر تدوين الحديث فى القرن الثانى ولا يعنون بذكر هذه الصحف والمجاميع التى كتبت فى القرن الأول لأن عامتها فقدت وضاعت مع أنها اندمجت وذابت فى المؤلفات المتأخرة .

الثانية : انهم لا يتصورون سعة هذه الصحف لكثرة الأحاديث الموجودة ويقول الكيلانى قد يتعجب الانسان من ضخامة عدد الأحاديث المروية فيقال ان احمد بن حنبل كان يحفظ أكثر من سبعمائة ألف حديث وكذلك يقال عن أبى زرعة ويروى عن الأمام البخارى أنه كان يحفظ مائتى ألف من الأحاديث الضعيفة ومائة ألف من الأحاديث الصحيحة ويروى عن مسلم أنه قال جمعت كتابى من ثلاثمائة ألف حديث ولا يعرف كثير من المتعلمين فضلا عن العامة أن الذى يكون هذا العدد الضخم هو كثرة المتابعات والشواهد فحديث (انما الأعمال بالنيات..)

---

١ ـ رجال الفكر والدعوة لابى الحسن الندوى ص ٨٢ وهو عضو المجمع العلمى العربى بدمشق ومن أعلام الهند .

٢ ـ تدوين الحديث للعلامة مناظر احسن الكيلانى « فى اللغة اردو » طبع المجلس العلمى بباكستان .

يروى من سبع مائة طريق فلو جردنا مجاميع الحديث من هذه المتابعات والشواهد لبقى عدد قليل من الأحاديث : وقد صرح الحاكم أبو عبد الله الذى يعتبر من المتسامحين المتوسعين أن الأحاديث التى فى الدرجة الأولى لا تبلغ عشرة آلاف .

ومعظم هذه الثروة الحديثيه قد كتبت ودونت بأقلام رواة العصر الأول ، وقد يزيد ما حفظ فى الكتب والدفاتر كتابة وتحريرا فى العصر النبوى وفى عصر الصحابة رضى الله عنهم على عشرة آلاف حديث اذا جمعت صحف ومجاميع أبى هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص وانس بن مالك وجابر بن عبد الله وعلى بن ابى طالب وابن عباس رضى الله عنهم فيمكن أن يقال ان ما ثبت من الأحاديث الصحاح واحتوت عليه مجاميعها ومسانيدها قد كتب ودون فى عصر النبوه وفى عصر الصحابة قبل ان يدون الموطأ والصحاح بكثير [1] اهـ. وهكذا تعاون الحفظ والتدوين على حفظ سنة النبى صلى الله عليه وسلم فى عصر الصحابة وعضوا عليها بالنواجز وعرفوا قدرها ، ولا نغفل ما حصل من أمر الوضع فى الحديث منذ سنة أربعين من الهجرة بعد وقوع الفتنه وحرب الأمام على ومعاوية والخلافات سياسية ومذهبية والحادية .

ولكن من الطبيعى ان ذلك لا يصدر الا عمن لا معرفة ولا عناية لهم بالسنة ولا ثقة للناس بهم ولا صحبة لهم حقيقية مع الرسول . ومن يحاول تقليد شيء لا علم له به يكون أمره مفضوحا واهيا وماذا يفعلون أمام التيار الجارف من الحرص على السنة وقد أحس الثقات بهم فحصروهم فى قوائم سوداء وحصروا معهم الضعفاء هى قوائم الكذابين والوضاعين والضعفاء . وحصروا أحاديثهم فى قوائم الموضوعات .

وقوبلت حركة الوضع الهزيلة من الذين لا عناية لهم بالسنة ولا معرفة لهم بها بحركة قوية جبارة من علماء السنة ووضعوا المقاييس الفريدة والمنهج القويم يساند ذلك الحق والالهام والذوق والملكة

---

(1) تدوين الحديث للعلامة مناظر أحسن الكيلانى فى اللغة اردو طبع المجلس العلمى بباكستان .

ومعرفة أبطال السنة وحرصهم عليها فالتزموا الاسناد يقول محمد بن سيرين عن ذلك : لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر الى أهل السنة فيأخذ حديثهم وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم (١) ويقول ابو العالية : « كنا نسمع الرواية بالبصرة عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمارضينا حتى رحلنا اليهم فسمعنا من أفواههم (٢) » ويقول عبد الله بن المبارك: الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء وعنه انه قال : بيننا وبين القوم القوائم يعنى الاسناد (٣) » ويقول سفيان الثورى : « لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ (٤) ورحلوا من أجل الحديث » ـ يقول سعيد بن المسيب : « ان كنت لأسير الليالى والايام فى طلب الحديث الواحد (٥) » ووضعوا قواعد الاسناد والمتن وقضوا على حركة الوضاعين » .

ولا يعارض كتابة الحديث فى عصر النبوة والصحابة ما روى مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تكتبوا عنى غير القرآن ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه وحدثوا ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار . فان ذلك كان فى بدء الدعوة حتى لا يختلط القرآن بالسنة ولم يستقر الاسلوب القرآنى بعد فى النفوس ، أو كان ذلك النهى بالنسبة لكتاب الوحى خاصة حتى يتفرغوا لمهمة القرآن ، أو النهى كان خاصا لكتابة الحديث مع القرآن فى صحيفة واحدة ، فأنه يدل على الكتابة ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال : لما فتح الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان الله حبس عن مكة الفيل

---

(١) مقدمة صحيح مسلم النووى جـ ١ ص ٨٤ .
(٢) المحدث الفاصل ص ٢٠ .
(٣) الجامع لاخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٦٨ .
(٤) الكامل لابن عدى جـ ٣ ص ٤ .
(٥) جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ٩٤ .

وسلط عليها رسوله والمؤمنين فقام أبو شاه « رجل من اليمن » فقال : اكتبوا لي يا رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتبوا لأبي شاه .. وما روى البخاري في كتاب العلم عن ابن عباس قال : لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه قال : ائتوني بكتاب اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده « الحديث » وهكذا كان عصر الصحابة الذين شهدوا الوحي والتنزيل واختارهم الله لصحبة نبيه وجعلهم أعلاما وقدوة ونفى عنهم الشك والكذب والريبة وسماهم عدول الأمة فقال عز ذكره في محكم كتابه : « وكذلك (١) جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » وفسر النبي صلى الله عليه وسلم وسطا — عدلا — (٢) فكانوا أئمة الهدى وحجج الدين ونقلة الكتاب والسنة والحراس عليها ومعهم التابعون اختارهم الله لاقامة دينه وفقهوا فيه فأخذوا السنة عن الصحابة . « والذين (٣) اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه » يقول ابن أبي حاتم (٤) : ندبهم الله عز وجل لاثبات دينه واقامة سنته وسبيله المستقيم . فلم يكن لاشتغالنا بالتمييز بينهم معنى اذ كنا لا نجد منهم الا اماما مبرزا — مقدما في الفضل والعلم وفي السنن واثباتها ولزوم الطريقة واحتذائها رحمة الله ومغفرته عليهم اجمعين — الا ما كان ممن الحق نفسه بهم ودسها بينهم ممن ليس يلحقهم ولا هو في مثل حالهم لا في فقه ولا حفظ ولا اتقان ولا تثبيت أ — هـ .

على انه قبل أن ينقضي عصر الصحابة أمر الخليفة العادل عمر ابن عبد العزيز بتدوين الحديث فكان التدوين الرسمي بأمر الخليفة على رأس المائة حينما رأى اتساع الفتوحات الاسلامية وانتشار الصحابة في الاقطار وموت اكثرهم .

روى البخاري في كتاب العلم من صحيحه . وكتب عمر ابن عبد العزيز الى أبي بكر بن حزم : انظر ما كان من حديث رسول

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٣ .
(٢) كما في صحيح البخاري من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .
(٣) سورة التوبة الآية ١٠٠ .
(٤) مقدمة الجرح والتعديل ص ٩ لابن ابي حاتم .

الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه . فأنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا تقبل الا حديث النبي صلى الله عليه وسلم ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم . فأن العلم لا يهلك حتى يكون سرا .

وابو بكر بن حزم عامله وقاضيه على المدينة :

وأوصاه (١) أن يكتب ما عند عمره بنت عبد الرحمن الأنصارى والقاسم بن محمد بن ابى بكر المتوفى (١٢٠) هـ .

وكذلك كتب الى عماله فى امهات المدن الاسلامية بجمع الحديث فقد اخرج ابو نعيم فى تاريخ اصبهان ان عمر بن عبد العزيز كتب الى أهل الآفاق : أنظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه . وامر خليفة للمسلمين كعمر بن عبد العزيز كفيل بأن يشعل الهمم ويصادف القبول فى النفوس المستعدة فتسرع للاستجابة لتنفيذ أمره على خير وجه وقد لبى الأمر الامام الكبير محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى المتوفى (١٢٤ هـ) وللزهرى مكانته وأمامته .

ثم شاع التدوين فى الجيل الذى يلى جيل الزهرى .

وكان أول من جمعه بمكة ابن جريج (١٥٠) وابن اسحاق (١٥١ هـ) ومالك (١٧٩) بالمدينة وسعيد بن أبى عروبة(١٥٦هـ)والربيع بن صبيح (١٦٠ هـ) وحماد بن سلمة (١٧٦) بالبصرة وبالكوفة سفيان الثورى (١٦١ هـ) وبالشام ابو عمرو الاوزاعى (١٥٦ هـ) وبواسط هشيم بن بشير (١٨٨ هـ) وشعبة بن الحجاج (١٦٠) وبخراسان ابن المبارك (١٨١ هـ) وباليمن معمر (١٥٣) وبالرى جرير (١٧٥ هـ) وبمصر عبد الله بن وهب (١٩٧) .

وهؤلاء كانوا فى عصر واحد لا يدرى ايهم اسبق فى التدوين . ومنهجهم فى التدوين جمع حديث رسول الله مختلطا بأقوال الصحابة والتابعين مع ضم الابواب بعضها الى بعض ثم تلاهم كثير من أهل

---

١ ـ فنون الحديث للخولى والسنة ومكانتها ص ١٢٢ للسباعى .

عصرهم نسجا على منوالهم الى ان رأى بعض الأئمة ان يفرد حديث النبى صلى الله عليه وسلم خاصة على رأس المائتين فى أوائل القرن الثالث فألفت المسانيد : ومنهج المسانيد ان يجمع احاديث كل صحابى على حدة وان تعدد الموضوع .

ومن هذه المسانيد مسند عبيد الله بن موسى العبسى الكوفى ومسند مسدد بن مسرهد البصرى واسد بن موسى الأموى ونعيم بن حماد الخزاعى .

ثم اقتفى الأئمة أثرهم كالامام أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وهما من أساتذة الامام البخارى وكان منهج هؤلاء مزج الصحيح وهو ما ثبت صحته بغيره .

ثم جاء أبو عبد الله البخارى ..



الباب الأول

نشأة الإمام البخاري ومنهجه في حياته العلمية

نشـــأة (١) أبى عبد الله البخارى

نسبه: هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن «بردزبه» (٢) الجعفى ولاء . البخارى مولدا شرفه الله جده المغيرة بالاسلام على يد اليمان الجعفى والى بخارى فانتمى اليه بولاء الاسلام وسرى منـه الى ذريته جيلا بعد جيل ومنهم أمامنا البخارى وبارك الله فى صلة المغيرة باليمان فكان حفيد اليمان عبد الله المسندى بن محمد بن جعفر بـن اليمان شيخا لحفيد المغيرة أمير المؤمنين فى الحديث ــ أبى عبد اللـه البخارى كما كان أحيد بن أبى جعفـر الجعفى والى بخارى راويـا لأبى عبد الله البخارى ومن هنا نعلم مدى العلاقة الطيبة بين بيت الولاة الأطهار العلماء ببخارى وبيت أبى عبد الله البخارى .

مولد البخارى واسرته

أراد الله لمدينة بخـــارى وهى من أعظم مدن ما وراء النهر « نهر جيحون » على بعد ثمانية أيام من سمرقند من بلاد فارس (٣) أن يرفع ذكرها ويخلد اسمها وضاء فولد بها أبو عبدالله محمدبن اسماعيل يوم الجمعة (٤) لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة

---

(١) تاريخ الخطيب البغدادى جـ ٢ ص ٦ ؛ طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكى جـ ٢ ص ٤ مقدمة فتح البارى لابن حجر جـ ٢ ص ١٦٣. مقدمة شرح البخارى للنووى جـ ١ ص ٤ ، تهذيب الاسماء واللغات للنووى جـ ١ ص ٦٧ ، تذكرة الحفاظ للذهبى جـ ٢ ص ١٧٢ سير أعلام النبلاء للذهبى جـ ٢ مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢١٩٥ لباب الانساب جـ ١ ص ٢٣١ تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ٤٧ .

(٢) « بردزبة » فارسى معناه بالعربية الزراع « الفلاح أو البستانى » .

(٣) وبخارى الآن تحت نفوذ الاتحاد السوفيتى بولاية ازبيكستان من المستعمرات الروسية فى آسيا الوسطى .

(٤) قال أبو يعلى الخليلى فى كتابه الارشاد على ما فى الوفيات ان ولادته كانت لاثنتى عشرة من شوال فى السنة المذكورة .

من الهجرة (١٩٤ هـ) فى بيت مبـارك عطره والده اسـماعيل بالعلم والتقوى فقد كان من العلماء العاملين والنبلاء الورعين، خرج اسماعيل من وطنه حاجا قبل سنة (١٧٩ هـ) وتقابل مع امام المدينة مالك بن أنس ورأى حماد بن زيد وصالح عبد الله بن المبارك بكلتا يديه [١] .

وحدث عن ابى معاوية بن صالح وجماعة وروى عنه أحمد بن حفص وغيره من العراقيين .

واذا كانت مكانة اسماعيل تسمو برواية الحديث وطلبه من منابعه الصافية منذ تتلمذ على أقطاب المحدثين وبتصدره شيخا محدثا يؤخذ عنه الحديث فأن هذا السمو يبلغ درجة عالية من الكمال حينما نعلم انه اتسم بأشرف الأوسمة اذ كان ثقة .. ترجم له ابن حبـان فى كتـاب الثقات كما ترجم له ولده [٢] فى التاريخ الكبير .

وهل الثقة الا لفظ موجز عميق الدلالة ؟.. يضـم فى دائرته أجل الصفات وأعظمها غريزية ومكتسبة من ذكاء لماح وحفظ تام الى عدالة كاملة وامانة عالية.وقد بلغ اسماعيل درجة فى الورع تدعو الى الاجلال والاكبار ، اذ كان يبتعد عن الشبهات . أنعم الله عليه بثـروة طائلة طهرها حتى من الشبهات واستثمرها فى الخيرات فكان قرير العين عند الممات روى عنه احمد بن حفص : قال دخلت عليه عند موته فقـال : لا أعلم فى جميع مالى درهما من شبهة فتصاغرت الى نفسى [٣] بعـد ذلك ، واستقبل منزل الحديث والتقوى والثراء العريض محمـد بن اسماعيل وقرت به عين والديه ــ طفلا صغيرا ثم ما لبث الوالد ان توفى وترك ابنه محمدا فى مرحلة الطفولة مع أمه التقيـة [٤] النابهة تحبوه بعطفها وتركز فيه آمالها .

---

١ ــ رواية من البخارى فى سير أعلام النبلاء ٢ ــ ٨ ص ٢٣٤ مخطوط .
٢ ــ تاريخ البخارى جـ ١ قسم ص ٣٤٢ ــ ٣٤٣ طبع الهند ١٣٧٠ هـ .
٣ ــ سير أعلام النبلاء ص ٢٣٤ وطبقات ابن السبكى الكبرى جـ ٢ ص ٢ وغيرها من المراجع المتقدمة .
٤ ــ انظر الخطيب البغدادى ٢ ــ ١٠ ذكرها غنجار فى تاريخ بخارى واللالكائى فى شرح

والى أى وجهة تتجه به غير نهج والده الذى ترك لها مع ثراء المال ثراء العلم يفوح اريجه فى ارجاء البيت مثلا تطبيقية زاكية كما تركه مسطورا فى كتبه الجامعة ذخيرة هادية .

فلتتجه به الى التعليم لينتفع بكتب والده ويسير على نهجه عله يحيى سيرته وذكره فالولد سر ابيه فوجهته الى الكتاب ليدرس مع اقرانه الكتابة والقراءة والقرآن الكريم والحديث الشريف .

نبوغه العلمى المبكر :

وما ان شب الوليد وبلغ العاشرة حتى ظهرت مخايل الذكاء والنجابة فيه بصورة واضحة نادرة فى هذا الوقت المبكر من سنى حياته فى المكتب سنة ٢٠٥ هـ ويسره الله الى ما خلق له .

فألهمه حفظ الحديث على حد تعبيره الدقيق يحدث محمد بن ابى حاتم الوراق النحوى قال : قلت لأبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى : كيف كان بدء أمرك فى طلب الحديث ؟.

قال : الهمت حفظ الحديث وانا فى الكتاب قال : كم اتى عليك اذ ذاك ؟ قال : عشر سنين أو أقل (١) .

ويلاحظ ان هذا النبوغ المبكر والنمو العلمى الجارف فى الحديث كان الصفة السائدة « على حد تعبير علماء النفس » التى برزت فى حياة البخارى منذ النشأة الاولى .. فأعيت الباحثين فى حياة البخارى عن التقديم لحياته العلمية بمتدمات ضافية فى تربيته وخلاله قبل اكتمال عوده وهو غلام على حد تعبير الداخلى حتى يجد حياته العلمية مشرقة فيه . تجبر الباحث على الاهتمام بها والسير فى مضمارها . مراحل متسلسلة مترابطة باهرة السابقة مقدمة للاحقة .

السنة من اصحاب الكرامات فى باب كرامة الاولياء دعت لابنها البخارى فرد الله عليه بصره بعد أن ذهب وفى البداية والنهاية جـ ١١ ص ٢٥ لابن كثير ذكر انه عمى فى صغره فرات والدته سيدنا ابراهيم عليه السلام فى المنام فقال لها : يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك أو لكثرة دعائك وفى طبقات الشافعية للسبكى جـ ٢ ص ٣ . فأصبح وقد رد الله عليه بصره .

١ ــ تاريخ بغداد جـ ٢ ص ٦ .

فهو حينما يبلغ سن الحادية عشرة تكبر همته فلا يسعها رحاب الكتاب فيطلب لها افقا أوسع وأرحب ، جغرافيته وطنه .

يتردد على آئمة الحديث اينما وجدوا فى دائرة وطنه لينهل من مواردهم حاملا عقلا نقادا وذاكرة واعية وخلقا كريما وعرف نفسه فاكتسب بذلك ثقة دفعته الى أن يقف وهو ملء السمع والبصر بقوته العلمية المبكرة يصحح ما يخطىء فيه استاذ من عمالقه الحديث وهو استاذه الداخلى ويدخل معه فى مناقشة علمية بريئة تهدف الى الحق وتنتهى بتسليم استاذه الداخلى له وكتابة ما ارشده البخارى الى تصحيحه . ويحدثنا البخارى رضى الله عنه عن هذه المرحلة : « ثم خرجت من الكتاب بعد العشر أختلف الى الداخلى وغيرهفقال يومافيما كان يقرأ على الناس : « سفيان عن أبى الزبير « المكى » عن ابراهيم «النخعى» فقلت له : يا ابا فلان ان ابا الزبير لم يروعنابراهيمفانتهرنى فقلت له : ارجع الى الاصل ان كان عندك . فدخل ونظر فيه ثم خرج فقال : كيف هو يا غلام ؟ فقلت : هو الزبير بن عدى عن ابراهيم فأخذ القلم منى واحكم كتابه فقال : صدقت فقال : له بعض اصحابه ابن كم كنت اذ رددت عليه ؟

فقال : ابن احدى عشرة (١) .

واستمر البخارى حركة دائبة فى تلقى الحديث من أهل بلده فسمع من محمد ابن سلام البيكندىوعبد الله بن محمد المسندى(٢)وأبراهيم بن الأشعث ومحمد بن يوسف البيكندى .

افادته من كتب والده

وتحققت امنية أمه فكانت كتب والده مربية له وعونا .اقبل عليها دراسة وتمحيصا ومراجعة يقول ابو بكر بن منير : سمعت محمد بن

---

١ ــ تاريخ بغداد جـ ٢ ص ٦ وغيره من المراجع السابقة . الطبقات الكبرى لابنالسبكى جـ ٢ ص ٤ .

٢ ــ الطبقات جـ ٢ ص ٢ .. تاريخ بغداد جـ ٢ ص ٦ .. وقيل المسندى لانه كانيطلب المسند من حداثته .

اســماعيل بن ابراهيم بن المغيرة الجعفي يقول : كنت عند أبي حفص احمد بن حفص اسمع كتاب الجامع ـ جامع سفيان ـ فى كتاب والدى فمر ابو حفص على حرف لم يكن عندى فراجعته فقال الثانية كذلك فراجعته الثانية فقال كذلك فراجعته الثالثة فسكت سويعة ثم قال:من هذا ؟.

قالوا:هذا محمدبن‌اسماعيل بن ابراهيم بن بردزبة فقال أبوحفص: هو كما قال احفظوا عنه فان هذا يوما يصير رجلا .

وظل يحفظ الكتب ويناقش اساتذته وتظهر عبقريته والهامه حتى امتلأت الأسماع بذكره وتعجب منه مشايخه .

الغلام العالم ومنهجه الدراسى

واصبح الغلام عالما فذا تهابه الشيوخ ويتندرون بذكره .. جمع ما عندهم جميعا من الأحاديث وعنى بالاسناد فعرف الرجال ومولدهم وتاريخ وفاتهم ومساكنهم وشيوخهم حتى أدرك حقيقة ارتباط الرجال بالأحوال والسند والمتن فأصبح لا يشتبه عليه شىء ، وبهذا فاضلوا بينه وبين شيوخه فقال (١) جعفر بن محمد المستغفرى فى تاريخ نسف وذكر البخارى لو جاز لى لفضلته على من بقى من مشايخه وروى عن‌شيخه محمد بن سلام البيكندى قوله فى محمد بن اسماعيل كلمــا دخل على هذا الصبى تحيرت والتبس على أمر الحديث ولا أزال خائفا (٢) » .

ويقول سليم بن مجاهد كنت عند محمد بن سلام البيكندى فقال: لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث فخـــرجت حتى لحقته فقلت له أنت تحفظ سبعين ألف حديث ؟

قال : نعم وأكثر ولا أجيئك بحديث عن الصحابة والتابعين الا عرفت مولد اكثرهم ووفاتهم ومساكنهم ولســت أروى حديثــا من حديث

---

١ ـ الطبقات جـ ٢ ص ٢ .

٢ ـ الطبقات الكبرى جـ ٢ ص ٨.

الصحابة والتابعين الاولى من ذلك أصل أحفظه حفظا من الكتاب أو السنة (١) .

وفى هذا النص يتجلى لنا منهجه الدراسى فى الحديث وهو العناية بالسند وأحواله والمتن وأصوله وهو حينما يروى الموقوف (المروى عن الصحابى) أو المقطوع (الموقوف على التابعى) فله فى ذلك المعنى المروى أصل من كتاب الله أو من السنة الصحيحة المسندة ولهذا المنهج فى الدراسة والرواية الذى لا يتيسر الا لمن وهبه الله الاستعداد والالهام . كانت الثقة فى مرويات البخارى متوفرة مسندة ، او موقوفه أو مقطوعة فهو رجل الحديث والقرآن والمنهج الفريد منذ نعومة اظفاره .

وفى كل يوم يزداد فتى بخارى علما ويزدادتقديرمشايخه لهيتنبئون له بالمستقبل الزاهر كل ذلك ولم يبلغ السادسة عشرة سنة ، فلما بلغها حفظ كتب ابن المبارك ووكيع وهما المحدثان المشهوران بمكانتهما العلمية .

رحلتـه فى طلب العـلم

كان من الممكن ان يكون البخارى من أئمة الحديث كغيره من الأفذاذ الذين اقتصروا على ما جمعوه من أمصارهم وهو مجهود لا يستهان به وثروة مطمئنة وشرف عظيم .

لكنه رأى فى نفسه نهما علميا لا حد له يزكيه استعداد فطرى منقطع النظير ، وروح دينية عالية . وتوجيه . من أم صالحة تربت فى بيت كريم ـ وانتماء الى محدث ثقة نقى وفوق كل ذلك الهام الله وعنايته الذى هداه الصراط المستقيم فطار على أجنحة همة عالية يطوف فى ارجاء الدنيا طالبا للحديث ورجاله . وبدأالرحلة المباركةبمكةالمكرمة مهبط الوحى ومنبت الرسالة وفى موسم الحج .. لتأدية فريضة الحج أخذ معه المربية الفاضلة أمه .. وأخاه أحمد الذى يكبره سنا .. وكان

١ ـ الطبقات جـ ٢ ص ٨ لابن السبكى .

ذلك سنة ٢١٦ هـ وعمره ستة عشرة سنة ومعنى ذلك أنه خرج فى نفس السنة التى حفظ فيها كتب ابن المبارك ووكيع ..

يقول : « البخارى (١) خرجت مع أمى وأخى أحمد الى مكة فلما حججت رجع بها أخى وتخلفت فى طلب الحديث وهناك سمع على أئمة مكة أمثـال أبى الوليد أحمد بن محمد الأزرقى واسماعيل بن سالم الصايغ .

ثم رحل الى المدينة المنورة دار الهجرة ومثوى صاحب الرسـالة ومشرق النور . ليزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم ويجمع العلم من أهله .

أحفاد الصحابة الذين حرسـوا السنة وسـلموها الى أولادهم التابعين وتوارثوها جيلا جيلا وطبقوها عمليا فأصبح عملهم الاجماعى حجة عند امام دارهم الطيبـة المحدث الامام مالك بن انس رضى الله عنه الذى ترك للاسلام زخيرة ضافية من الحديث وفقهه .

مبدأ تاليف الامام البخارى

وفى جوار الرسول فى رحاب المسجد النبوى بين القبر والمنـبر حيث الروحانية الصـافية أفاض الله على البخـارى فكان دخوله عند قبر صاحب السنة دخولا فى دور جديد مبارك هو بدء حياته التأليفية . فصنف قضايا الصحابة والتابعين واقاويلهم ثم صنف التاريخ الكبـير جمع فيه بين الثقات والضعفاء من رواة الحديث يقول البخارى : « فلما طعنت فى ثمانى عشرة سنة صنفت قضايا الصحابة والتابعين ثم صنفت التاريخ فى المدينة عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم وكتبته فىالليالى المقمرة وقل اسم فى التاريخ الا وله عندى قصة الا أنى كرهت أن يطول الكتاب » (٢) .

---

١ ـ مقدمة هدى السارى جـ ٢ ص ١٩٣ لابن حجر .

٢ ـ تاريخ بغداد ٢ ـ ٧ تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ١٢٢ .

وأن تأليفه للكتابين المذكورين ليعطى لنا صورة مجلوة المعـــالم وضاءة المحيا على مدى معرفة البخارى لرجال الحديث وأحوالهم كأنه شهد القوم على حد تعبير أستاذه المحدث اسحاق بن راهويه .

ويبين لنا قيمة التاريخ وأثره العلمى : ما قاله أبو احمد الحـاكم الكبير ، وكتاب (١) محمد بن اسماعيل فى التاريخ كتاب لم يسبق اليه ومن الف بعده شيئا فى التاريخ أو الاسماء أو الكنى لم يستغن عنـه فمنهم من نسبه الى نفسه مثل ابى زرعة وابى حاتم ومسلم ومنهم من حكاه عنه (٢) فالله يرحمه فانه الذى أصل الأصول » ويقول أبو سهل محمود الشافعى سمعت أكثر من ثلاثين عالما من علماء مصر يقـولون حاجتنا فى الدنيا النظر فى تاريخ محمد بن اسماعيل وهو الكتاب الذى سماه اسحاق بن راهوية سحرا .

واذا كانت طلائع تأليف البخارى لها هذه المـكانة من تأصـيل الأصول فانها من غير شك تضفى الثقة على ما يتلوها من مؤلفات كانت هذه الطلائع بمنزلة المقدمة لها .

ومكث بالمدينة سنة (٣) . ثم واصل الرحلة فى عصر لم تظهر فيه المواصلات السريعة فتراه يرحل على ظهر المطى من بلد الى آخر طالبا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم باحثا عن رجاله أينمـا كانوا تحلق به قوة علوية فى سماوات أرجاء العالم الاسلامى المتسع الرقعةفى ذلك العصر . راويا وحافظا . ومصنفا ومحدثا راجيا من الله ان يضع له البركة والقبول للمسلمين فى مصنفاته فرحل الى البصرة ليسـمع الحديث ويصنف وتردد منها على مكة أيام الحج والتقى فى مواسمه بمحدثى الأمصار الاسلامية وكانت اقامته بالبصرة خمس سنين .

يقول : « وأقمت بالبصرة خمس سنين مع كتبى أصـنف واحج وارجع من مكة الى البصرة وانا ارجو الله ان يبارك للمسلمين فىهذه

---

١ ــ الطبقات جـ ٢ ص ١٠ .

٢ ــ سير الاعلام النبلاء للذهبى جـ ٢ ص ٨ مخطوط بدار الكتب المصرية .

٣ ــ الطبقات الكبرى جـ ٢ ص ١٠ مقدمة الفتح جـ ٢ ص ١٩٤ تاريخ بغداد .

المصنفات ويقول دخلت الشام ومصر والجزيرة مرتين والى البصرة اربع مرات واقمت بالحجاز ستة أعوام ولا احصى كم دخلت الكوفة وبغداد مع المحدثين .

فالبخارى رحالة الحديث تجذبه السنة بما لهـا من تأثير وحيثمـا كانت اتجه البخارى ووضع رحاله واستوطن حتى حصلها . والمدن كلها فى نظره سواء قربت أم بعدت .

مكة .. المدينة .. الشـام .. بغداد .. واسـط .. البصرة . الـكوفة .. مصر .. بخـارى .. مرو .. هـراء .. نيسابور (١) قيسارية .. عسقلان .. حمص .. خراسان .. الجبال ..

وكان يكفى لشد الرحال الى بلدة مجرد وجود محدث فيها وليس له مقصد غير تحصيله الحديث .

أدرك عبد الرزاق وأراد أن يرحل اليه وكان يمكنه ذلك فقيل له : انه قد مات فتأخر عن التوجه الى اليمن (٢) .

ازاء هذا المجهود الضخم فى الرحلات الواسعة لا نستغرب قوله : « كتبت عن الف وثمانين نفسا ليس فيهم الا صاحب حديث(٣)وقوله: كتبت عن الف شيخ او اكثر ما عندى حديث لا اذكر اسناده .

فالبخارى فى حله وترحاله رجل الحديث وباحثه الذى حصر انظار العلماء عليه وملئت مجالس شيوخه فى كل مكان بالتقدير والتكريم له.

يقول أبو سهل محمود بن النصر : دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة . ورأيت علماءها فكلما جرى ذكر محمد بن اسماعيل فضلوه على أنفسهم (٤) . وبهذا المجهود الضخم فى رحلاته كانت الثقـة به . فلا غرابة أن تكون مروياته لها مكانتها والوثوق بها ، فعلى من كان يتلقى الحديث ؟.

---

١ ـ شرح البخارى للنووى ص ٦ .. الطبقات الكبرى جـ ٢ ص ٣.
٢ ـ المقدمة لابن حجر جـ ٢ ص ١٩٣.
٣ ـ شرح النووى للبخارى ص ٧ جـ ١ والخطيب البغدادى جـ ٢ ص ١٠ .
٤ ـ تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٩ .

شـــيوخ البخــارى

طوف البخارى فى آفاق المعمورة . باحثا عن ائمة الحديث الهداه وهم كثرة وفيرة تلقى عنهم فأصبحوا شيوخه .

وقد وضع لنفسه نهجا فى اختياره لشيوخه فلا يأخذ الا عن الثقات يقول : كتبت عن ألف ثقــة من العلمــاء وزيادة وليس عندى حديث لا أذكر اسناده (١) .

ومن أجل ذلك كان اهتمامه البالغ بمعرفة حال الرواه وكيفية تلقيهم للحديث حتى يطمئن الى أخذه عنهم .

يقول (٢) : لم يكن كتابتى للحديث كما كتب هؤلاء .

كنت اذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبته وحمــل الحديث ان كان الرجل فهما . فان لم يكن . سألته أن يخرج الى أصله ونسخته . أما الآخرون فلا يبالون بما يكتبون (٣) .

ونشأ عن اهتمامه بالثقات ترك كل من فيه نظر مهما كان عنده من كثرة فى الحديث ــ يقول محمد بن ابى حاتم :

سئل محمد بن اسماعيل عن خبر حديث فقال :

« يا أبا فلان أترانى ادلس ؟ تركت أنا عشرة آلاف حديث لرجل فيه نظر وتركت مثله أو أكثر لغيره لى فيه نظر » (٤) .

ويتراءى من النص أن البخارى كان يتــرك احاديث من لم يكن محل ثقة كاملة فى نظر المحدثين . وابعد من ذلك فأن له نظــرته التى يزن بها شيوخه المحدثين فمن لم يكن راجحا ثبتا تركه وحديثه ولا اعتبار به عنده .

---

١ ــ مقدمة شرح البخارى للنووى ص ٨ جـ ١ .
٢ ــ تاريخ بغداد جـ٢ ص٢٥ .
٣ ــ سير اعلام النبلاء مخطوط جـ ٨ ص٢٢٨ .
٤ ــ تاريخ بغداد جـ ٢ ص ٢٥ .

ولا يعارض ذلك ما روى انه يحفظ احاديث غير صحيحة فانه يحفظها كما يحفظ اسماء الضعفاء من الرجال لتجنبهم وهذه طريقة المحدثين فى تصفية ثروتهم من الشوائب بمعرفة غثها ـ لتركه وحراسة كريمها منه .

ويستوثق فى التحرى من الرواة بما لم يسبق اليه فلا يكتب الا عن الورع الذي يقول الايمان قول وعمل : يقول :

لقيت اكثر من ألف رجل من أهل الحجاز والعراق والشام ومصر وخراسان الى ان قال : ما رأيت واحدا منهم يختلف فى هذه الأشياء[1].

« ان الدين قول وعمل وان القرآن كلام الله » وهذا المنهج فى التحرى فى رجال الأسناد هو المنهج العام فى كل روايات البخارى فى جامعه الصحيح وغيره من مصنفاته واذا كان شيوخ البخارى بلغوا كثرة فانه أشار اليها فى وقت ما بأنها بلغت أزيد من الألف ثقة كما ورد فى النص . فالاستيعاب لمشايخه امر يطول ويصعب فيكفى اناذكر نماذج حية من كبار شيوخه الذين تقدم سماعهم وعلا اسنادهم ليستدل بهم على اعالى اسناده كما ذكره الحاكم النيسابورى » .

فممن سمع منه البخارى رحمه الله .

بمكـة :

أبو الوليد أحمد بن محمد الأزرقى وعبد الله بن يزيد المقرى واسماعيل بن سالم الصائغ وأبو بكر الحميدى عبد الله بن الزبير القرشى الأسدى أجل اصحاب الشافعى ، وأقرانهم .

بالمدينة :

ابراهيم بن المنذر الحزامى ومطرف بن عبد الله بن حمزة وأبو ثابت محمد بن عبد الله وعبد العزيز بن عبد الله الاويسى ويحيى بن قزعة وأقرانهم .

---

١ ـ المقدسى فى كتابه الكمال فى اسماء الرجال جـ ١ ص ٨٢ سير اعلام النبلاء ٨/٢ ص ٢٣٥ مخطوط وشرح البخارى للنووى ص ٦ وتهذيب الاسماء واللغات ص ٧١ للنووى .

وبالشام : محمد بن يوسف الفريابي من أوائل من صنف على المسانيد وابو نصر اسحاق بن ابراهيم ، وآدم بن ابى الياس وابواليمان ابن نافع (١) وحيوه بن شريح وخطاب بن عثمان وسليمان بن عبد الرحمن . وابو المغيرة عبد القدوس واقرانهم .

وببخارى :

محمد بن سلام البيكندى ومحمد بن يوسف وعبد الله بن محمد المسندى وهارون بن الأشعث واقرانهم .

وبمرو :

على بن الحسن بن شقيق وعبدان بن عبد الله بن عثمان ومحمد ابن مقاتل وعبده بن الحكيم ومحمد بن يحيى الصائغ وحبان بن موسى وأقرانهم .

وببلخ :

مكى بن ابراهيم ويحيى بن بشر ومحمد بن أبان والحسن بن شجاع ويحيى بن موسى وقتيبة بن سعيد واقرانهم وقد اكثر بها

ومن هراه :

احمد بن الوليد الحنفى .

ومن نيسابور :

يحيى بن يحيى التميمى وبشر بن الحكم واسحاق بن ابراهيم الحنظلى « ابن راهوية » ومحمد بن رافع واحمد بن حفص ومحمد ابن يحيى الذهلى وأقرانهم .

ومن أهل الرى :

ابراهيم بن موسى .

---

١ ـ مقدمة شرح البخارى للنووى جـ ١ ص ٦ .

ومن بغداد :

محمد بن عيسى الطباع ومحمد بن سابق وسريج واحمد بن حنبل وأبو بكر بن الاسود واسماعيل بن الخليل وابو مسلم عبد الرحمن ابن ابي يونس والمستملي واقرانهم :

ومن واسط :

حسان بن عبد الله وسعيد بن عبد الله بن سليمان واقرانهم .

وبالبصرة :

ابو عاصم النبيل وحسان بن حسان وصفوان بن عيسى وبدل ابن المحرب وحرمى بن حفص و (عفان) بن مسلم ومحمد عرعرة وسليمان بن حرب وابو حذيفة النهدى وابو الوليد الطيالسى وعارم (محمد بن الفضل) ومحمد بن سنان واقرانهم .

وبالكوفة :

عبيد الله بن موسى وابو نعيم واحمد بن يعقوب واسماعيل بن ابان والحسن بن الربيع وخالد بن مخلد وسعد بن حفص وطلق بن غنام وعمر بن حفص . وعروة بن ابى المغراء وقبيصة بن عقبة وابو غسان واقرانهم .

وبمصر :

عثمان بن صالح وسعيد بن ابى مريم وعبد الله بن صالح واحمد ابن صالح واحمد بن شبيب واصبغ بن الفرج وسعيد بن عيسى وسعيد ابن كثير بن عفير ويحيى بن عبد الله بن بكير وأقرانهم .

وبالجزيرة :

احمد بن عبد الملك الحرانى واحمد بن (يزيد) الحرانى وعمرو ابن خلف واسماعيل بن عبد الله الرقى واقرانهم .

قال الحاكم :

فقد دخل البخارى رحمه الله هذه البلاد المذكورة فى طلب العلم واقام فى كل مدينة منها على مشايخها وانما سميت من كل ناحيــة من المتقدمين ليستدل على عالى اسناده وبالله التوفيق .

اذكر ذلك وأن كان قد عقب عليه ابن السبكى باســتدراكه على بعض الاسماء الا أن ذلك لم يرق الى رتبة الترجيح فبقى المعنى الذى يريده الحاكم من كثرة شيوخه على اسنادهم .

طبقات شيوخ البخارى

أستقبل أمامنا البخارى حياته العلمية الزاهرة فى مقتبل القرن الثالث الهجرى وكان استقبالا حارا جارفا فحصل حديث أهل بلده وحفظه . وعرف كلام أهل الرأى .

وابتدأ الرحلة المباركة سنة ٢١٠ هـ يافعا فى مكانته العلميـــةوكان بين نهضته فى اشتغاله بالحديث وبين وفاة صاحب الحديث صــلى الله عليه وسلم الذى توفى سنة ١١ هـ قرنان من الزمان هذا بالنسبة للمقياس الزمنى .

أما بالنسبة لمقياس طبقات رجال الحديث فالبخارى من أتباع أتباع التابعين بينه وبين صاحب الهداية والسنة ثلاثة رجال فقط فى اسناده العالى كما فى (ثلاثيات البخارى) وهذه المسافة قصيرة للغاية . بالنسبة للثقافة الانسانية وتاريخها ونظرياتها ويعبر المؤرخون عن مثل هــذه المسافة حينما يوجدون على طرفها .

« بالتاريخ الحديث » وفى عصرنا الحــالى يدرس من الثقــافات ونصوصها ما يضرب فى أعماق الزمن قبل الرســالة المحمدية بعشرات السنين . بل اننا نسلم بحقائق بشرية كتعليمات مسلمة لاشية فيها منذ عشرات السنين قبل الميلاد كأقوال (أنيكسـندر) وسقراط وأرسطو وغيرهم ، رغم أننا لم نعرف سندها وأحوال نقلها وظروفهم . فما بالك اذا كانت المسافة الزمنية قصيرة . وكانت ثقافة وحى يوحى وسعادة دنيا

وأخرى وحملتها أصحاب القرون الأولى الخيرة الذين جندوا أنفسهم لحفظ السنة .

ومنهم من قصر حيـاته على احيائها وقيض الله لها العدول الذين ينفون عنها تحريف الغالين وخبث الوضاعين فظلت ناضرة بحيويتها . التى لبستها يوم أن خرجت من فم صاحب الرسالة ، حفظها الصحابة وأسلموها للتابعين فأدوها بدورهم لأتباع التابعين وأتباع أتباع التابعين وطبقات مثالية حارسة للسنة وكلما تقدم الاسناد علا .. وأعلا أسـناد البخارى .

كما أشرت لذلك ثلاثياته التى فيها بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة رجال فالمحدثون للبخـارى أتبـاع التابعين الذين بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم التابعون فالصحابة مباشرة الذين تلقوا السنة عن الرسول المتلقي عن الوحي الذى لا ينطق عن الهوى .

فما على البخارى الا ان يتعرف بنظرته الثاقبة الصادقة ثقة شيخه ودقته ويتعرف من شيخه أحوال من أخذ عنه شيخه من التابعين الذين أخذوا عن الصحابة المعدلين بالقرآن .

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحمـاء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » . والذين قال الرسول فيهم :

« أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » وهم طليعة القـرون الخيرة . بنص حديث الرسول خير القرون قرنى . ثم الذين يلونهم . الخ . سيرتهم ناصعة كالصباح . وسيماهم فى وجوههم من أثر الصـلاح فهذا الاسناد العالى للبخارى يسكب فى نفوسنا تأكيدا للثقـة برواية السنة عند البخارى فى هذه الطبقة وفى غيرها من الطبقات التاليـة لأن البخارى كما يأخذ عن هذه الطبقة يسترشد بها عن السـنة وأماكنها ورجالها الحافظين لها المـوثوق بهم من بعد هـذه الطبقـة من طبقات شيوخه ..

فلو فرض فرضا . أن السنة لم تدون الا فى عصر درة ــ المحدثين. البخارى •

لمـا كان هناك ما يدعو الى القلق والقول بتأخر تدوين السنة ، كما يدعى بعض المتجنين ومقلدوهم فضلا عن أنها دونت فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء تدوينا فرديا وحفظت الحفظ اللائق بها. كوحى الهى فى اذهان سياله مؤمنة وجند آلاف الابطال أنفسهم لحفظ السنة التى جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن الله جل شأنه ثم كان التدوين الرسمى بأمر خليفة المسلمين (عمر بن عبد العزيز) على رأس المائة الثانية قبل ان يجفف الزمن الدماء الزكية للصـحابة الذين شهدوا الوحى وقد وضعت السنة فى أطار مكين فى كل زمن فوضعوا لها القواعد الدقيقة وفتشوا عن تاريخ الرواة وبلادهم ومذاهبهم وقربهم من مشايخهم وطرق أدائهم ومدى حفظهم وثقتهم وبذلك حصروا الدخلاء والوضاعية والمغفلين فى قائمة سوداء ومعهم ما جاءوا به من بضاعة غثة وسـارت السنة متدفقة صافية بفضـل منهجهم الفريد الذى لم تعرفه الانسانية فى تاريخ أرقى مراحل تقدمها والسر فى ذلك « أن السنة بعد القرآن هى أعلى وأسمى ما عرفته البشرية فكانت جديرة بهذه العناية التى هدى الله لها عباده حفظا للسنة الحارسة لكتابه المبينة له تحقيقا لوعده الحق » .

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »(١) .

فمن السنة البيان الذى تكفل الله به لنبيه « فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه » .

وقد رتب النووى طبقات شيوخ البخارى فى مقدمة شرح البخارى نقلا عن أبى الفضل المقدسى خمس طبقات .

الطبقة الأولى :

من حدثه عن التابعين

---

١ ــ سورة الحجر الآية ٩ .

منهم محمد بن عبد الله الانصارى حدث البخارى عنه عن حميد التابعى عن أنس الصحابى (١) رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ومنهم مكى بن ابراهيم وأبو عاصم النبيل حدث عنهما عن يزيد ابن أبى عبيد التابعى عن سلمة بن الأكوع (الصحابى) عن الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهم عبيد الله بن موسى حدث عنه عن هشام بن عروة واسماعيل بن خالد وهما تابعيان وحدث عن أبى نعيم عن الأعمش التابعى ومنهم على بن عياش حدث عنه عن جرير بن عثمان (تابعى) . عن عبد الله بن يسر الصحابى . فهؤلاء وأشباههم الطبقة الأولى .

كأن البخارى سمع مالكا والثورى وشعبه وغيرهم فأنهم حدثوا عن هؤلاء وعن طبقتهم .

الطبقة الثانية :

قوم حدثوا عن ائمة حدثوا عن التابعين وهم شيوخه الذين روى عنهم عن أبن جريج ومالك وابن أبى ذئب وأبى عيينه بالحجاز .وشعبة والأوزاعى وطبقتهما بالشام .

والثورى وشعبة وحماد وابى عوانة وهمام بالعراق والليث ويعقوب ابن عبد الرحمن بمصر وفى هذه الطبقة كثرة .

الطبقة الثالثة :

قوم حدثوا عن قوم أدرك زمانهم وأمكنه لقيتهم ولكن لم يسمعهم كيزيد بن هارون وعبد الرزاق .

الطبقة الرابعة :

قوم فى عداد طبقته حدث عنهم عن مشايخه كأبى حاتم ومحمد بن أدريس الرازى .

---

١ ـ مقدمة النووى ج ٢ ص ٩ وقد نقل العينى تقسيم ابن طاهر وأن لم ينسبه اليه وعنون للمسألة بقوله : جملة من حدث عنه البخارى فى صحيحه .

الطبقة الخامسة :

قوم حدث عنهم وهم أصغر منه فى الاسناد والسن والوفاةوالمعرفة منهم عبد الله بن حماد الايلى وحسين القبانى وغيرهما .

وقد روى عنهم أشياءيسيرة وعملفىالرواية عنهم بما روى عن عثمان بن ابى شيبة عن وكيع قال :

لا يكون الرجل عالما حتى يحدث عمن هو فوقه وعمن هو قبله وعمن هو دونه واتخذه البخارى منهجا له فى تلقى الحديث ونادى به فعن البخارى انه قال :

لا يكون المحدث كاملا حتى يحدث ويكتب عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه وعلى ذلك درج البخارى .

ثمرة تفصيل الطبقات

ان ثمرة تفصيل الطبقات هى عدم وقوع الابهام والالتباس على من لا معرفة له اذا حدث البخارى بالاسناد عاليا تارة ونازلا تارة حتى يفهم ان الاسناد العالى قد حذف منه أو أن الاسناد النازل قد زيد فيه. وقد بين ابن طاهر ذلك بقوله : لئلا يظن من لا معرفة له اذا حدث البخارى مثلا (١) .

عن مكى ، عن يزيد بن ابى عبيد ، عن سلمة .

ثم حدث فى موضع آخر عن قتيبة عن بكر بن مضر عن عمرو بن الحارس عن بكير بن عبد الله الأشج عن يزيد بن أبى عبيد عن سلمة .

ان الاسناد الأول سقط منه شىء وعلى هذا سائر الأحاديث اذ لو لم يعرف ذلك لوقع الالتباس فى كثير من الأحاديث على من لا معرفة له .

فقد كان من نهج البخارى رحمه الله . أن يحدث بالحديث فى موضع نازلا وفى موضع عاليا .

---

١ ـ مقدمة النووى ص ٩ لشرح البخارى .

فقد حدث فى مواضع كثيرة جدا عن رجل عن مالك وحدث فى موضع .

عن عبد الله بن محمد المسندى عن معاوية بن عمرو .

عن اسحاق الفزارى ، عن مالك .

وحدث فى مواضع عن رجل عن الثورى وحدث فى موضع عن ثلاثة عنه .

فحدث عن أحمد بن عمر عن أبى النضر عبيد الله الأشجعى عن الثورى .

وأعجب من هذا كله أن عبدَ الله بن المبارك رحمه الله تعالى أصغر من مالك وسفيان وشعبة ومتأخر الوفاه .

وحدث البخارى عن جماعة من أصحابه عنه وتأخرت وفاتهم ثم حدث عن سعيد بن مروان عن محمد بن عبد العزيز بن أبى رزمة عن أبى صالح سلمويه عن عبد الله بن المبارك .

فقس على ذلك .

وقد حدث البخارى عن قوم خارج الصحيح وحدث عن رجل عنهم فى الصحيح .

منهم أحمد بن منيع وداود بن الرشيد . وحدث عن قوم فى الصحيح وحدث عن آخرين عنهم . منهم أبو نعيم وابو عاصم واحمد بن صالح واحمد بن حنبل ويحيى بن معين وفيهم كثرة .

ويتجلى لنا فى هذا العرض عناية البخارى بالسماع من شيوخه ومدى ما بذله من جهد فى لقائهم والأخذ عنهم وعنايته الفائقة بتلقى الحديث فجزاه الله خير الجزاء .

تراجم بعض شيوخ البخارى

لقد كان البخارى مكثرا فى شيوخه الى درجة تدعو الى صعوبة حصرهم . وقــد كان لا يروى كما تقدم الا عن ثقات الشيوخ وكلهم أفاده ثروة علمية مما رواه عنهم وزكى فى استعداده الفطرى صــفات كريمة فى فطرته المستعدة فتكونت شخصيته العلمية الخلقيــة . وهم فى ذلك كالحلقة المفرغة لا يدرى أحد طرفها فى الشرف والرفعة . ومن الصعب أن يحدد الانسان شخصا معينا بأنه المؤثر فى البخارى صاحب الرحلات الواسعة فى طلب العلم وهو الذى تنقل كالنحلة على كل روض باسم وزهر نضر . فتلقى عن آلاف الشيوخ ومعه اســتعداده اللماح الفطرى الذى كان ينقل كل ما عندهم من خلال كريمة وثروة علميــة زاخرة فتأثر بهم جميعا وتكونت ملكته العلمية وشخصيته المستقلة وهذا معنى التأثر بشــيوخه ، ومهما كان امتيــاز الشيخ فان أثره الفعــال لا يكون الا فى التلميذ النابه .

وقد يكون صدقا قول علماء النفس فى العصر الحاضر أن نجــاح الطالب يتوقف بنسبة ٢٠٪ على همة أستاذه ونسبة ٨٠٪ على همته واستعداده وهذا هو السر فى نجاح بعض التلاميذ دون بعض مع اتحاد الأستاذ والمنهج والمــكان الا انه مع كل ذلك . فقد يكون فى حيــاة الشيخ نواح بارزة تظهر بصورة مشابهة فى حياة تلميذه . على أى حال كانت النسبة مع توفر الصلة القوية بينهما . فهذا يجعل الباحث فى حل لأن يذكر هذه النواحى المشابهة كأثر من آثار شيخه أو بعبــارة أدق يذكرها على أن شيخه كان له أوفر سهم فى تكوينها وقد يكون معه غيره من الشيوخ أو العوامل الشخصية الذاتية فى التلميذ وقد يرجع الباحث الصفة الواحدة البارزة الى أستاذين اتحدا فى تفوقهما فى هذه الصفة الواضحة فى التلميذ (الراوى) .

وممن له أثره بهذا المعنى من شيوخ البخارى الأئمة على بن المدينى وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين واسحاق بن راهوية .

فهم من الأئمة الذين انتهى العلم اليهم فكانوا أئمة الحديث فى عصرهم . وكانت صلتهم بامامنا البخارى صلة قوية . فقد كان منهم من آشار عليه بتأليف كتابه الجامع الصحيح . وهو اسحاق بن راهويه وكان منهم من شهد له بصحته بعد قراءته عليهم حديثا حديثا وهم على بن المدينى واحمد بن حنبل ويحيى بن معين .

« على بن المدينى » (١٦١ — ٢٣٤ هـ)

هو على بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدى ابو الحسن بن المدينى — الحافظ من أئمة الحديث وممن انعقد الاجماع على جلالته وامامته ولد سنة احدى وستين ومائة سنة ١٦١ هـ فى بيت من بيوت العلم سمع أباه وحماد بن زيد وهشيما وابن عيينه والراوردى وابن وهب وعبد الوارث والوليد بن مسلم وغندر ويحيى القطان وعبد الرحمن بن المهدى وبن عليه وعبد الرزاق وقد شهد له سفيان بن عيينه وهو من شيوخه بقوله : والله لقد كنت أتعلم منه أكثر مما يتعلم منى وكذلك قال : يحيى بن قطان وهو من شيوخه وقال أبو حاتم .

« كان ابن المدينى علما فى الناس فى معرفة الحديث والعلل وما سمعت أحدا أسماه قط وانما يكنيه تبجيلا له وهو أحد الأئمة الأربعة الذين انتهت اليهم مادة العلم فى عصرهم » قال عبد الله بن أبى زياد القطوانى : سمعت أبا عبيد يقول : انتهى العلم الى أربعة : هم أبو بكر بن أبى شيبه أسردهم له . وأحمد بن حنبل أفقههم فيه . وعلى ابن المدينى أعلمهم به ويحيى بن معين اكتبهم له .

تقدير البخارى له وتاثره به

قال السراج : قلت للبخارى :

ما تشتهى ؟ قال :

أن أقدم العراق ، وعلى بن عبد الله حى فأجالسه ، كما يظهر مدى تقديره له بهذه الكلمة الجامعة .

قال البخارى .

ما استصغرت نفسى عنـد أحد الا عند على بن المدينى .. واذا كان من المعلوم فى قواعد علم النفس ومن المشاهد أن تأثر الانسـان بشخص ما يذكيه حبه له .. وتقديره اياه فاننا نلمح من النصـين السابقين مدى اعجاب البخارى وتقديره لشيخه على : مما يدل على مقدار معرفته له وتأثره به .

تقدير ابن المدينى للبخارى

ان تقدير على بن المدينى للامام البخارى تلميذه يفوق كل تقدير شهد له شهادة ممتازة حينما قال فيه :

« هو ما رأى مثل نفسه »

وتزداد قيمة هذه الشـهادة عظمة حينما نعلم أن على بن المدينى حجة الحديث يقول ذلك .

واضعا فى اعتباره أن البخارى هو الرحالة فى طلب الحـديث الذى جاب الفيـاف والقفـار والقـرى والأمصـار راويا عن آلاف الشيوخ الأعلام .

ولا غرابة فهـذا هو المفروض « انما يعرف الفضـل من الناس ذووه » .

وحينما تتفق الثقافات وتتحد المشاعر وتتقارب الأفكار يكون التقدير ويظهر التأثير والتوجيه .

قال (١) البخارى :

مات على بن المدينى ليومين بقيا من ذى القعـدة سـنة أربع وثلاثين ومائتين ٢٣٤هـ وكان موته بسر من رأى .

---

١ ــ الطبقات الكبرى لابن السبكى ص ٢٥٦ جـ ١ وتهذيب الاسماء واللغات للنووى جـ١ ص ٣٥٠ معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٧٢ تذكرة الحفاظ للذهبى ص ٣٥٠ جـ ١

« الامام احمد ابن حنبل » ١٤٦ ـ ٢٤١ هـ

هو أحمد بن حنبل بن هلال الامام ابو عبد الله الشيبانى الذهلى .

نشأته ودراسته :

ولد فى ربيع الأول سنة ١٤٦ هـ فى مدينة العلم بغداد وتوفى أبوه شابا فوليته أمه (١) . نسبه عربى وهو شيبانى فى نسبه لأبيه وأمه وقبيلته معروفة بالهمة والاباء كان منها المثنى بن حارثة القائد الاسلامي المعروف .

وانتقل جده الى خراسان وكان واليا على سرخس فى العهد الأموى . وناصر الدعوة العباسية عند ظهورها ـ وكان أبوه قائدا كما ذكره الاصمعى (٢) حفظ القرآن فى صباه وتعلم القراءة والكتابة وكانت آثار النبوغ والرشد واضحة فيه منذ النشأة . اتجه أحمد بن حنبل الى الحديث وروى عنه أنه قال :

« أول من كتب عنه الحديث ـ أبو يوسف » وظل يتلقى الحديث ببغداد من سنة ١٧٩ الى ١٨٦ هـ ولزم عالما كبيرا من علماء الحديث والآثار ببغداد أربع سنوات .

هو هشيم بن بشير بن حازم الواسطى ١٨٣ وكان فى طلبه للعلم مثال الجد يقول :

« كنت ربما أود البكور فى الحديث فتأخذ أمى ثيابى حتى يؤذن الناس أو حتى يصبحوا » .

واستمر فى حياته الجادة فى العلم وتحصيله حتى أوصلته الى درجة الامامة .

قال عبد الله بن أحمد : سمعت أبا زرعة يقول (٣) :

---

١ ـ تاريخ الاسلام للذهبى ص ١٠ ترجمة الامام احمد .
٢ ـ رجال الفكر والدعوة فى الاسلام لابى الحسن الندوى ص ١٠٥ .
٣ ـ ترجمة الامام احمد فى تاريخ الاسلام للذهبى ص ١٢ .

كان أبوك يحفظ ألف ألف حديث فقيل وما يدريك ؟ قال : ذاكرته فأخذت عليه الأبواب . وقال أبو عبيده :

ما رأيت رجلا أعلم بالسنة من احمد .

وكان احمد حجة فى علم الحديث والرواية .

وتتجلى مكانته بهذه الشهادة من الشافعى ناصر السنة حينما خرج من العراق وهى مدينة العلم والورع فيقول :

خرجت من العراق فما تركت رجلا أفضل ولا أورع ولا أفقه من ابن حنبل (١) ويقول اسحاق بن راهوية :

« أحمد حجة بين الله وبين عبيده فى أرضه » .

ويقول فيه يحيى بن معين « كان فى احمد بن حنبل خصال ما رأيتها فى عالم قط » .

وكان محدثا وكان حافظا وكان عالما وكان ورعا وكان زاهدا وكان عاقلا .

أثر المسند فى صحيح البخارى وباقى الكتب الستة

أن أثر المسند فى صحيح البخارى وباقى الكتب الستة . بشـــهادة الحافظ على بن الحافظ الفقيـــه محمد اليونينى رحمهما تعالى . فقد سئل : أأنت تحفظ الكتب الستة ؟ فقال : أحفظها وما أحفظ فقيل له كيف هذا ؟ فقال : أنا أحفظ مسند أحمد وما يفوت من الكتب الستة الا قليل فأنا أحفظها بهذا الوجه (٢) .

فهذا القول من امام حافظ للسنة مهما كان فيه من المبـــال فانه يصور أهمية المسند وأثره فى الصحيحين ، وباقى الكتب الستة مهما فاته من أحاديث كثيرة ، وجدت فى الصحيحين ، ولعل ما فاته م

---

١ ـ تاريخ ابن كثير جـ ١٠ ص ٣٣٥ تدريب الراوى ص ٧٥ .

٢ ـ مقدمة الفتح الربانى ص ٩ للاستاذ عبد الرحمن الساعاتى .

أحاديث فى الصحيحين كثيرة . ولكن بالنسبة الى ما ذكر فى باقى الكتب الستة أصبحت قليلة جمعا بين رأى ابن كثير وابن اليونينى . لأن رأى ابن كثير أنه قد فات المسند من الصحيحين الكثير .

فالمسند له أثره على أى حال فى الصحيحين صحيح البخارى ومسلم وان لم يبلغ درجتهما فى الصحة وغايرهما فى طريقة تصنيفه على المسانيد لا على الأبواب كما فى الصحيحين .

تقدير الامام احمد للامام البخارى وصلته به

قال محمد بن ابى حاتم وراق البخارى : سمعت البخارى يقول : « دخلت بغداد (1) ثمان مرات كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل فقال لى آخر ما ودعته يا أبا عبد الله . تترك العلم والناس وتصير الى خراسان ؟ فأنا الآن أذكر قول أحمد » .

ففى هذه العبارة الموجزة تشرق العاطفة القوية الكريمة بين الامامين فالبخارى حريص على مجالسة شيخه فيتردد على مجلسه ويرحل اليه ولا يبرح بغداد الا مودعا له .. والشيخ يعز عليه فراق تلميذه عاتبا عليه أن يترك بغداد ويرجع الى خراسان متمنيا مقامه معه فى بغداد .

وتنطبع كلمات الشيخ فى ذهن البخارى وتظل حية فى ذهنه مما يدل على تقديره وحبه واحترامه للامام أحمد بن حنبل .

واذا علمنا من سيرة الامام أحمد الزهد والورع والاهتمام بجمع الحديث والرحلة من أجله فقد رحل الى الكوفه والبصرة ومكة واليمن والشام والجزيرة .

نجد أن هذه الصفات واضحة فى البخارى ، قد يكون لابن

1 ــ تدريب الراوى ص ٥٧ .

حنبل أثر فى ازكائها أو على الأقل قد يكون هذا التجانس فى الحياة الخلقية والعلمية ..

هو السبب فى توطيد الصلة القوية بينهما مصداقا لقول الرسول عليه السلام فى حديثه « الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » وبهذا الحديث وبغيره وضع الرسول القواعد الصادقة وسبق المفسرين للظواهر النفسية من علماء النفس وغيرهم فيما جاءوا به من نظريات زاعمين بأنهم اكتشفوها من البحث والجهد والدراسة ولو جاءوا الى رياض الاسلام لوجدوها زهرات متفتحة سهلة منظمة غير معقدة تمتاز بأنها لا تقبل الخطأ مستقاه ممن خلق الأرض والسماوات العلا . العالم بأحوال خلقه « (١) ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .

وقد التزم البخارى منهج الامام أحمد وورعه فى الانكار على (٢) من يتكلم فى القرآن كما سيفصل فى موضعه .

الامام (٣) اسحاق بن راهوية (١٦١ ــ ٢٣٨ هـ)

هو الامام أبو يعقوب اسحاق بن ابراهيم بن مخلد الحنظلى المروزى ثم النيسابورى الحافظ .

أحد أئمة الدين وأعلام المسلمين وهداة المؤمنين الجامع بين الفقه والحديث والورع والتقوى ساقه اهتمامه بالحديث الى الرحلة الى العراق والحجاز واليمن والشام سمع به عبد الله ابن المبارك والنضر بن شميل وسفيان بن عيينه وجرير بن عبد الحميد الرازى واسماعيل بن عليه ووكيع بن الجراح وعبد الرزاق بن همام

---

١ ــ سورة تبارك رقم ١٤ .

٢ ــ طبقات الشافعية ص ١٣ جـ ٢ .

٣ ــ طبقات الشافعية الكبرى جـ ١ ص ٢٣٢ وشذرات الذهب جـ ٢ ص ٨٩ ووفيات الأعيان ١ / ٨٠ .

والشافعى وآخرون وروى عنه امامنا البخارى ومسلم بن الحجاج النيسابورى وأبو داود والترمذى والنسائى وأحمد بن حنبل ويحيى ابن معين ومحمد بن يحيى الذهلى .

وحسبه شهادة الامام أحمد بن حنبل « واسحاق عندنا امام من أئمة المسلمين وما عبر الجسر أفقه من اسحاق» .

وكان شديد الورع والتقوى .. يقول محمد بن مسلم « ما أعلم أحدا أخشى لله من اسحاق » وكما ان اسحاق كان محدثا وفقيها فقد كان مفسرا عظيما يقول أحمد بن سلمة :

« أملى على اسحاق التفسير عن ظهر قلبه » ومن المجهودات الضخمة التى قام بها اسحاق النظر فى الأحاديث ونقدها متنا واسنادا وتصحيحا وترتيب أنواع الحديث .

وهو بهذا العمل الجليل يعتبر قد أفسح الطريق ومهده أمام تلميذه البخارى الذى سار على نهجه فى نقد الحديث وتصحيحه بل كان عمل البخارى الجليل ونهجه القويم فى تأليف أعظم كتبه ..

وأعظم كتاب بعد كتاب الله .. صحيح البخارى بمشورة (١) من استاذه اسحاق الذى عرف فى البخارى المقدرة على القيام بهذا العمل الجليل . وكان التشابه بين التلميذ والاستاذ فى المنهج الممثل فى تنقية الحديث ونقده متنا واسنادا واستنباط فقه الحديث من غير اسراف فى الرأى .

يقول الدكتور عبد الحميد سند الجندى فى كتاب (٢) ابن قتيبه

---

١ – عن ابراهيم بن معقل النسفى يقول : قال : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى كنت عند اسحاق بن راهوية فقال : لو جمعتم كتابا مختصر الصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع : ذلك فى قلبى فأخذت فى جمع الجامع الصحيح المقدمة ص ٤ .

٢ – ان ابن راهوية كان يمقت أهل الراى اشد المقت ويعلل ذلك بقوله لانهم كانوا يؤولون الاحاديث تأويلا لا يقره العقل ويلقى التبعة فى ذلك على اتباع مذهب أبى حنيفة فمن جاء بعده من أهل النظر والقياس فى انهم الذين يحملون أوزار ما أوجدوه ولا شك ان رأى الامام أبى حنيفة برىء من ذلك . وكان ابن قتيبة يطلق على هؤلاء الاتباع اسم العصابة .

أن اسحاق بن راهوية قدم للحديث أكبر صنيع فى أنه قام بتنقية المدسوس وجرده كذلك من مسائل الفقه بعد أن كان مختلطا بها ... ومن التفسير . وقد نفخ فى تلاميذه من روحه فنبغ فيهم أعظم علماء الحديث وهم البخارى ومسلم والترمذى .

توفى اسحاق ليلة نصف شعبان سنة ٢٣٨ .. قال البخارى : وله سبع وسبعون سنة قال الخطيب فهذا يدل على أن مولده سنة احدى وستين (١) .

يحيى بن معين (٢)

يحيى بن معين أبو زكريا البغدادى من العلماء الجهابذه النقاد على حد تعبير ابن ابى حاتم الرازى .

نبغ وبرز فى تمييز صحيح الحديث من سقيمه .

وسمع الحديث من ابن المبارك وابن عيينه وابن مهدى ووكيع وهشيم وغيرهم .

اتفق العلماء على رسوخ قدمه فى الحديث ومعرفته له متنا واسنادا .. روى ابن أبى حاتم الرازى عن محمد بن مسلم بن واره وسئل عن على بن المدينى ويحيى بن معين أيهما أحفظ ؟ ـ قال كان على أسرد وأتقن وكان يحيى بن معين أفهم بصحيح الحديث وسقيمه وهو أحد أربعة انتهت اليهم زعامة العلم وقد عنى بتدوين الحديث

---

١ ـ وفى تاريخ بغداد عن أبى بكر بن المدينى يقول : كنا يوما بنيسابور عند اسحاق بن راهوية ومحمد بن اسماعيل حاضر فى المجلس واسحاق يحدث بحديث من أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وكان دون صاحب النبى صلى الله عليه وسلم عطاء الكيخارانى » فقال له اسحاق : يا أبا عبد الله اين كيخاران فقال : قرية باليمن . كان معاوية بن أبى سفيان بعث هذا الرجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن فسمع منه عطاء هذا الحديث فقال له : اسحاق بن راهوية يا أبا عبد الله كانك قد شهدت القوم .

٢ ـ مقدمة الجرح والتعديل ص ٣١٤ وتهذيب الاسماء واللغات للنووى جـ ١ ص ١٥٦ والحديث والمحدثون ص ٣٤٤ معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٧٢ .

وتأليفه عناية فائقة ، عن عبد القاسم بن سلام يقول : «انتهى العـــلم الى أربعــة الى أحمد بن حنبــل والى يحيى بن معين وهو أكتبهم له والى على بن المدينى والى أبى بكر بن أبى شيبه » .

وحدث عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى قال : « ســـمعت محمد بن هارون الغلاسى المحزمى يقول : « اذا رأيت الرجل يقع فى يحيى بن معين فاعلم بأنه كذاب يضع الحديث وانما يبغضه لما تبين أمر الكذابين » .

وكان طلعة واسع الاطلاع مع الدقة يقول :

« لو لم نكتب الحديث عن ثلاثين وجها ما علقناه » فكان جديرا بتقدير الامام أحمد فى قوله « السماع من يحيى بن معين شفاء لمـا فى الصدور » .

وقال : يحيى بن معين « رجل خلقه الله لهذا الشأن يظهر كذب الكذابين وكل حديث لا يعرفه يحيى ليس بحديث » .

وقال فيه على بن المدينى : « ما رأيت فى الناس مثلــه » وعــده الحاكم فى علوم الحديث من فقهاء المحدثين .

وكما كان يحيى بن معين قمــة فى الحــديث وعلله والجــرح والتعديل كان مثالا رائعا فى الورع والتقوى شأن تلميــذه البخارى دفعه صدقه وثقتــه فى تحريه الحق أن يســتقبل القبــلة ويرفع يديه قائلا : « اللهم ان كنت تكلمت فى رجل ليس هو عندى كذابا فــلا تغفر لى » توفى بمدينة رســول الله صلى الله عليه وســلم ووضــع على سرير النبى صلى الله عليه وسلم واجتمع فى جنــازته خلق كثير . واذا رجل يقول : هذه جنازة يحيى بن معين الذاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب والناس يبكون وهكذا كان شيوخ البخــارى زعماء العلم الثقات النقاد الأتقياء الذين منحهم الله المقدرة على حفظ التراث النبوى وحراسته والذود عن حياضــــه فذبوا عنه كــذب الكذابين . ووضع الوضاعين .

وما كان للزبد قدرة على أن يقف امام ما ينفع الناس فذهب جفاء ومكث علم النبى صلى الله عليه وسلم على يد من اختارهم الله لهـذا الشأن العظيم فأعلى قدرهم ورفع شأنهم ، ذكرت هؤلاء كنمط رائع من شيوخ البخارى الثقات الذين عرفوا جميعا بالمكانة العلمية والسلوك القويم . وكانوا أكثر من أن يحصروا ، لمـا لهؤلاء من صـلة أقوى . وأثر واضح يتمثل فى عرض أسمى مؤلفاته عليهم « وهو الجـامع الصحيح وشهادته له بالصحة وشهادة ابن راهوية .

لتاريخه الكبير وهما أسمى مؤلفات البخارى رحمه الله .

نهج البخارى فى الحفظ

وهب الله محمد بن اسماعيل البخارى استعـدادا فطريا يتمثـل فى قوة الذاكرة وصفاء الذهن .

والانسان مدين لنبوغه فى العلم الى استعداده الطبيعى وفطرته السليمة ولكن لا يستقيم الاستعداد ولا يؤتى ثماره الا بالعمل والجد.

وهذا ما كان من نهج البخـارى . أقبل بكليتـه على حفظ الحديث فأزكى استعداده وبلغ فى الحفظ مبلغا أذهل العلماء ولما رأى القوم نبوغه وقوة ذاكرته التى بلغت حدا غير مألوف ظنـوا أنه شرب دواء للحفظ يقول وراقة : محمد بن أبى حاتم فقلت له مرة فى خلوة : هل من دواء للحفظ ؟ فقال لا أعلم ثم أقبل على فقال لا أعلم شيئا أنفـع للحفظ من تهمة الرجل ومداومة النظر [1] وبذلك قد سبق البخـارى علماء النفس بنمهجه فى ازكاء القدرات بالعمل فى يقظة والمداومة على التمرين .

كما سبقهم فى الاستعانة على التثبث بربط المعلومات فقـد كان يربط بين الرجل وبلده وعصره وشيوخه وزمان ولادته ووفاته . وأقواله

---

١ ــ تاريخ بغداد ٩/٢ وطبقات السبكى ٧/٢ ومقدمة فتح البارى ٢٠١/٢ .

كما يربط بين أقوال الصحابة والتابعين وبين الأصول من الكتاب والسنة حتى يصبح القول واضحا فى ذهنه من كل جوانبه وبهذا المنهج أصبح رأسا فى حفظ الأحاديث وأسانيدها .

وصاحب الملكة القوية فى تمييز صحيحها من سقيمها كما كان فى فهم معانيها .

عن سليم بن مجاهد يقول : كنت عند محمد بن سلام البيكندى فقال لى : لو جئت قبل .. لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث فخرجت فى طلبه حتى لقيته فقلت له : أنت الذى تقول انا أحفظ سبعين ألف حديث ؟ قال نعم وأكثر منه ولا أجيئك بحديث عن الصحابة والتابعين الا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم .. ولست أروى حديثا من أحاديث الصحابة والتابعين الا وله أصل أحفظ ذلك عن كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وظل البخارى يتهم نفسه ويديم النظر حتى أصبح فريد عصره قال أبو بكر الكواذانى : « ما رأيت مثل محمد بن اسماعيل كان يأخذ الكتاب من العلم فيطلع عليه اطلاعه . فيحفظ عامة أطراف الحديث من مرة واحدة (٢) . وقال اسحاق بن أحمد : سمعت فى سنة سبع وأربعين ومائتين . محمد بن ادريس الرازى أبا حاتم يقول : يقدم عليكم رجل من أهل خراسان لم يخرج منها أحفظ منه ولا قدم العراق أعلم منه فقدم علينا محمد بن اسماعيل بعد شهر . وهكذا كانت مكانة البخارى فى عصره ينتظر قدومه ويحتفل به قبل شهر من زيارته ، وقد عقد امتحان معضل فى بغداد مدينة العلم والعلماء فاجتازه بمهارة رائعة مذهلة .

عن أحمد بن الحسن الرازى قال : سمعت أبا أحمد بن عدى يقول : سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن اسماعيل البخارى

---

١ ــ تاريخ بغداد ــ طبقات السبكى جـ ٢ .

٢ ــ مقدمة فتح البارى جـ ٢ ص ٢٠٠ .

قدم بغداد فسمع به اصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا الى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الاسناد لاسناد آخر واسناد هذا المتن لمتن آخر .

ودفعوا الى عشرة أنفس الى كل رجل عشرة أحاديث وأمروهم اذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخارى وأخذوا العدة للمجلس فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب اليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال البخارى « لا أعرفه » فسأله عن آخر فقال : « لا أعرفه » فما زال يلقى عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخارى يقول : لا أعرفه فكان الفهماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم الى بعض ويقولون : الرجل فهم ، ومن كان منهم غير ذلك يقضى على البخارى بالعجز والتقصير وقلة الفهم ثم انتدب آخر من العشرة ، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة فقال البخارى : لا أعرفه فسأله عن آخر فقال لا أعرفه فلم يزل يلقى عليه واحدا بعد الآخر حتى فرغ من عشرته والبخارى يقول : لا أعرفه ثم انتدب اليه الثالث والرابع الى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة والبخارى لا يزيدهم على ألا أعرفه فلما علم البخارى أنهم قد فرغوا التفت الى الأول منهم فقال : أما حديثك الأول ، فهو كذا والثانى فهو كذا .. والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن الى اسناده . وكل اسناد الى متنه وفعل بالآخرين مثل ذلك ورد متون الأحاديث كلها الى اسانيدها واسانيدها الى متونها فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل (١) قال : الحافظ بن حجر وهنا يخضع للبخارى فما العجب من رده الخطأ الى الصواب . فانه كان حافظا بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه من مرة واحدة واذا علمنا

---

١ ـ طبقات الشافعية جـ ٢ ص ٦ .

أن الامتحان كان من علمـــاء بغداد فى عصرها الذهبى الزاهر بعلمـــاء الاسلام ازداد تقديرنا لمواهب البخارى العلمية ،ومن هذا الامتحان الذى اجتازه البخارى يتبين بوضوح أن البخارى كان موسوعة علمية بمعرفة جميع الأحاديث بأسانيدها ومتونها ولهذه المقدرة العلمية حاز ثقـــة العلماء فالتف حول مجلسه عشرات الآلاف ينهلون من فيضه وشهدوا له بالحفظ والسبق ، عن صالح بن محمد البغدادى يقول : كان محمد ابن اسماعيل يجلس ببغداد وكنت استملى عليه ويجتمع فى مجلســـه أكثر من عشرين ألفا وقال ابو بكر محمد بن حريث : وسألت الفضـــل ابن العباس الرازى أيهما أحفظ ؟ ابو زرعة أم محمد بن اسماعيل ؟ .

فقال : لم أكن التقيت مع محمد بن اسماعيل فاستقبلنى بين حلوان وبغداد فرجعت معه مرحلة وجهدت على أن أجىء بحديث لا يعرفه فما أمكننى وأنا أغرب على أبى زرعة عدد شعره (١) .

وقال : عمرو بن على : حديث لا يعرفه محمد بن اسماعيل ليس بحديث . وقال محمد بن أبى حاتم : سمعت حاشد بن اسماعيل وآخر يقولان : كان أبو عبد الله محمد بن اسماعيل يختلف معنا الى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام وكنا نقول له : انك تختلف معنا ولا تكتب فما معناك فيما تصنع ؟ فقال لنا بعد ستة عشر يوما انكما أكثرتما على وألححتما فأعرضا على ما كتبتما فأخرجنا ما كان عندنا فزاد على خمســـة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم على حفظه ثم قال : أترون انى أختلف هـــدرا وأضيع أيامى ؟ فعرفنا انه لا يتقدمه أحد .

وكان أهل المعرفة من البصرة يعدون خلفه فى طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه ، على نفسه ويجلسوه فى بعض الطريق فيجتمـــع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه . وكان أبو عبد الله عند ذلك شابا لم يخرج وجهه (٢) .

---

١ ـ مقدمة فتح البارى لابن حجر ج ٢ ص ١٩٩ .
٢ ـ تهذيب الاسماء واللغات للنووى ج ١ ص ١٠ .

وكما أن البخارى حجة فى الحفظ فهو حجــة فى فهم علل الحديث ومرجع لكبار علماء عصره . وموضع اكبارهم واجلالهم قال ابراهيم الخواص :

رأيت أبا زرعة كالصبى جالسا بين يدى محمد بن اسماعيل يسأله عن علل الحديث (١) . وقال حاشد بن عبد الله : رأيت محمد بن رافع وعمرو بن زرارة عند محمد بن اسماعيل وهما يسألانه عن علل الحديث فلما قاما قالا لمن حضر : لا تخدعوا ان أبا عبد الله أفقه منا وأبصر (٢) . ويقول أبو حامد الأعمش : رأيت محمد بن اسماعيل فى جنازة ومحمد ابن يحيى الذهلى « امام نيسابور وشيخ البخارى » يسأله عن الأسماء والكنى وعلل الحديث والبخارى يمر فيها مثل السهم كأنه يقرأ « قل هو الله أحد » (٣) .

وقد شهد للبخارى تلميذان من تلامذته طبقت شهرتهما الآفاق .. هما الامام مسلم بن الحجاج والامام ابو عيسى الترمذى .

قال أحمد بن حمدون : جاء مسلم بن الحجاج الى البخارى فقبل بين عينيه وقال : دعنى أقبل رجليك يا أستاذ الأساتذة وياسيد المحدثين ويا طبيب الحديث فى علله (٤) .

ويقول له : لا يبغضك الا حاسد وأشهد أن ليس فى الدنيا مثلك .

قال أبو عيسى الترمذى : « لم أر بالعراق ولا بخراسان فى معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن اسماعيل » (٥) .

---

١ ـ الحديث المعل هو الذى اطلع فيه على علة تقدح فى صحته مع أن الظاهر السلامة منها . مقدمة ابن الصلاح ص ٩٨ وذلك كالارسال فى الموصول والوقف فى المرفوع .

٢ ـ التهذيب لابن حجر جـ ٩ ص ٥٣ .

٣ ـ البداية والنهاية جـ ١١ ص ٢٦

٤ ـ البداية والنهاية جـ ١١ ص ٩٦

٥ ـ تاريخ بغداد جـ ٢ ص ٢٧ .

نهج البخارى فى قراءة القرآن

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودليل رسالته . والداعى الى السنة والتزامها « وما أتاكم الرسـول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

والسنة هى المبينة للقرآن (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) من هذين المصدرين أشرقت الرسالة المحمدية فمن درس القرآن عرف مكانة السنة وشغف بها ومن عرف السنة فهم القرآن أدق فهم ، فأمير المؤمنين فى الحديث من الطبيعى أن يكون أعرف الناس بدلالة القرآن ومعانيه وتفسيره فى ضوء السنة ومن هنا نبع شعوره بعظمـة القرآن وجلاله فلم يرتله بلسانه فقط ويقصره على حنجرته وانما يعمل فيه بصره وفكره ويشغل به قلبه وسمعه ويدقق فى أمثاله ويعرف حلاله من حرامه وهذه هى القراءة المجيدة المفيدة . التى جعل الله فيها الشفاء والرحمة .

سئل الدارمى عن حديث وقيل له ان البخارى قد صححه فقال : محمد بن اسماعيل أبصر منه ، وهو أكيس خلق الله ، عقل عن الله ما أمر به ونهى عنه فى كتابه ، وعلى لسان نبيه اذا قرأ محمد القرآن شغل قلبه وبصره وسمعه وتفكر فى أمثاله وعرف حلاله من حرامه (١) .

---

١ — ترجمة البخارى طبع المنيرية ص ٤٢ .



الباب الثانى

حياة البخارى العامة

« محمد بن اسماعيل كان أمة من الأمم
دينا فاضلا يحسن كل شىء »
العجلى

مكانة البخارى فى الصلاح والورع

ان سر نبوغ البخارى ووصوله الى المكانة العلمية الفريدة انما هو حبه لله ورسوله ولو لم يكن محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعاليمه . لما استطاع أن يصل الى هذه المكانة العلمية فى الأحاديث . فمن المعلوم أن طالب العلم لا ينبغ النبوغ القوى الا فيما حبب الى نفسه وانشرح له صدره .

وتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم كلها فياضة بالدعوة الى التقوى ومكارم الأخلاق .

ولا يكون مبالغا من يقول بأن البخارى رحمه الله اتخذ الرسول قدوته . وطبق تعاليمه على نفسه فاجتمعت فيه كل المعانى الكريمة .

فهو مكثر العبادة ، يصلى فيسلم وجهه وقلبه لله وينصرف بكليته اليه فى خشوع المؤمن السعيد بعبادته وقراءته .

عن محمد بن أبى حاتم الوراق قال : دعى محمد بن اسماعيل الى بستان بعض أصحابه فلما حضرت صلاة الظهر صلى القوم ثم قام للتطوع فأطال القيام فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه فاذا زنبور قد أبره فى ستة عشر موضعا وقد تورم من ذلك الجسد وكان آثار الزنبور فى جسده ظاهرة . فقال له بعضهم : كيف لم تخرج من الصلاة فى أول ما أبرك ؟

فقال : كنت فى سورة فأحببت أن أتمها وعن نسج بن سعيد قال (١) :

---

١ ــ فى الطبقات وتاريخ بغداد واما فى المقدمة « مقسم » .

كان محمد بن اسماعيل البخارى اذا كان أول ليلة من رمضان يجتمع اليه أصحابه فيصلى بهم ويقرأ فى كل ركعة عشرين آية وكذلك الى أن يختم القرآن ، وكان يقرأ القرآن فى السحر فى كل ثلاث ليال . وكان يختم بالنهار فى كل يوم ختمة ويكون ختمه عند الافطار فى كل ليلة ويقول عند كل ختم دعوة مستجابة (١) ، وهذا الاتصال الدائم بالله عن طريق العبادة أضفى عليه حسن المعاملة مع الناس فكان شديد الورع فى معاملته يخاف الشبهات .

قال أبو سعيد « بكر بن منير » : كان حمل الى محمد بن اسماعيل بضاعة انفدها اليه فلان اجتمع بعض التجار اليه بالعشية ، فطلبوها بربح خمسة آلاف درهم فقال لهم : انصرفوا الليلة فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوا منه تلك البضاعة بربح عشرة آلاف درهم فردهم وقال : انى نويت البارحة أن أدفع الى الذين طلبوا منى أمس بما طلبوا أول مرة وقال : لا أحب أن أغير نيتى (٢) ، وعن عبد الله بن محمد الصيارفى : كنت عند محمد بن اسماعيل فى منزله فجاءته جاريته وأرادت دخول المنزل فعثرت على محبرة بين يديه فقال لها : كيف تمشين ؟ قالت : اذا لم يكن طريق كيف أمشى ؟ فبسط يديه وقال : اذهبى فقد أعتقتك . فقيل له يا أبا عبد الله أغضبتك ؟ فقال : أرضيت نفسى بما فعلت (٣) .

فما أروع هذا السمو فى المعاملة ، شعر احساسه الدينى المرهف بأنه أغضب الجارية باعتراضه التأنيبى الرقيق اليها ، فكفر عن ذلك باعتاقها حتى يرضى نفسه الطيبة النقية ويقول : وراقه سمعته يقول لأبى معشر الضرير : اجعلنى فى حل يا أبا معشر فقال : من أى شىء ؟ فقال : رويت حديثا يوما عنك . فنظرت اليك وقد أعجبت به وأنت تحرك

---

١ ــ تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١١ .

٢ ــ طبقات الشافعية جـ ٢ ص ١٠ .

٣ ــ مقدمة الفتح جـ ٢ ص ١٩٥ لابن حجر .

رأسك ويديك فتبسمت من ذلك قال : أنت فى حل ـ يرحمك الله يا أبا عبد الله (١) .

وعن وراقه : سمعته يقول ما اغتبت أحدا قط منذ علمت أن الغيبة حرام .

وقال بكر بن منير : سمعت محمد بن اسماعيل البخارى يقول : انى لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبنى انى اغتبت أحدا (٢) . وسمعه وراقه يقول : لا يكون لى خصم فى الآخرة فقال له : لن بعض الناس ينقمون عليك التاريخ ويقولون فيه اغتاب الناس فقال : انما روينا ذلك ولم نقله من عند أنفسنا . وقد قال : النبى صلى الله عليه وسلم بئس اخو العشيرة (٣) ويقول ابن حجر : كان البخارى فى كلامه فى الرجل توق زائد وتحر بليغ فمن تأمل كلامه فى الجرح والتعديل فان أكثر ما يقول : سكتوا عنه ، فيه نظر ، تركوه ، ونحو هذا .

وقل أن يقول : كذاب أو وضاع وانما يقول كذبه فلان « ورماه فلان » يعنى بالكذب وهذا من شدة ورعه .

وعن الذهبى : أبلغ تضعيفه فى المجروح منكر الحديث . ويقول البخارى : (٤) كل من قلت عنه منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه ، وأكسبه ورعه التحرى فى الدقة والأمانة العلمية قال وراقه سئل عن خبر حديث فقال : يا أبا فلان تراني أدلس وقد تركت عشرة آلاف حديث لرجل فيه نظر وتركت مثلها أو أكثر منها لغيره لى فيه نظر ؟

وقد نفى النوم عن عينيه نفس أبيه مشغولة بالعلم والعبادة ومكارم الأخلاق ، قال وراقه : اذا كنت معه فى سفر يجمعنا بيت واحد الا فى القيظ ، فكنت أراه يقوم فى الليلة الواحدة خمسة عشرة مرة الى عشرين

---

١ ـ تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٣ .
٢ ـ الطبقات جـ ٢ ص ٩ لابن السبكى .
٣ ـ البداية والنهاية جـ ١١ ص ١١٩ .
٤ ـ الطبقات جـ ٢ ص ٩ لابن السبكى .

مرة . وفى كل مرة يأخذ القداحة فيرى نارا فى يده ويسرج ويخـرج أحاديثه فيعلم عليها ثم يضع رأسه . فقلت له : انك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظنى ؟ فقال : أنت شاب فلا أحب أن أفسد عليك نومك وكان يصلى وقت السحر ثلاث عشرة ركعة ويوتر منها بواحدة . وكان معه شيء من شعر النبى صلى الله عليه وسلم (١) .

وهذه الحالة النفسية من قيامه مرات بالليل تمثـل مدى اهتمامه بالعلم وتركيز الذهن فيه فكلما تذكر شيئا سجله وهذا خلق العلمـاء المنصرفين للتأليف والعلم ، وما أكرم خلقه وشعوره فى معاملته لتابعه ورافقه فى محافظته على راحته فلا يقلقه ويؤثر أن يصلح المصباح لنفسه وما أتقاه وأصفى نفسه فقبل أن يبدأ حياته العلمية فى الليـل يصفى نفسه بركعات تقربا الى ربه فى وقت الصفاء فى السحر وهذا هو نهج المحدث الذى يعيش مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كرم البخارى وزهده

ورث البخارى عن والده ثروة ضخمة مطهرة فلم يستغلها فى التنعم والتلذذ بالملذات الدنيوية بل عاش متقشفا زاهدا فى الترف الدنيوى ، أكثر ما ينعم به فى طعامه أن يأكل مع الخبز سكرة ولم يكن هذا التقشف كاذبا وطريقا خداعا الى الشح بالمال وادخاره كما يتوارى فيه بعض الناس وانما كان التقشف الصادق « ودليله الزهد فى المال وانفاقه فى أوجه البر والاحسان مؤمنا بقوله تعالى : « وما عند الله خير وأبقى » « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » .

يقول البخارى : كنت أستغل فى كل شهر خمسمائة درهم . فأنفقها فى الطلب وما عند الله خير وأبقى (٢) .

---

١ ــ تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٣ .

٢ ــ الطبقات جـ ٢ ص ١١ .

وقال : ورواقه كنا بفربر وكان أبو عبد الله يبنى رباطا (١) مما يلى بخارى فاجتمع بشر كثير يعينونه على ذلك وكان ينقــل اللبن فكنت أقول : يا أبا عبد الله انك تكفى ذلك ، فيقول هذا الذى ينفعنى ، وكان ذبح لهم بقرة فلما أدركت القدور دعا الناس الى الطعــام فكان معه بمائة نفس أو أكثر ولم يكن علم انه يجتمع ما اجتمع وكنا أخرجنا معه من « فربر » خبزا بثلاثة دراهم وكان الخبز اذ ذاك خمسة أمنان بدرهم فألقيناه بين أيديهم فأكل جميع من حضر وفضلت أرغفة صالحة ، وكان قليل الأكل جدا كثير الاحسان الى الطلبة مفرط الكرم (٢) ويتبين من بين سطور هذا القول مشاركته فى عمل الخير بالمحــافظة على ثغــور المسلمين وكرمه المفرط فاستحق اكرام الله له بوضع البركة فى طعامه .

والبخارى دائما لا يؤثر الدنيا على الآخرة ولا يرضى أن يبيع دينه بدنياه فهو بعيد النظر فى خطواته يضحى بالدنيا الفانية من أجل الآخرة الباقية ، يقول وراقه عنه : انه ورث من أبيه مالا جليلا وكان يعطيــه مضاربة (٣) فقطع غريم خمسة وعشرين ألفا فقيل له استعن بكتاب الوالى فقال : ان أخذت منهم كتابا طمعوا ولن أبيع دينى بدنيــاى ثم صالح غريمه على أن يعطيه كل شهر عشرة دراهم وذهب ذلك المال كله (٤) واستبدل البخارى أمواله أضعافا مضاعفة فى سـجل الحسنات وكان مصير هذه الثروة الجليلة التى ورثها أن أقرضها لله ابتغاء وجهه ورضوانه وأصبح غنيا برضاء الله له . وبما هداه اليه من ثروة علمية قال عمر بن حفص الأشــقر : كنا مع محمد بن اسماعيل بالبصرة نكتب الحديث ففقدناه أياما : فطلبناه فوجدناه فى بيت وهو عريان وقد نفد ما عنده ولم يبق شىء فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم حتى اشترينا له ثوبا وكسوناه

---

١ ــ فى مختار الصحاح الرباط ما تشد به الدابة والرباط أيضا ــ المرابطة وهى ملازمة الثغور ضد العدو . ورباط الخيل مرابطتها .

٢ ــ ترجمة البخارى ص ١٣ ط المنيرية .

٣ ــ شارة فى المال من المضاربة وهى القراض « مختار الصحاح » .

٤ ــ مقدمة فتح البارى جـ ٢ ص ١٩٤ .

ثم اندفع معنا فى كتابه الحديث (١) . والكريم قريب من الله وهو معه يرزقه من حيث لا يحتسب تأخرت نفقته حتى جعل يتنـاول حشيش الأرض فلما كان فى اليوم الثالث يقول : أتانى رجل لا أعرفه فأعطانى صرة فيها دنانير (٢) .

ووطد البخارى نفسه على أن يكون فى ذروة الثقاة الأطهار الأبرار بكل ما تشمله التقوى من المعانى السامية النبيلـة حتى يكون ربانيا يدعو فيستجاب له :

وهذا المنهج الذى رسمه لحياته وطبقه أتم تطبيق كان ينـادى به ويدعو المسلمين اليه ويريد أن يكون كل مسلم متحليا بالتقوى التى تؤهله لاسـتجابة الدعاء منه ، ولا ينبغى للمسلم أن يكون غير ذلك يقول وراقه قال البخارى : « ماينبغى للمسلم أن يكون بحالة اذا دعا لم يستجب له » والدعوة الى التقوى والعبادة وتذكر الموت وحسن الخلق كانت طبيعته ودعوته التى دائما يدعو اليها حتى فيما أثر عنه من أشعار قليلة قال الحاكم ابو عبد الله (٣) : قرأت بخط أبى على المستملى وأنشد البخارى :

أغتنم فى الفراغ فضل ركوع   فعسى أن يكون موتك بغته
كم صحيح رأيت من غير سقم   ذهبت نفسه الصحيحة فلته

قال وأنشد أيضا :

خالق الناس بخلق واسـع   لا تكن كلبا على الناس تهر

وقـال :

أن تبق تفجع بالأحبة كلهم   وفناء نفسك لا أبالك أفجع

---

١ ـ تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٢ .
٢ ـ الطبقات جـ ٢ ص ١١ .
٣ ـ الطبقات الشافعية جـ ٢ ص ١٥ ومقدمة الفتح جـ ٢ ص ١٩٦ .

فأشعاره (١) تدعو الى لزوم عدم ضياع الوقت بل ينبغى اشغاله بالعبادة وأن يكون المسلم صاحب خلق حسن يسلم الناس من شره وضرره « وينتفعون بخيره وبره » .

مهارته واستعداده للجهاد

والبخارى الذى اهتم بحفظ الحديث وفهمه اهتم بتطبيق ما أمر الله به ورسوله فاتخذ هذا منهجا فى سيرته فكانت حميدة للغاية رائعة فى كل جوانبها .

عرف قيمة الجهاد فى الاسلام وشجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومهارته فى الحرب فاتخذه القدوة الحسنة فتعلم استعمال آلات الحرب واتقن الجهاد ونبغ فى أشق أمور الحرب وأرقاها حينئــذ وهو الرمى « وكان فيه الممتاز على غيره بحيث لا يخطىء الهدف اذا رماه مرات عديدة » (٢) واهتم بثغور المسلمين الاهتمام البالغ ولم يشغله العلم عن ذلك وهكذا النفوس الكبيرة كما يقول ابن سينا : لا يشغلها شىء عن شىء والنفوس النقية يبارك الله لها فى وقتها بفضل الاخلاص والعمل . قال وراق البخارى : رأيته استلقى ونحن « بفربر » فى تصنيف كتاب التفسير وكان أتعب نفسه فى ذلك اليوم فى التخــريج فقلت له : انى سمعتك تقول : ما أتيت شيئا بغير علم فما الفائدة من الاستلقاء ؟ قال : أتعبت نفسى اليوم وهذا ثغر خشيت أن يحدث فيه حدث من أمر العدو فأحببت أن أستريح وآخذ أهبة وان غافصنا العدو « فاجأنا على غرة » كان بنا حراك وقال : كان ابو عبد الله البخارى يركب الى الرمى كثيرا فما أعلم فيما رأيته فى طول ما صحبته أخطأ سهمه الهدف الا مرتين ، بل كان يصيب فى كل ذلك ولا يسبق قال : ركبنا يوما الى الرمى ونحن بفربر فخرجنا الى الدرب الذى يؤدى الى الفرضة فجعلنا نرمى فأصاب سهم أبى عبد الله وتد القنطرة التى على النهر فانشق الوتد فلما رأى

---

١ ــ ترجمة البخارى المطبعة المنيرية ١٦ .
٢ ــ ترجمة البخارى المنيرية .

ذلك نزل عن دابته فأخرج السهم من الوتد وترك الرمى وقال لنا : أرجعوا . فرجعنا . فقال لى وهو يتنفس الصعداء : يا أبا جعفر لى اليك حاجة فقلت نعم . قال : تذهب الى صاحب القنطرة فتقول : انا أخللنا بالوتد ، فنحب أن يأذن لنا فى اقامة بدله ، أو تأخذ ثمنه وتجعلنا فى حل مما كان منا . وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر فقال لى : ابلغ أبا عبد الله السلام وقل له : أنت فى حل مما كان منك ، فان جميع ملكى لك الفداء . فأبلغته الرسالة فتهلل وجهه وأظهر سرورا كثيرا . وقرأ ذلك اليوم للغرباء خمسمائة حديث وتصدق بثلاثمائة درهم (١) .

قضية البخارى مع محمد بن يحيى الذهلى

محمد بن يحيى الذهلى شيخ المحدثين بنيسابور ومن تلامذته البخارى ومسلم بن الحجاج ومجلسه فى نيسابور قبلة العلماء ومجمعهم العلمى وعندما قدم البخارى نيسابور كان محمد بن يحيى الذهلى من المرحبين به العارفين قدره فى علمه وصلاحه فأوصى الناس بالاستفادة من علم البخارى ــ وما كان يدور بخلده : أن مجلس البخارى سيحظى بالاقبال الفائق حتى ينصرف الناس الى مجلسه فيحصل الخلل فى مجلس الذهلى .

قال الحسن بن محمد بن جابر « قال لنا الذهلى لما ورد البخارى نيسابور . اذهبوا الى الرجل الصالح فاسمعوا منه فذهب الناس اليه وأقبلوا على السماع منه حتى ظهر الخلل فى مجلس الذهلى فحسده بعد ذلك وتكلم فيه » (٢) .

وكان أثر فتنة القول بخلق القرآن كما هو رأى القاضى أحمد بن أبى داود المعتزلى ومن معه من المعتزله الذين ينكرون الصفات القديمة لله ومنها الكلام خوف تعدد القدماء على زعمهم ، وما دروا أن الممنوع هو تعدد الذوات لا الصفات لذات واحدة وكانت هذه الفتنة قد ظهرت

---

١ ــ تهذيب الاسماء جـ ١ ص ٧٥ والطبقات جـ ٢ ص ١٠ .

٢ ــ طبقات الشافعية جـ ٢ ص ١١ لابن السبكى .

فى عهد المعتصم والواثق وأوائل عهد المتوكل وكانت مثار خلاف المعتزله فى مقابل أهل السنة القائلين بقدم القرآن ـ كلام الله القـديم معناه ومدلوله قديم وهو نوع من أنواع صفة الكلام النفسية القديمـة القائمة بذاته تعالى .

وكان مع المعتزلة الحكام المتأثرون بهم وعلى رأسهم المأمون وامتحن فيها كبار أهل السنة ومنهم الامام أحمد بن حنبـل واحمد بن نصر الخزاعى وأبو يعقوب البويطى واستعر أوار الفتنة حتى أدت الى مختلف أنواع التعذيب واستمرت من سنة ٢١٨ ـ ٢٣٤ هـ حتى أخمدها المتوكل وانتصر لأهل السنة ونهى عن الكلام فى هذه المسأله والنهى عن الكلام فى مشاكل علم الكلام هو شأن السلف فقد ضرب عمر بن الخطاب من يتكلم فى القدر وطرده وقال مالك للسائل عن معنى الاستواء : الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة وهذا هو منهج أحمد بن حنبل كما هو منهج البخارى .

والقرآن كلام الله غير مخلوق كما عليه أهل السنة والحق هـو ما ذهب اليه الامام البخارى . وهناك فرق بين القرآن وبين القراءة كما يقول البخارى : يقال فلان حسن القراءة وردىء القراءة ولا يقال حسن القرآن ولا ردىء القرآن فالقديم القرآن وهذا (١) ما قال به السلف وأما التلفظ فذهب أهل السنة بل جميع الأمة الى أن التلفظ بالقرآن أى حرفية اللفظ وصوته الذى تنطقه ألسنتنا وتتلفظ به وتكتبه أيدينا حادث غير قديم ولا عبره لما ينسب الى الحنابلة عن طريق جماعة من غلاه الحشوية من أنه قديم أيضا فهى رواية شاذة معارضة لصريح العقل ومنافية لصحيح النقل وما روى عن الامام أحمد رضى الله عنه من رميه من زعم ذلك بالاعتدال والكفر فعلى تسليم صحته وانه ليس من وضع الحشوية التى انتسبت ظلما اليه وأساءت أبلغ الاساءة لمذهبـه ليس محمـولا على ظاهره بل المراد منه التنفير من التصريح به والزجر عن الخوض فيه خشية أن يتأثر ويجره ذلك الى القول بمذهب الاعتزال

---

١ ـ مقتبس من كلام مقدمة البخارى لفضيلة الشيخ عبد الغنى بتصرف ص ٨٧ .

وانكار صفة الكلام القديمة أو خشية أن يتأول متأول ويحملـه على مذهب المعتزلة ويشنع بقائله ويؤكد ذلك قول ابن السبكى فى ترجمة الحسين بن على الكرابيسى صاحب الشافعى (١) .

قيل للكرابيسى « ما تقوله فى القرآن قال كلام الله غير مخلـوق فقال له السائل فما تقول فى لفظ القرآن ؟ فقال : لفظك به مخـلوق فمضى السائل الى أحمد بن حنبل فشرح له ما جرى فقال هذه بدعـة والذى عندنا أن أحمد بن حنبل ، رضى الله عنه أشار بقوله هذه بدعة الى الجواب عن مسألة التلفظ اذ ليست مما يعنى المرء وخوض المرء فيما لا يعنيه من الكلام بدعة فكان السكوت عن الـكلام فيه أجمل وأولى . ولا يظن بأحمد رضى الله عنه أنه يدعى أن اللفظ الخـارج من بين الشفتين قديم . ومقالة الحسين هذه قد نقل مثلها عن البخارى والحارس بن أسد المحاسبى ومحمد بن نصر المروزى وغيرهم فمن جراء فتنة خلق القرآن وما كان لها من أثر فى أهانة كثير من الصالحين تغـالى بعض العامة واشتبه عليهم فبدعوا كل من قال بحدوث ما يمس عوارض القرآن .

وقد استغل محمد بن يحيى الذهلى كراهية النفوس لمن يتكلم فى القرآن فأراد أن يوقع البخارى فى هذا الأمر حتى ينفر الناس عن مجلسه وينسبوه الى الاعتزال .

قال الحافظ بن عدى (٢) ذكر لى جماعة من المشايخ أن محمد بن اسماعيل لما ورد نيسابور واجتمع الناس عنده حسـده بعض شيوخ الوقت فقال لاصحاب الحديث ان محمد بن اسماعيل يقـول : لفظى بالقرآن مخلوق فلما حضر المجلس قام اليه رجل ، فقال : يا أبا عبد الله ما تقول فى اللفظ بالقرآن مخلوق هو ؟ أو غير مخلوق ؟ فأعرض عنه البخارى ولم يجبه ثلاثا . فألح عليه . فقال البخارى القرآن كلام الله غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقة والامتحان بدعة فشغب الرجل وقال

---

١ ــ طبقات الشافعية جـ ١ ص ٥٢ .

٢ ــ الطبقات ٢ ص ١١ ومقدمة الفتح جـ ٢ ص ٢٠٢ .

قد قال لفظي بالقرآن مخلوق وشغب الناس وتفرقوا عنه ، فالبخاري يلتزم لمذهب السلف فيتحرج عن الخوض صراحة فيما يثير الفتن ويعرض عن السائل ويعترض عليه مبينا له بأن الامتحان في مثل هذا الأمر انما هو بدعة وهذا هو رأي السلف كالامام مالك والامام أحمد فالسكوت عند عدم الاحتياج اليه سنة ولكن عند الاحتياج اليه يضطرالعالم لتبين الصواب وهذا هوما رآه البخاري وقال محمد بن يوسف الفربري (١).

سمعت أبا عبد الله محمد بن اسماعيل يقول ان أفعال العباد مخلوقة فقد حدثنا علي ابن عبد الله حدثنا مروان بن معاوية حدثنا أبو مالك عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يصنع كل صانع وصنعته قال أبو عبد الله وسمعت عبيد الله بن سعيد يقول « ما زلت أسمع أصحابنا يقولون أن أفعال العباد مخلوقة قال أبو عبد الله البخاري حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف المسطور المكتوب الموعى في القلوب فهو كلام الله غير مخلوق قال تعالى «بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم» زاد في المقدمة قال : وقال اسحق بن راهوية أما الأوعية فمن يشك انها مخلوقة ؟وقال في الطبقات وقال البخاري يقال فلان حسن القراءة ورديء القراءة ولا يقال حسن القرآن ورديء القرآن وانما ينسب ذلك الى القرآن لأن القرآن كلام الرب والقراءة فعل العبد وليس لأحد أن يشرع في أمر الله بغير علم زعم بعضهم ان القرآن بألفاظنا وألفاظنابه شيء واحد والتلاوة هي المتلو والقراءة هي المقروء فقيل له أن التلاوة فعل القارىء وعمل التالي فرجع وقال ظننتهما مصدرين فقيل له هلا أمسكت كما أمسك كثير من أصحابك ، ولو بعثت الى من كتب عنك واستردت ما أثبت وضربت عليه فزعم أن كيف يمكن هذا ؟ وقال قلت ومضى فقلت له كيف جاز أن تقول في الله شيئا لا يقوم به شرح وبيان اذ لم تميز بين التلاوة والمتلو ؟ فسكت اذ لم يجد عنده جوابا .

---

(١) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ٣١ والطبقات جـ ٢ ص ١١ ومقدمة الفتح جـ ٢ ص ٢٠٣ .

وقد حقق التاج السبكى فى طبقاته (١) موقف البخارى فقال كان البخارى على ما روى فيه ممن قال لفظى بالقرآن مخلوق وقال محمد ابن حسن الزهلى : من قال وزعم أن لفظى بالقرآن مخلوق فهو مبتدع وانما أراد محمد بن يحيى والعلم عند الله ما أراده أحمد بن حنبل من النهى عن الخوض فى هذا ولم يرد مخالفة البخارى وأن خالفه وزعم أن لفظه الخارج من بين شفتيه المحدثتين قديم فقد باء بأمر عظيم والظن به خلاف ذلك وانما أراد هو وأحمد وغيرهم من الأئمة النهى عن الخوض فى مسائل الكلام . وكلام البخارى عندنا محمول على ذكر ذلك عند الاحتياج اليه فالكلام عند الاحتياج اليه واجب والسكوت عنه عند عدم الاحتياج اليه سنة فافهم ذلك ودع خرافات المخرفين واضرب صفحا عن تمويهات الضالين الذين يظنون انهم محدثون وانهم عند السنة واقفون وهم عنها مبعدون .

وكيف يظن بالبخارى انه يذهب الى شىء من أقوال المعتزلة وقد صح عنه فيما رواه الفربرى وغيره انه قال انى لا ستجهل من لا يكفر الجهميه ؟ ولا يرتاب المنصف فى أن محمد بن يحيى الذهلى لحقته آفة الحسد التى لم يسلم منها الا أهل العصمة وقد سأل بعضهم البخارى عما بينه وبين محمد بن يحيى فقال البخارى كم يعترى محمد بن يحيى الحسد فى العلم والعلم رزق الله يعطيه من يشاء .. ولقد أبان البخارى عن عظيم ذكائه حيث يقول وقد قال له أبو عمرو بن الخفاف أن الناس خاضوا فى قولك فقال : يا أبا عمرو من زعم أنى قلت لفظى بالقرآن مخلوق . فهو كذاب فانى لم أقلـه الا أنى قلت أفعال العباد مخلوقة قلت : تأمل كلامه ما أذكاه ومعناه والعلم عند الله انى لم أقل ان لفظى بالقرآن مخلوق لان الكلام فى هذا خوض فى مسائل الكلام وصفات الله لا ينبغى الخوض فيها الا للضرورة ولكن قلت أفعال العباد مخلوقة وهى قاعدة مغنية عن تخصيص هذه المسألة بالذكر فان كل عاقل يعلم ان الفاظنا من جملة أفعالنا وأفعالنا مخلوقة ولقد أفصح بهذا المعنى فى

---

١ ــ طبقات الشافعية جـ ٢ ص ١٢ .

رواية أخرى صحيحة عنه رواها حاتم بن أحمد الكندى فقال سمعت مسلم بن الحجاج فذكر الحكاية المتقدمة وفيها أن رجلا قام الى البخارى وسأله عن اللفظ بالقرآن ؟ فقال أفعالنا مخلوقة وألفاظنا من أفعالنا وفى الحكاية انه وقع بين القوم اذ ذاك اختلاف على البخارى فقال بعضهم قال : لفظى بالقرآن مخلوق وقال آخرون لم يقل فلم يكن الانكار الا على من يتكلم فى القرآن وقد اضطر البخارى لأن يسكن الفتنة بخروجه من نيسابور الى بخارى وقد روى انه لما قام مسلم بن الحجاج واحمد ابن مسلمة من مجلس محمد بن يحيى بسبب البخارى . قال الذهلى لايساكننى هذا الرجل فى البلد فخشى البخارى وسافر ، فنجد أن البخارى فى محنته هذه لم يقترف اثما وأن ما أثير حوله انما هو وليد الحسد من النفوس البشرية ومحمد بن يحيى رحب بالبخارى عند قدومه ولكن الشيطان للانسان عدو مبين فحسده عندما رأى انه احتل مكان الصدارة والتف حوله القوم وتركوا الذهلى فاستغل اثارة النفوس وحساسيتها بالنسبة لفتنة القرآن وتابعه على ذلك الذين انتقدهم البخارى وجرحهم بالتضعيف واستعملوا التشويش على العامة الذين لا يفرقون بين القرآن والقراءة وكان البخارى دقيقا فى تعبيره ملتزما مذهب السلف حيث أعرض عن السائل أولا ثم لما ألح عليه بين له أن السؤال بدعة وأجابه اجابة بينة لأن أفعال الرجال مخلوقة وألفاظنا من أفعالنا وكان فى اجابته الضمنية الدليل على صدق قوله ومع ذلك فقد آثر السفر الى بخارى حتى لا تكون فتنة وهو فى ذلك لم يخالف السلف بل كان على مذهب أستاذه الأمام أحمد الذى يرى ان التبرع بالكلام فيما يثير الجدل بالنسبة الى صفات الله انما هو بدعة والقرآن عند محمد بن اسماعيل هو كلام الله غير مخلوق قال محمد بن نعيم (١) سألت محمد بن اسماعيل لما وقع فى شأنه ماوقع عن الايمان فقال قول وعمل يزيد وينقص والقرآن كلام الله غير مخلوق وافضل الصحابة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على وعلى هذا حييت وعليه أموت وعليه أبعث ان شاء الله .

---

١ ــ التهذيب جـ ٩ ص ٥٣ لابن حجر .

اعتزاز البخارى بعلمه
ومحنته مع امير بخارى خالد بن احمد الذهلى

ترك البخارى نيسابور أيثارا للسلامة وعدم الفتنة وذهب الى بلدته بخارى واستقبل اروع استقبال « فنصبت له القباب على فرسخ من البلد واستقبله عامة أهل البلد حتى لم يبق مذكور ونثر عليه الدراهم والدنانير » (١) .

والتف حوله الناس فى مجلسه فى المسجد والمنزل والكل عنده سواء فى توجيه العناية والاستفادة من علمه ونشر سنة النبى صلى عليه وسلم فوجد فيه العلماء أنه الأمل المرجو والمرجع الأصيل فأقبلوا عليه للاستفادة منه ، ومثل البخارى فى اخلاصه للعلم وقوته يهمه أن يرضى نهم الناس ارضاء الله وأن يكون النفع عاما للجميع وليس لديه من الوقت فسحة للدرس الخاص وليس فى نفسه الدافع الى التقرب الى الأمير على حساب مصلحة الغير لانه استمد جاهه واحترامه من سلطان العلم ، وشعور العالم برضاء ربه وسيره فى طريقه وتأدية رسالته يكسب العالم سعادة كاملة وعزاوسلطانا وكيانا يرى نفسه فى وضع كريم غير محتاج الا لله وحده ، فلما طلب أمير بخارى خالد بن أحمد أن يأتيه بكتبه حتى يسمعها له ولأولاده فى قصره خاصة رفض البخارى أن يستجيب لطلبه وقال « فى بيت العلم والحلم يؤتى » فأفهمه أن العلم يسعى اليه فراسله الأمير طالبا ان يعقد مجلسا لاولاده لا يحضره غيرهم ويحضر الأولاد اليه فامتنع أيضا وقال « لا يسعنى أن أخص بالسماع قوما دون آخرين » . قال أبو سعيد بكر بن منير البخارى « بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلى والى بخارى وخليفة ابن طاهر الى محمد بن اسماعيل ان احمل الى كتاب الجامع والتاريخ وغيرهما لأسمع منك فقال محمد

---

١ ـ مقدمة الفتح جـ ٢ ص ٢٠٥ .

ابن اسماعيل لرسوله قل له : انى لا أذل العلم ولا أحمله الى أبواب ، السلاطين فأن كان لك الى شيء منه حاجة فأحضرنى فى مسجدى أو فى دارى وان لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعنى من الجلوس ليكون لى عذر عند الله يوم القيامة لأنى لا أكتم العلم لقول النبى صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجم بلجام من نار . فكان سبب الوحشة بينهما هذا (١) .

فأصر الأمير فى نفسه العداوة للبخارى وصار يتحين له الفرص حتى وصله كتاب محمد بن يحيى الذهلى الذى لم يكتف بصرف الناس عن البخارى فى نيسابور فلم يقنع برحيله منها رغبة فى تسكين الفتنة فواصل عداءه للبخارى بكتاباته للولاة والعلماء بالتشنيع على البخارى بمسألة اللفظ ورميه بالاعتزال جذافا وبهتانا وممن كتب اليهم من العلماء أبو حاتم وأبو زرعة الرازى كما كتب الى الأمير خالد بن يحيى الذهلى نائب الطاهرية ببخارى فلما وصل الأمير كتاب الذهلى انتهز الفرصة للانتقام من البخارى وأراد أن يصرف الناس عن السماع منه وكان البخارى فى جامع بخارى مجلس يجلس فيه لاملاء العلم اليهم وكانوا يعظمونه جد التعظيم ويكرمونه أشد التكريم فلم ينفذوا ارادة الأمير ورغبته واستمروا فى التلقى عنه فأمر الأمير عند ذلك بنفيه وساعده جاهه على اخراجه من بلده وقال أبو بكر بن أبى عمرو الحافظ وممن ساعد على ذلك خالد بن أبى الورقاء وغيره من أهل العلم ببخارى حتى تكلموا فى مذهبه فنفاه عن البلد فخرج رضى الله عنه الى بيكند « بلده بين جيحون وبخارى على مرحلة منها » ثم الى خرتنك قرية تبعد عنها فرسخين أو ثلاثة وعند خروجه دعا عليهم فقال : اللهم أرهم ما قصدونى به فى أنفسهم وأولادهم وأهلهم فاما خالد فلم يأت عليه ألا أقل من شهر حتى ورد أمر الظاهرية بأن ينادى عليه فنودى عليه وهو على أتان وأشخص على أكاف ثم صار عاقبة أمره الى ما قد اشتهر وشاع من

---

١ ـ تاريخ بغداد جـ ٢ ص ٣٢ طبقات الشافعية جـ ٢ ص ١٤ مقدمة البخارى للشيخ عبد الغنى ص ٩٢ التهذيب لابن حجر جـ ٩ ص ٥٢ .

من سجنه فى بغداد حتى أن مات ولم يبق أحد ممن ساعده فى أخراج البخارى الاابتلى شديد البلاء وأما حديث ابن أبى الورقاء فانه ابتلى بأهله فرأى منهم ما يجل عن الوصف وأما فلان أحد القوم وسماه فانه ابتلى باولاده وآراه الله منهم البلايا (1) والبخارى فى موقفه هذا يمثل عزة العلماء وتوكلهم على الله واستمدادهم القوة والعزة من الله وحده وقد وصل بطهارته وعلمه وصفاته الخلقية الى درجة يدعو الله فيستجيب له.

مكانة البخارى فى عصره

ان أبا عبد الله البخارى بعلمه وعقله وخلقه ودينه وصل الى درجة رفيعة فى الكمال الانسانى أجبرت الدنيا بأن تتطلع اليه وانطقت الألسن والقلوب بالثناء عليه .

ورغم نباهه شأن شيوخه وأقرانه وعلماء عصره الزاهر بالعلم فانه استطاع أن يصل فى سلم الارتقاء الى درجات عالية تصعب على أفذاذ العلماء .

وقد تتابعت الروايات فى نباهة شأنه وتقدمه والشهادة له بالامامة فى العلم . واكتظت كتب الطبقات بالأسهاب فى هذا المعنى اسهابا لم يتوفر فى أى ترجمة من تراجم العلماء .

والمقدرون له الشاهدون بفضله على حد تعبير الامام النووى هم الأعلام أئمة المسلمين أولو الورع والدين والحفاظ النقاد المتقون الذين لا يجازفون بالعبارات بل يتأملونها ويحررونها ويحافظون على صياتنها أشد المحافظات .

والناظر يجد أن هذه الروايات انما تمثل أجماع المسلمين فى عصر البخارى اذ هى تشع من مراكز اشعاع العلوم بالعالم الاسـلامى ولم يقتصر ذلك على أهل بلد بعينه وقد نسق الخطيب البغدادى هذه الروايات

---

1 ـ التهذيب جـ ٩ ص ٥٢ لابن حجر .

وقسمها بحسب أصحابها الى فصول ممتعة تبين أن مكانة البخارى مكانة عالمية قد طبقت الآفاق وان علمه أشرق على دنيا الاسلام فى عصره وان له الأثر الحسن فى كل بلد بما تركه فيه من علم نافع وخلق كريم وذكر هذه الروايات الذهبى فى سير أعلام النبلاء وذكرها باسهاب الخطيب البغدادى تحت العناوين الآتية (وصف البصريين ومدحهم للبخارى) (وصف أهل الحجاز والكوفه) (ذكر البغدادين فضله) (قول أهل الرى فيه) .

(ما حفظ عن أهل خراسان وما وراء النهر من القول فيه)

وحسبى أن أمر سريعا قانعا بذكر نماذج من تلك التقريرات لكى يعطينا فكرة واضحة عن مكانة البخارى فى عصره وتدلنا على أنه نشأ للعلم عظيما مقدرا منذ وجد وهذا انما يثبت فى النفوس قيمة مروياته ويبين لنا جليل عمله وفى طبيعة هذه النصوص القوة المعبرة التى لا تحتاج الى تعليق .

عن حاشد بن اسماعيل يقول كنت بالبصرة فسمعت قدوم محمد بن اسماعيل فلما قدم قال محمد بن يسار : دخل اليوم سيد الفقهاء . ويقول بندار محمد بن بشار : ما قدم علينا مثل محمد بن اسماعيل . وعن أبى يوسف بن ريان قال : سمعت محمد بن اسماعيل يقول كان على ابن المدينى يسألنى عن شيوخ خراسان فكنت أذكر له محمد بن سلام فلا يعرفه الى أن قال لى يوما يا آبا عبد الله : كل من أثنيت عليه فهو عندنا الرضا — ويقول البخارى ما تصاغرت نفسى عند أحد الى عند على بن المدينى فيقول على زروا قوله هو ما رأى مثل نفسه . وبلغ من تقدير القوم له وثقتهم به أنه الجامع الحديث،أن يقول عمرو بن على حديث لا يعرفه محمد بن اسماعيل ليس بحديث . ويقول أبو معشر حمدوية بن الخطاب لما قدم أبو عبد الله محمد بن اسماعيل من العراق قدمته الأخيرة تلقاه من الناس وازدحموا عليه وبالغوا فى بره . فقيل له فى ذلك وفيما كان من كرامة الناس وبرهم فقال كيف ولو رأيتم يوم دخولنا البصره .

وقد كان معلوما للقوم ان الحديث اذا انتخبه محمد بن اسماعيل اتسم بالصحة وأصبح ذلك شهادة بصحته .

عن أبى حاتم قال : سمعت محمد بن اسماعيل يقول « كان اسماعيل ابن أبى أويس اذا انتخبت من كتابه نسخ تلك الأحاديث لنفسه وقال هذه أحاديث انتخبها محمد بن اسماعيل من حديثى . وقال أبو حاتم : سمعت حاشد بن عبد الله يقول . قال لى أبو مصعب أحمد بن أبى بكر المدينى : محمد بن اسماعيل أفقه عندنا وأبصر من ابن حنبل فقال له رجل من جلسائه جاوزت الحد فقال أبو مصعب لو أدركت مالكا ونظرت الى وجهه ووجه محمد بن اسماعيل لقلت كلاهما واحد فى الفقه والحديث . وهذه الرواية انما تعنى الشبّه فى الفقه والحديث والا فملامح الوجه والجسم لا تفيد تعظيما أو تكريما .

وعن محمود بن النصر أبى سهل الشافعى يقول : دخلت البصره والشام والحجاز والكوفه وجالست علماءها فكلما جرى ذكر محمد بن اسماعيل فضلوه على أنفسهم . وعن عبد الله بن احمد ابن حنبل عن أبيه الامام احمد انه قال : ما أخرجت خراسان مثل محمد بن اسماعيل ويقول يعقوب بن ابراهيم الدورقى محمد بن اسماعيل فقيه هذه الأمة . وعن موسى بن هارون الحمال ببغداد يقول عندى لو أن أهل الاسلام اجتمعوا على أن ينصبوا مثل محمد بن اسماعيل آخر لما قدروا عليه ـ وعن أبى العباس محمد بن عبد الرحمن الفقيه يقول كتبت أهل بغداد الى محمد بن اسماعيل .

المسلمون بخير ما بقيت لهم
وليس بعدك خير حين تفتقد

وعن وراقه سمعت محمد بن اسماعيل يقول : قال لى محمد بن سلام انظر فى كتبى فما وجدت فيها من خطأ فاضرب عليه كى لا أرويه ففعلت ذلك وكان محمد بن سلام كتب عند الأحاديث التى أحكمها محمد بن اسماعيل رضى الفتى وعند الأحاديث الضعيفة لم يرض الفتى فقال له

بعض أصحابه من هذا الفتى ؟ فقال هــو الذى ليس مثلــه محمد بن اسماعيل ــ والمقصود ليس مثله فى عصره طبعا .

وبلغ من حب القوم لمحمد بن اسماعيل أنهم يتمنون أن يفدوه بأنفسهم حفظا للعلم . عن يحيى بن جعفر يقول لو قدرت أن أزيد فى عمر محمد ابن اسماعيل لفعلت فأن موتى يكون موت رجل واحد وموت محمد بن اسماعيل ذهاب العلم . ويقول فيه رجاء بن المرجى محمد بن اسماعيل آية من آيات الله يمشى على الأرض وعن أبى عيسى الترمذى تلميــذ البخارى صاحب الصحيح يقول : كان محمد بن اسماعيل عند بن منير فلما قام من عنده قال : يا أبا عبد الله جعلك الله زين هذه الأمة . قال أبو عيسى فاستجيب له فيه وعن الترمذى أيضا قال لم أر أحدا بالعراق ولا بخراسان فى معنى العلل والتاريخ والأسانيد أعلم من محمــد بن اسماعيل ويقول له تلميذه مسلم بن الحجاج لا يبغضك الا حاسد وأشهد أن ليس فى الدنيا مثلك وجاء مرة اليه فقبله بين عينيه وقال دعنى أقبل رجلك يا أستاذ الأساتذة وسيد المحدثين ويا طبيب الحديث فى علله وعن حاشد بن اسماعيل يقول : رأيت اسحاق بن راهوية جالسا على السرير ومحمد بن اسماعيل معه فأنكر عليه محمد بن اسماعيل شيئا فرجع الى قول محمد وقال اسحاق بن راهوية يا معشر أصحاب الحديث انظروا الى هذا الشــاب واكتبوا عنه فانه لو كان فى زمن الحســن البصرى لاحتاج اليه الناس لمعرفته للحديث والفقه ــ وعن أبى بكر محمد بن اسحاق يقول : ما رأيت تحت اديم هذه السماء أعلم بالحديث من محمد ابن اسماعيل البخارى ــ وعن عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندى يقول رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراقيين فما رأيت فيهم أجمع من أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخــارى ــ وعن عبد المؤمن بن خلف التيمى قال : سمعت الحسن بن محمد يقول : ما رأيت مثــــل

محمد بن اسماعيل ومسلم الحافظ لم يكن يبلــغ محمد بن اسماعيل ورأيت أبا زرعة وأبا حاتم يستمعون الى محمد بن اسماعيل أى شىء يقول يجلسون بجنبه فذكرت له قصة محمد بن يحيى فقال ماله ولمحمد ابن اسماعيل .

كان محمد بن اسماعيل أمه من الأمم وكان أعلم من محمد بن يحيى بكذا وكذا وكان محمد بن اسماعيل دينا فاضلا يحسن كل شىء .

ولهذه المكانة السامية المتأصلة فى نفوس القوم كانوا يحرصون على علمه ويجتمع الألوف فى مجلسه يتزاحمون عليه للانتفاع منه حتى فى الطرقات يعدون خلفه انتظارا لمجلسه وكانت له هذه المكانة الممتازه منذ مقتبل حياته يقول حاشد بن اسماعيل كا نأهل المعرفة من أهل البصره يعدون خلف البخارى فى طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه فى بعض الطريق ويجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه وكان البخارى اذ ذاك شابا لم يخرج شعر وجهه . وقال قتيبه بن سعيد جالست الفقهاء والزهاد والعبــاد فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن اسماعيل البخارى وهو فى زمانه كعمر فى الصحابة ــ وقال محمد بــن يوسف الهمدانى وقد سئل قتيبة عن طلاق السكران فدخل محمد بن اسماعيل البخارى وقال قتيبة للسائل هذا أحمد بن حنبل واسحق بــن راهوية وعلى بن المدينى قد ساقهم الله اليك وأشار الى البخارى وعن ابراهيم بن سلام قال ان الرتوت « الرؤساء » من أصحاب الحديث مثل سعيد بن مريم المصرى ونعيم بن حماد الحميــدى والحجاج بن منهال واسماعيل بن أويس والعدنى والحسن الخلال ومحمد بن ميمون صاحب ابن عيينة ومحمد العلاء والاشج وابراهيم بن المنذر الحزامى وابراهيم ابن موسى الفراء كلهم كانوا يهابون محمد بن اسماعيل ويقضون له على أنفسهم بالنظر والمعرفة وذكر أن الحاكم أبو عبد الله النيسابورى قال رحمه الله تعالى البخارى هو أمام أهل الحديث بلا خلاف بين أئمةالنقل وقال عبد الله بن محمد بن سعيد بن جعفر سمعت العلماء بمصر يقولون

ما فى الدنيا مثل محمد بن اسماعيل فى المعرفة والصلاح ثم قال عبد الله وأنا أقول قولهم ــ وقال الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد ابن عقده لو أن رجلا كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن تاريخ محمد ابن اسماعيل ويقول الحافظ بن حجر فى نهاية فصل الثناء على البخارى ولو فتحت باب ثناء الأمة عليه ممن تأخر عن عصره لفنى القرطاس ونفذت الأنفاس فذاك بحر لا ساحل له .

وبعد ما تقدم من ثناء مشايخه عليه لا يحتاج الى حكاية من تأخر لأن أولئك أثنوا بما شاهدوا ووصفوا بما علموا بخلاف من بعدهم فأن ثناءهم ووصفهم مبنى على الاعتماد على ما نقل اليهم وبين المقامين فرق ظاهر وليس العيان كالخبر .



الباب الثالث

منهج البخاري في الجامع الصحيح

مكانة صحيح البخارى

هو الكتاب الذى قال فيه العلماء بحق أنه أصح كتاب بعد كتاب الله .

وهو الكتاب الذى أصبح البخـارى به أمير المؤمنين فى الحديث وكتب له به الخلود ورفع ذكره مقترنا بالصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكما هو أسمى كتاب بعد كتاب الله هو أسمى مؤلفات البخارى وتعتبر مؤلفاته الأخرى كمقدمة أهلته لهذا الكتاب العظيم فلم يبـــدأ البخارى فى كتـاب الصحيح الا بعد أن قضى رحلـة واسعة النطاق فى مؤلفات تدل على ثباته وتقدمه بمعرفة رجال الحديث وأحوالهم .

وهذا الكتاب كما هو المؤلف الهام فى حياة البخارى وحياة الاسلام عامة هو الجزء المهم فى الكتاب .

فأطلب من الله أن يمدنى بعونه حتى أوفق فى بيان منهج البخارى فى صحيحه مجليا قيمة عمله الدقيق . وبالله التوفيق .

الباعث على تصنيف البخارى للجامع الصحيح

تفاعلت الأسباب الداعية لابراز هذا المؤلف الجليل .

أولا ــ الحاجة الى أفراد الحديث الصحيح حيث كانت الكتب المصنفة قبله منها ما هو ممزوج بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومنها ما هو مشتمل على الصحيح وغيره فكانت الحاجة داعية الى أفراد الحديث الصحيح ليخلص طالب الحديث من عناء السؤال والبحث .

ثانيا ــ مقدرة البخارى واكتمال نموه فى معرفة الحديث .

ثالثا ــ شعور العلماء بالحاجة وبمكانة البخارى فوجهت اليه الدعوة من منزل شيخه أمام الحديث والفقه أسحاق بن راهوية بدعوة منه فى مجلس العلماء .

رابعا ــ قوى عزم البخارى وشرح صدره وملأه همة وأقداما رؤية النبى صلى الله عليه وسلم وهو يذب عنه بمروحة فى يده وفسرت الرؤيا للبخارى بأنه يذب الكذب على النبى صلى الله عليه وسلم يقول الحافظ ابن حجر [1] فلما رأى البخارى رضى الله عنه هذه التصانيف (الموجودة فى عصره) ورواها وانتشق رياها واستجلى محياها وجدها بحسب الوضع جامعة بين ما يدخل تحت التصحيح والتحسين والكثير منه يشمله التضعيف .. فحركت همته لجمع الحديث الصحيح الذى لا يرتاب فيه أمين وقوى عزمه على ذلك ما سمعه من استاذه أمير المؤمنين فى الحديث والفقه اسحاق بن ابراهيم الحنظلى المعروف بابن راهوية قال : ابراهيم بن معقل النسفى قال : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى كنا عند اسحاق بن راهوية فقال : لو جمعتم كتابا مختصرا

---

١ ــ المقدمة جـ ١ ص ٤ لابن حجر .

لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع ذلك فى قلبى فأخذت فى جمع الجامع الصحيح (١) وروى كنت عند اسحاق فقال بعض اصحابنا (٢) الخ ...

ويمكن الجمع بين الروايتين بان اسحاق طلب منه أولا ثم طلب منه بعض الحاضرين تأكيدا لقول اسحاق وقال محمد بن سليمان بن فارس سمعت البخارى يقول : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وكأنى واقف بين يديه وبيدى مروحة فسألت بعض المعبرين فقال لى : أنت كذب عنه الكذب فهو الذى حملنى على اخراج الجامع الصحيح (٣) .

الاسم الكامل لصحيح البخارى

ان الأسم الكامل الذى سمى به أبو عبد الله البخارى كتابه هـو (الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) (٤) .

ولما كان أسمى ما يتسم به الكتاب ويرفع من شأنه هو واسـمه بالصحيح اشتهر بذلك اختصارا فأطلق عليه « صحيح البخارى » على أن البخارى نفسه كان يطلق عليه فى كثير من الأحيان اختصارا الصحيح .

قال أبو على الغسانى سمعت البخارى يقول خرجت الصحيح من ستمائة ألف حديث (٥) وقال ابن الصلاح والنووى .

« الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه » والروايتان متقاربتان وليس بينهما خلاف

---

١ ــ تدريب الراوى ص ٢٤ للسيوطى .
٢ ــ تاريخ بغداد جـ ٢ ص ٨ وتهذيب الاسماء للنووى جـ ١ ص ٦١ .
٣ ــ كشف الظنون ص ٥٤٤ شرح البخارى للنووى ص ٧ مقدمة الفتح جـ ١ ص ٤ .
٤ ــ المقدمة لابن حجر وفى كتاب النكت المخطوط لابن حجر بعد المسند المختصر .
٥ ــ مقدمة ابن صلاح ص ٤ .

جوهرى غير أن رواية ابن حجر يبدو أنها أصوب ــ يؤيد ذلك ما روى عن البخارى فى وصف الجامع بالصحيح مباشرة فى قوله فأخذت فى جمع الجامع الصحيح وقوله صنفت الجامع الصحيح لست عشرة سنة وخرجته من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة بينى وبين الله عز وجل (١) وعادة يذكر الصدر ويحذف المتأخر فى الاختصار فهـذا يدل على أن « المسند » بعد قوله « الصحيح » مما يكسب قول ابن حجر قوة فى روايته والله أعلم .

مدة تأليف الجامع الصحيح ومكانه

لقد صنف البخارى جامعه الصحيح على مكث ومهل رغم محصوله العلمى الذاخر لانه توخى فيه الدقة الفائقة والعناية النادرة فصنفه فى ستة عشر عاما وكان يمد نفسه لكل حديث بالغسـل والصـلاة قال البخارى (ما كتبت فى كتاب الصحيح حديثـا الا اغتسـلت قبل ذلك وصليت ركعتين) (٢) .

وقال صنفت الجامع الصحيح لست عشرة سنة خرجته من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة بينى وبين الله عز وجل (٣) .

أما مكان تأليفه فقد قال عبد القدوس بن همام سمعت عدة مشايخ يقولون حول البخارى تراجم جامعه بين قبر النبى صلى الله عليه وسلم ومنبره وكان يصلى لكل ترجمة ركعتين (٤) وروى عن البخارى أنه قال : صنفت كتاب الجامع فى المسجد الحرام وما أدخلت فيه حديثا الا بعد ما استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صـحته (٥) وفى شرح البخارى للنووى صنف البخارى صحيحه ببخارى وقيل صنفه بمكة

١ ــ مقدمة شرح النووى ص ٧ ومفتاح السعادة جـ ٢ ص ٥ .
٢ ــ الوفيات جـ ١٠ ص ٦٥٠ والتهذيب لابن حجر جـ ٩ ص ٤٩ .
٣ ــ شرح البخارى النووى ص ٧
٤ ــ مقدمة الفتح جـ ٢ص ٢٠٢ .
٥ ــ المقدمة جـ ٢ ص ٢٠٢ .

قال الامام النووى والجمع بين هذا كله ممكن بل متعين فانا قد قدمنا عنه انه صنفه فى ست عشرة سنة فكان يصنف منه بمكة والمدينة والبصرة وبخارى والله أعلم .

ورأى الحافظ فى الجمع بين هذه الروايات انه أبتدأ تصنيفه ووضع التخطيط العام للكتاب كمسودة فى المسجد الحرام ثم أكمله وبيضه فى بخارى وغيرها واستدل على قوله بأن البخارى أقام فى تصنيفه ست عشرة سنة وانه لم يجاوز بمكة هذه المدة كلها وهذا هو الرأى .

منهج البخارى فى رواية حديث الصحيح وشرطه

من أمتع ما قيل فى هذا المعنى وادقة قول الحافظ ابن الحجر المتوفى سنة (٨٥٢ هـ) فى مقدمة كتاب النكت (١) « مختصر فتح البارى » فقد استخلص منهج البخارى فى شرطه من طريقين :

الأول من تسمية البخارى نفسه لكتابه .

الثانى من الاستقراء من تصرفه .

فأما أولا فأنه سماه الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه .

فعرفنا بقوله الجامع انه لم يختص بصنف دون صنف ولهذا أورد فيه الأحكام والفضائل والأخبار المحضة عن الأمور الماضية وعن الأمور الآتية وغير ذلك من الآداب والرقاق .

وبقوله الصحيح أنه ليس منه شىء ضعيف عنده . ويصرح بذلك قوله ما أدخلت فى الجامع الا ما صح .. وبقوله المسند أن الأصلى تخريج الأحاديث التى اتصل اسنادها ببعض الصحابة عن النبى صلى الله عليه وسلم سواء أكان من قوله أو فعله أو تقريره .

وأن ما وقع فى الكتاب مما يخالف ذلك أنما وقع فيه تبعا عرضا

---

١ ــ مخطوط بمكتبة الازهر الشريف .

لا أصلا مقصودا فهذا ما عرف من كلامه (١).

ثانيا : وأماما عرف بالاستقراء من تصرفه فمحتاج أولا الى التعريف بالصحيح « عنده وعند غيره » .

وهو أن يكون الاسناد متصلا وأن يكون كل من رواته عدلا متصفا بالضبط فأن قصر احتاج الى ما يجبر ذلك التقصير ـ ويكون الحديث مع ذلك قد خلا من أن يكون معلولا أى فيه علة قادحة وأن يكون شاذا أى خالف رواية من هو أكثر عددا منه وأشد ضبطا مخالفة تستلزم التنافى ويتعذر معها الجمع الذى لا يكون متعسفا ».

ثم كان ابن حجر دقيقا وعظيما فى زيادة ايضاحه بايضاح معنى الاتصال عند المحدثين وعند البخارى فبين بذلك شرط البخارى فى «المعنعن» ومافى حكمه من اشتراط اللقاء مع المعاصرة والثقة وعدم التدليس فقال « الاتصال عندهم ان يعبر كل من الرواة فى روايته عن شيخه بصيغة صريحة فى السماع منه كسمعت وحدثنى واخبرنى أو ظاهرة فى ذلك «كعن وان فلانا قال .

ثم بين أن شرط حمل المعنعن (القسم الثانى من الصيغ عند البخارى) أن يكون الراوى قد ثبت له لقاء من حدث عنه ولو مرة واحدة مع اشتراط أن يكون ثقة فاذا ثبت ذلك عنه حملت عنده «عنعنته» على السماع وسبب ذلك أن تقول اذا لم يثبت لقاؤه له وانما عرفنا انه عاصره احتمل أن تكون روايته عنه عن طريق الأرسال لما عرف من عادة كثير ممن لم يوصف بتدليس انه يرسل واذا لم يترجح أحد الاحتمالين على الآخر لم يحسن الحمل على أحدهما .

فان قيل فلم يطرد ذلك فى جميع عنعنته (مع اللقاء وعدمه) فالجواب أن ذلك يخالف فرض المسألة لأنها مفروضة فى غير المدلس ولو كان بعد أن ثبت لقاؤه لشيخه قد حدث عنه بالعنعنة بما لم يسمعه لكان

---

١ ـ النكت لابن حجر وهو مختصر الفتح مخطوط بمكتبه الازهر وصل فيه الى كتاب الايمان والعلم وقد الفه بعد كتاب فتح البارى .

بذلك مدلسا والفرض أنه غير مدلس فكان الاتصال ظاهرا فى ذلك وعرف من هذا أن شرط البخارى فى الاتصال أقوى وأتقن حيث اشترط عنده التلقى والمعاصرة بخلاف مسلم فقد اكتفى بالمعاصرة » .

وطريق ثبوت اللقاء عند البخارى (١) .

يدور عنده على التصريح بالسماع فى أسناد فاذا ثبت السماع عنده فى موضع يحكم به فى سائر المواضع .

ويبدع ابن حجر فى تفصيله الدقيق واضعا أمام الباحث منابع الكلام ومصادره ومراكزه قائلا :

وكذا عرفنا بالاستقراء فى تصرفه فى الرجال الذين يخرج عنهم أنه ينتقى أكثرهم صحبة لشيخه وأعرفهم بحديثه وان خرج من حديث من لا يكون بهذه الصفة فانما يخرج فى المتابعات وحيث يقوم له قرينه بأن ذلك مما ضبطه هذا الراوى ، بمجموع ذلك وصفه الأئمة قديما وحديثا بانه أصح الكتب المصنفة .

---

١ – نقلا من صاحب فيض البارى جـ ١ ص ٣٥ .

قول الحافظ زين الدين أبى عبد الله محمد بن موسى الحازمى المتوفى سنة ٥٨٤ هـ فى منهج البخارى فى شرطه

وقول الحازمى فى غاية الدقة والوضوح بل هو أصل لقول ابن حجر واستنباطه ، ويكاد يكون متفقا معه فى المعنى لذا فقد ارتضاه ابن حجر مقتنعا به وموضحا له فى مقدمته حتى نقله الكثير على أنه رأى ابن حجر كما فعل الأستاذ على الجندى وأخوانه فى كتاب «أطوار الثقافة والفكر فى ظلال العروبة والاسلام» وقد تعرض الحازمى فى الكلام على شرط البخارى الى مقارنة بينه وبين الأئمة ، ووضع البخارى فى قمتها الا أن الجديد العظيم فى كلام ابن حجر انه أوقف الباحث على منابع استنباط الشروط ومراكزها من كلام البخارى نفسه مما استنبط من كلامه فى تسميته للكتاب وما استنتجه من كلامه مباشرة ومن تعريفه الصحيح وما أخذه من كلام البخارى مباشرة من شرطه فى الاتصال بالعنعنة ثم ما استنبطه منها عليه بأنه من تصرفه فى رجاله ووضع النقط على الحروف كما يقولون ولم يسبق بهذا النسق. ومع ذلك فكلام الحازمى هو أصل وسابق فى فضله ورأى ابن حجر معبر عنه لذا سأذكره مع تعليقات ابن حجر مستعينا بتصرفه ، مع الرجوع الى الأصل والمحافظة على كيانه والجدير بالذكر ان كلام الحازمى وابن حجر لم يرد عليهما اعتراض فكان كلامهما مسلما به عند العلماء فحسن تقديمه وتصدير الكلام به وتأخير ما اعترض عليه من رأى بن طاهر المقدسى والحاكم .

قال الحافظ أبو عبدالله (١) الحازمى رحمه الله ما حاصله (٢) ان شرط الصحيح أن يكون اسناده متصلا وان يكون راويه مسلما صادقا غير

---

١ — فى شروط الائمة ابو عبد الله وعلق الكوثرى بقوله هكذا فى الاصل وفى الذهبى وغيره ابو بكر وهو المشهور .

٢ — المقدمة للفتح جزء ١ ص ٦ شروط الائمة ص ٢٩ للحازمى بتصرف .

مدلس ولا مختلط متصفا بصفات العدالة ضابطا متحفظا سليم الذهن قليل الوهم سليم الاعتقاد .

قال ومذهب من يخرج الصحيح ان يعتبر حال الراوى العدل فى مشايخه العدول فبعضهم حديثه صحيح ثابت وبعضه حديثه مدخول قال : وهذا باب فيه غموض وطريق أيضاحه معرفة طبقات الرواة عن راوى الأصل ومراتب مداركهم فلنوضح ذلك بمثال .

وهو ان تعلم ان أصحاب الزهرى مثلا على خمس طبقات ولكل طبقة منها مزية على التى تليها فمن كان فى الطبقة الأولى فهو الغاية فى الصحة وهو مقصد البخارى .

والطبقة الأولى :

هى التى جمعت مزية الحفظ والاتقان وطول الملازمة لشيخها الزهرى حتى كان منهم من لازمه فى السفر وفى الحضر مثل مالك وابن عيينة وعبيد الله بن عمر ويونس وعقيل الأيليين وشعيب بن أبى حمزه وجماعة سواهم .

والطبقة الثانية :

شاركت الأولى فى التثبت الا أنها لم تلازم الزهرى الا مدة يسيرة فلم تمارس حديثه فكانوا فى الاتقان دون الأولى وهم شرط مسلم وذلك مثل عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى والليث بن سعد والنعمان ابن راشد وعبد الرحمن بن خالد بن مسافر وغيرهم زاد ابن حجر وابن أبى ذئب وأكمل الحازمى الطبقات الى خمسة هى شروط لغير البخارى قال وقد يخرج البخارى أحيانا عن أعيان الطبقة الثانية ومسلم عن أعيان الطبقة الثالثة وذلك لأسباب تقتضيه وقد وضع الحازمى شرط البخارى فى قمة هذه السلسلة من شروط الأئمة قال فأما الطبقة الأولى فهم شرط البخارى وقد يخرج من حديث أهل الطبقة الثانية ما يعتمده من غير

استيعاب وأما مسلم فيخرج أحـاديث الطبقتين على سبيل الاستيعاب ويخرج أحاديث أهل الطبقة الثالثة على النحو الذى يصنعه البخارى فى الثانية والمراد من ذلك التنزل الى الدرجة الأخيرة عند الأعواز .

قال ابن حجر فى المقدمة معلقا على هذا قلت وأكثر ما يخرج البخارى حديث الطبقة الثانية تعليقا وربما أخرج اليسير من حديث الطبقة الثالثة تعليقا أيضا .

قول الحافظ ابى الفضل محمد بن طاهر المقدسي
المتوفى سنة ٥٠٧ هجرية ومناقشته

قال فى شروط الائمة السته : أعلم ان البخارى ومسلما ومن بعدهما من الائمة لم ينقل عن واحد منهم انه قال شرطت أن أخرج فى كتابى ما يكون على الشرط الفلانى . وانما يعرف ذلك من سبر كتبهم فيعلم بذلك شرط كل رجل منهم(١) يعنى(٢) غير ماهو معروف من الخلاف بين الشيخين فى الاكتفاء بثبوت المعاصره بين الراوى وشيخه بعد كونهما ثقتين كما هو عند مسلم أو اشتراط ثبوت اللقاء بينهما بعد كونهما ثقتين كما هو عند البخارى .

قال ابن طاهر : وشرط البخارى ومسلم ان يخرجا الحديث المتفق على ثقة نقلته الى الصحابى المشهور من غير اختلاف بين الثقات ويكون أسناده متصلا غير مقطوع فان كان للصحابى روايان فصاعدا فحسن وان لم يكن له الا راو واحد فاذا صح الى ذلك الراوى أخرجاه .

الا ان مسلما أخرج أحـاديث أقوام كحماد بن سلمه وسهيل بن أبى صالح وداود بن أبى هند وأبى الزبير الأسدى والعلاء بن عبد الرحمن ترك البخارى حديثهم لشبهة وقعت فى نفسه وانما أخرج مسلم حديثهم لان هذه الشبهة بالنسبة الى تلك الأحاديث خاصة ذهبت فى نظره وقد اعترض عليه الحافظ زين الدين العراقى فى شرح الفيته فى علوم الحديث عند ذكر مراتب الصحيح وكان اعتراضه على قوله المجمع أو المتفـق على ثقة نقلته الى الصحابى المشهور من غير خلاف بين الثقات فقال وليس ما قاله ابن طاهر بجيد لأن النسائى ضعف جماعة أخرج لهم الشيخان

---

(١) شروط الائمة للمقدسى .

٢ ـ تعليقات الكوثرى على شروط الائمة للحازمى .

أو أحدهما (١) وأجيب على ما فى التدريب بأنهما أخرجا من أجمع على ثقته الى حين تصنيفهما ولا يقدح فى ذلك تضعيف النسائى بعد وجود الكتابين .

وقال الحافظ ابن حجر معقبا على ذلك

تصنيف النسائى ان كان باجتهاده أو نقله عن معاصريه فالجـواب ذلك وان نقله عن متقدم فلا ، ثم قال ويمكن أن يجاب بأن ما قـاله ابن طاهر هو الأصل الذى بنيا عليه أمرهما وقد يخرجان عنه لمرجح يقوم مقامه فسلم بذلك كلام ابن طاهر فقد رد ابن حجر بتشقيق الجـواب السابق فنقضه ثم أجاب هو اجابة معقولة ويمكن أن يناقش رده على الجواب السابق فى موضع الرد وهو قوله وان نقله عن متقدم فلا ، فالقول بأن نقله ، لو كان عن متقدم لبينه النسائى ولو فرض انه رواه عن متقدم ولم يبينه فمن الجائز أن يكون نقلا عن غير الاثبات والاتفاق انما هو بالنسبة للاثبات الثقات فسلم التعريف .

(١) فتح المغيث ص ١ ص ٤ والتدريب ص ٦ وشروط الائمة الستة للمقدسى تعليقـات الكوثرى .

قول الحافظ الحاكم أبي عبد الله النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ هـ ومناقشته :

قال الحاكم أبوعبد الله محمدبن عبدالله بن محمدبن حمدوية النيسابوري الدرجة الأولى من الصحيح اختيار البخاري ومسلم وهو أن يروي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم صحابي زائل عنه اسم الجهالة بأن يروي عنه تابعيان عدلان ثم يروي عن التابعي المشهور بالرواية عن الصحابي وله روايان ثقتان ثم يرويه عن اتباع التابعين حافظ متقن له رواة من الطبقة الرابعة ثم يكون شيخ البخاري أو مسلم حافظا مشهورا بالعدالة في روايته ثم يتداوله أهل الحديث بالقبول كالشهادة على الشهادة (١) وقد اعترض عليه أبو الفضل المقدسي قال ان البخاري ومسلما لم يشترطا هذا الشرط ولا نقل عن واحد منهما أنه قال ذلك والحاكم قدر هذا التقدير وشرط لهما هذا الشرط على ما ظن ولعمري أنه شرط حسن لو كان موجودا في كتابيهما ، الا أنا وجدنا هذه القاعدة التي أسسها الحاكم منتقضة في الكتابين جميعا .

اعتراض الحازمي

واعترض عليه أيضا أبو بكر الحازمي بما في الصحيح من الغرائب التي تفرد بها بعض الرواة فقد أخرجا في كتابيهما أحاديث جماعة من الصحابة ليس لهم الا راو واحد وأحاديث لا تعرف الا من جهة واحدة من ذلك حديث مرداس الأسلمي « ويذهب الصالحون الأول فالأول » الحديث ، هذا الحديث تفرد به البخاري باخراجه ولم يرو عنه غير قيس بن أبي حازم رواه

---

(١) سير اعلام النبلاء جـ ٨ مخطوط وشروط الائمة الستة للمقدسي ص ١ .

البخارى عن يحيى بن حماد عن أبى عوانه عن بيان عن قيس عن مرداس وليس لمرداس فى كتاب البخارى سوى هذا الحديث (١) .

وقال الحازمى فى شروط الأئمة :

ولا اعلم احدا من فرق الاسلام القائلين بقبول خبر الواحد اعتبر العدد سوى متأخرى المعتزلة فانهم قاسوا الرواية على الشهادة فاعتبروا فى الرواية مااعتبروه فى الشهادة وما مغذى هؤلاء الا تعطيل الأحكام كما قال ابو حاتم بن حبان واجاب عن الحاكم ابو على الغسانى (٢) ونقله عياض عنه بأنه ليس المراد ان يكون كل خبر روياه يجتمع فيه راويان عن صحابيه ثم تابعيه فمن بعده فان ذلك يعز وجوده .

وانما المراد فى كلام الحاكم ان هذا الصحابى وهذا التابعى قدروى عنه رجلان خرج بهما عن حد الجهالة .

ولم يرتض هذا القول ابو عبد الله بن المواق فقال ما حمل الغسانى عليه كلام الحاكم وتبعه عليه عياض ليس بالبين ولا اعلم احدا روى عنهما انهما أخرجا بذلك ولا وجود له فى كتابيهما ولا خارجا عنهما فان كان قائل ذلك عرفه من مذهبيهما بالتصفح لتصرفهما فى كتابيهما فلم يصب لان الامر بين فى كتابيهما وان كان اخذه من كون ذلك اكثريا فى كتابيهما فلا دليل فيه على كونهما اشترطاه ولعل وجود ذلك اكثريا انما هو لان من روى عنه أكثر من واحد أكثر ممن لم يرو عنه الا واحد فى الرواه مطلقا لا ، بالنسبة الى من خرج له فى الصحيحين وليس من الانصاف الزامهما هذا الشرط من غير ان يثبت عنهما ذلك مع وجود اخلالهما به لانهما اذا صح عنهما اشتراط ذلك كان فى اخلالهما به درك عليهما وقال الحافظ ابن حجر وهذا كلام مقبول وبحث قوى .

وقال فى مقدمته ما ذكره الحاكم وان كان منتقضا فى بعض الصحابة الذين اخرج لهم الا انه معتبر فى حق من بعده فليس فى الكتاب حديث اصل من رواية من ليس له الا راو واحد فقط .

---

(١) شروط الائمة الخمسة ص ٢٢ .

(٢) تدريب الراوى ٦٥ تعليقات الشيخ عبد الوهاب .

على ان ابن حجر شك فى نسبة شرط التعدد للحـاكم وعزاه انه ربما يكون قد اشتبه فهمه على الحازمى من كلام الحـاكم ، قال وكان الحازمى فهم ذلك من قول الحاكم كالشهادة لان الشهادة يشترطـفيها التعدد .وأجيب باحتمال ان يريد بالتشبيه بعض الوجوه لاكلهاكالاتصال واللقاء وغيرها ثم اوضح ابن حجر غلط من نسب هذا الى الحاكم فى كتابه الفتح (١) .

فبين ان هذا فى الواقع ليس شرطا للشيخين انما هو شرط لبعض العلماء كأبى على الجبائى بالنظر الى الصحيح عامة ونقـل عن المازرى نسبته الى أبى على الجبائى وبعض متأخرى المعتزلة .

واليه يومىء الحاكم فى الكتاب (٢) حيث يقول وصفة الحـديث الصحيح أن يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابى زائل عنه اسم الجهالة بأن يرويه عنه تابعيان عدلان ثم يتداوله أهل الحديث بالقبول الى وقتنا هذا كالشهادة على الشهادة فعمم فى علوم الحديث شرط الصحيح من حيث هو وخصص ذلك فى المدخل بشرط الشيخين ويبدو انه شرط عام وليس خاصا بالصحيحين .

قال البيهقى فى كتابه الزكاة من ســننه عنـد ذكر حديث بهز عن أبيه عن جده ، فاما البخارى ومسلم فانهما لم يخرجاه جريا على عادتهما فى أن الصحابى أو التابعى اذا لم يكن له الا راو واحد لم يخرجا حديثه فى الصحيحين .

قال الكوثرى ويرد على هؤلاء بآخر حديث فى البخارى «كلمتان خفيفتان» فهو فرد باعتبار المخرج كما نص عليه البرهان البقاعى فان أبا هريره تفرد به عن النبى صلى الله عليه وسلم وتفرد به عنه أبو زرعه وتفرد عنه عماره بن القعقاع وتفرد به عنه محمد بن فضل وعنه انتشر فرواه عنه اشكاب « الحسين بن ابراهيم العامرى » (٣) وغيره .

---

(١) الحافظ بن حجر فى شرح نخبة الفكر ص ٥ والتدريب للسيوطى ص ٦٦ .
(٢) تعليقات الكوثرى على شروط الائمة الخمسة ص ١٠ ومعرفة علوم الحديث ص ٦٢ .
(٣) تعليقات الكوثرى على شروط الائمة الخمســة ص ٢٠ .

وقال صاحب فيض البارى محمد أنور الكشميرى الديوبندى (١) أقول قول الحـاكم أكثرى لا كلى ولعله أراد منه أن يصـير الراوى معروفا فلو روى واحد جليل القدر لكفى .

وهو تخريج وجيه من الكشميرى ورأى الحاكم كماتبين متعثر الخطأ وردعليه الكثير من الاعتراضات والاجابة عنها وكل الاعتراضات انما هى منصبة على ما نسب اليه من قوله اشتراط تعدد الرواه وماعدا ذلك من اشتراط العدالة والثقة والحفظ فمسلم له ومتفق عليه ومع ذلك فله فضل السبق .

وقد تبين من استعراض الاقوال فى منهج البخارى فى رواية حديث جامعه الصحيح .

ان الذى قد وفاه وأجاد فيه من غير أن يرد اعتراض عليه لدقته انما هو ابن حجر والحازمى وهما غير مختلفين فى المعنى كما اشرت غير أن ابن حجر وان أخذ عن الحـازمى الا أنه اكسب الباحث ثقة فى تحقق استنباط هـذه الشروط ونسبتها للبخارى حيث اوقف الباحث على مصادرها ومنابعها من كلام ابى عبد الله البخارى نفسه وتصرفاته محددا مركز كل قول اشترطه وجاء به .

فهو فى الواقع مكمل وموضـح وموثق لكلام الحازمى فرأيهما كرأى واحد متكامل فى وضوحه وثباته وقوته .

وبذلك أصبحت نسبة هذه الشروط الى منهج البخارى فى روايته امرا واضحا لا مرية فيه .

هذا وقد روى البخارى غير ما ذكره ابن حجر فى منهجه فى الروايه فى صحيحه ، أنه لم يذكر فيه حديثا الا بعد أن تيقن من صحته (وقال البخارى وما أدخلت فى الصحيح حديثا الا بعد ان استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت من صحته (٢) وخرجه من ستمائة الف حديث وجعله حجه فيما بينه وبين الله (٣) .

---

(١) فيض البارى جـ ١ ص ٣٦ .
(٢) المقدمة جـ ٢ ص ٢٠٢ .
(٣) شرح النووى ص ٧ .

وقال وما أدخلت فى الجـامع الا ما صح وما تركته من الصحاح لاجل الطول (١) وقد صرح بأنه يروى عن الثقات بقوله كتبت عن ألف ثقه من العلماء وزياده وليس عندى حديث لا أذكر اسناده .

وقد صرح ببيان منهجه فى كتابة الحديث عامة فضـــلا عن منهجه فى كتابه الصحيح الذى هو فى الدرجـة الأولى من مؤلفاته بما يوقف الباحث على مدى اهتمامه البالغ ودقته فى حرصه على معـرفة الرواة وكيفية عملهم وحال الرواة العدول مع مشايخهم فى طريقة فريدة مبتكرة يقول البخارى (لم يكن كتابتى الحديث كما كتب هؤلاء) كنت اذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبته وحمل الحديث ان كان رجلا فهما (فهو يصرح بالضبط المعبر عنه بضبط الصدر) .

فان لم يكن سألته أن يخرج الى أصله ونسخته (فهو هنا يصرح بالضبط المعبر عنه بضبط الكتاب) ويقول واما الآخرون فلا يبالون بما يكتبون وكيف يكتبون(٢) .

ولقد كان البخارى دقيقا فى موازينه وحكمه .

يقول ابن حزم ان البخارى اذا انكر السماع لا يقول ان فلانا لم يسمع من فلان بل يقـــول لم يثبت ســـماع فلان من فلان والنـــاس لا يميزون بينهما فيحكون عنه أنه قائل بعدم سماعه منه مع انه ينكر الثبوت عنه دون السماع فى نفس الأمر وهذا يدل على أن أمر السماع عنده انما يحكم به نظرا لثبوت اسناد عنده(٣) .

وبلغت به الدقة الى ترك الرواية عن كل راو فيه نظر من المحدثين مهما كان عنده من كثرة فى الحديث ولا يكتفى بذلك بل له نظرة فيمن سلم فى نظرهم وهو بمسلكه هذا لا يكتفى بتوثيق الثقات حتى يطمئن لهذا التوثيق بنفسه .

---

(١) سير اعلام النبلاء مخطوط بدار الكتب الجزء الثانى ـ ٨ ص ٢٢٨ .
(٢) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ٢٥ .
(٣) فيض البارى .

يقول محمد ابن أبى حاتم سئل محمد بن اسماعيل عن خبر حديث فقال يا فلان أترانى أدلس ؟ تركت أنا عشرة آلاف حديث لرجل فيـه نظر وتركت مثله أو أكثر لغيره لى فى نظر(1) وهذا صريح فى أنه لايروى عن المدلس ولا عمن اتصف بآفات الجرح عامة ويصرح البخارى أيضا بانه لا يروى الا عن سليم الاعتقاد يقول كتبت عن ألف وثمانين رجلا ليس فيهم الا صـاحب حديث كلهم يقول الايمان قول وعمـل يزيد وينقص .

فمن هذه التصريحات فضلا عما نقل من كلام ابن حجر الـذى وفى المقام حقه يمكن أن يطمئن الباحث بأن البخارى رسم منهجه وشرطه فى رواية صحيحة خاصـة وهو الدرجة الأولى كما أنه رسمه فى كل مروياته عامة مثل الأدب المفرد وغيره فهى صحيحة أيضا الا أن كتابه الجامع الصحيح كانت له المكانة الأولى فألزم نفسه فيه بأعلى مراتب الصـحة .

لذا فقد اشترط ثبوت اللقاء (السماع) بخلاف مسلم فاكتفى فى صحيحه بالمعاصرة ومع هذا فلم يخرج ذلك كتاب مسلم عن الصحة كما أن هذا لايخرج أحـاديث البخارى فى غـير الصـحيح عن الصـحة وقد بين الكشميرى بأن خلاف البخارى مع غيره فى اشتراط السماع انما هو فى الجامع الصحيح خاصـة لا فى الصـحيح لذاته . قال وكيفمـا كان شـرطه هذا انمـا هـو فى كتـابه خاصـة لا للصـحيح مطلقا فلا يخرج حديثا فى صحيحه الا بعد ثبوت السماع فيه : وان كان صحيحا فى نفسه عنـده أيضا فمخالفته للجماهير ليس فى نفس تعريف الصحيح بل هو شرط التزم به للصحيح فى كتابه فهذا تشديد فيه على نفسه فى هـذا الكتاب فقط ولكل ذى همة وعزم ان يشدد على نفسه بما شاء ولا مساغ لاحد للطعن فيه ذق هـذا فاسترح عما يختلج فى الصدور والله تعالى ولى الأمور (2) .

(1) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ٢٥ .
(٢) مقدمة الفيض جـ ١ ص ٣٥

وتبلغ الثقه ذروتها فى مقدرة البخارى على تنفيذ منهجه فى رواية الجامع الصحيح وغيره ومدى معرفته للرواة واحوالهم بدراسة مؤلفاته التى سأعقد لها فصلا مستقلا .

وحسبه فى ذلك كتاب التاريخ الكبير الذى الفه قبل أن يبدأ فى جامه الصحيح .

قال فيه أبو أحمد الحاكم الكبير المتوفى سنة ٣٧٨ .

« وكتاب محمد بن اسماعيل فى التاريخ كتاب لم يسبق اليه ومن الف بعده شيئا فى التاريخ أو الاسماء أو الكنى لم يستغن عنه فمنهم من نسبه الى نفسه مثل أبى زرعه وأبى حاتم ومسلم ومنهم من حاكاه عنه فالله يرحمه فانه الذى أصل الاصول »(١) .

موضوع الجامع الصحيح

وموضوع الجامع الصحيح هو الحديث الصحيح المجرد وقد استبان موضوعه هذا فى ضوء ما قيل فى شرطه أنه اشترط فيه الصحة وأنه لا يدخل فيه الا حديثا صحيا .

قال ابن الصلاح والنووى وابن حجر والنص له : وهذا أصل موضوعه وهو مستفاد من تسميته اياه الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وأيامه ، وقد تقدم المراد بالمسند كما بين ابن حجر بأن موضوعه الاصلى تخريج الأحاديث التى اتصل اسنادها ببعض الصحابة عن النبى صلى الله عليه وسلم سواء أكان قولا أو فعلا أو تقريرا وأن ما وقع فى الكتاب مما يخالف ذلك انما وقع فيه تبعا عرضا لا أصلا ولا مقصودا (كالمعلقات والموقوفات) ويقول ابن الصلاح ويرجع الى هذا الخصوص قول البخارى: ما أدخلت فى الجامع الا ما صح ، وكذلك يطلق قول الحافظ أبى نصر الوايلى

---

(١) الطبقات الكبرى لابن السبكى جـ ٢ ص ١٠ .

السجزى (أجمع أهل العلم الفقهاء وغيرهم على أن رجلا لو حلف بالطلاق ان جميع ما فى كتاب البخارى مما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قد صح عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاله لاشك فيه أنه لا يحنث والمرأة بحالها فى حبالته ، وكذلك ما ذكره أبو عبدالله الحميدى فى كتابه الجمع بين الصحيحين من قوله : لم نجد من الأئمة الماضيين رضى الله عنهم اجمعين من أفصح فى جمع ما جمعه بالصحة . الا هذين الامامين (الشيخين) فانما المراد بكل ذلك مقاصد الكتاب وموضوعه ومتون الأبواب دون التراجم ونحوها وهذا بالنسبة الى شرط الاتصال بالصحة فالمقصود من موضوع الجامع انما هو الصحيح وليس معنى ذلك أن كله كذلك فقد ذكر تبعا واستئناسا المعلقات والموقوفات فلا يخرجه ذلك عن أصل موضوعه .

مكانة الموطا من الجامع الصحيح

كتاب الموطأ للامام مالك أمام دار الهجرة ومهبط الوحى أبوعبدالله مالك بن أنس الاصبحى أمام الحديث والفقه معا ولد بالمدينة حوالى سنة ٩٣ هـ وتوفى سنة ١٧٩ هـ استغرق فى تأليفه أربعين سنة قيل فى سبب تسميته بالموطأ لانه تجنب فيه شدائد ابن عمـــر ورخص ابن عباس ووطأه للناس كما اشار عليه المنصور فسماهالموطأ وذكرالسيوطى فى سبب تسميته مما روى عن مالك أنه قال عرضت كتابى هـــذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة فكلهم واطأنى عليه فسميته الموطأ .

والامام مالك بتأليفه الموطأ أسس منهجا فى جمع الحديث وتأليفـه وخطا بالتأليف خطوة فعالة منهجية لها أثرها فى كيان تصنيف الحديث فقد كان التدوين قبل مالك غير مبوب على ابواب العلم الجامعة،كما فعل محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى سنة ١٢٤ هـ فى بدء التـــدوين الرسمى بأمر عمر بن عبد العزيز فجمع بغير تبويب على أبواب العلم ثم نهض التأليف فى الجيل الذى يلى الزهرى فكان أول من ألف الحديث ورتبه على الأبواب مالك بن أنس بالمدينة وابن جريج بمكة ومن جرى على نهجهم .

يقول ابن حجر والعراقى وكان هؤلاء فى عصر واحـــد فلا يدرى أيهم اسبق وذلك فى سنة بضع واربعين ومائه ويقول صاحب مفتـــاح السنة وكل هؤلاء من أهل القرن الثانى وكان جمعهم للحديثمختلطا بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين وأشهر الكتب المؤلفة فى المائة الثانية واسيرها ذكرا وابعدها صيتا وأجلها قبولا الموطأ لمالك بن أنس امام دار الهجرة .

ويقول ولى الله الدهلوى :

أن المـدينة المنورة كانت فى عهد الامام مالك ومن قبله مرجـع الفضلاء ومحطـرحال العلماء ولهذا كانينبغ فيهاعن عهد النبىصلىالله عليه وسلم علماء الفتيا الذين كانوا قبلة العالم فورثهم جميعـا الامام مالك واطلع باعباء هذا الأمر الجليل فاخذ منهم العلم تداولا كما يأخذ احدنا من الآخر شيئا ملموسا لا مجال للشك فيه أخذا وعطاء ، وادرج فى كتاب الموطأ ما حفظ عنهم وصـار كتابه مرجعا لطوائف العلماء من المحدثين والفقهاء .

درجة الموطا والصحيحين

ثم بين ولى الله الدهلوى مكانة الموطأ والصحيحين من كتب السنه فيضعه فى درجة واحده مع صحيح البخارى ومسلم وهى الدرجه الاولى فى الصحة فى كتب الحديث وفى ذلك يقول ولى الله المحـدث الفقيه عبد الرحيم الدهلوى[1] وطنا العمرى نسبا وكتب الحديث على طبقات وهى باعتبار الصـحة والشهرة على أربع طبقـات .. فالطبقة الاولى منحصرة فى ثلاثة كتب الموطأ وصحيح البخارى وصحيح مسلم وقال الشافعى أصح الكتب بعد كتاب الله موطأ مالك واتفق أهل الحديث على أن جميـع ما فيه صحيح على رأى مالك ومن وافقه أما على رأى غيره فليس فيه مرسل ولا منقطع الا وقد اتصل السندبه منطرقآخرى، فلا جرم أنها صحيحة من هذا الوجه وقد صنف فى زمانمالك موطآت كثيرة فى تخريج أحاديثه ووصل منقطعه مثل كتاب ابن أبى ذئب وابن عيينه والثورى ومعمر وغيرهم ممن شارك مالكا فى الشيوخ وقد رواه عن مالك بغير واسطة أكثر من ألف رجل وقد ضرب الناس فيه اكباد الابل الى مالك من آقاصى البلاد وتحقق قول النبى صلى الله عليه وسلم فى حديثه (يوشك أن يضرب الناس آكباد الابل فيطلبون العلم فـلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة على ما قاله ابن عيينه وعبد الرازق وناهيك بهما) .

---

١ ـ حجة الله البالغة جـ ١ ص ١٣٢ لولى الله الدهلوى باب طبقةكتب الحديثمراجعة بعض فضلاء الهند المطبعة المنيرية بالقاهرة .

أثر الموطأ في صحيح البخاري
وباقي كتب أئمة الحديث

يقول الدهلوى أن الكتب المصنفة فى السنن كصحيح مسلم وسنن ابى داود وما يتعلق بالفقه من صحيح البخارى وجامع الترمذى مستخرجات على الموطأ تحوم حومه وتروم رومه مطمع نظرهم فيها وصل ما أرسله ورفع ما أوقفه واستدراك ما فاته وذكر المتابعات والشواهد لما اسنده واحاطة جوانب الكلام بذكر ما روى خلافه ، ويعلق الشيخ محمد الشنقيطى على هذا القول بقوله:وهوكلام فى غاية الانصاف فلله در من لقبه بولى الله ولم أقل هذا تعصبا لكتاب مالك ولله الحمد بل لاطلاعى على الحقيقة وتتبعى لروايته والوقوف على أعيان حديثه باسانيدها فى الكتب الستة وغيرها فى كتب الاحاديث الموجودة بايدى الناس وممن هو ضرورى عند المحدثين أن مشايخ اصحاب الكتب الستة ومن عاصرهم كالأمام أحمد فى مسنده أغلبهم تلامذة الامام مالك الذين رووا عنه الموطأ بروايات عديدة قل أن تخلو واحدة عنزيادة تنفرد بها ولم يتركوا شيئا من أحاديث الموطأ بل اخرجوها فى مصنفاتهم ووصلوا كثيرا من مرسلاته ومنقطعاته وموقوفاته وبذلك يتضح ما نقله ولى الله (١) هـ .

وبالنظر الى كلام الدهلوى يجد الباحث ان الدهلوى منصفللغاية انصف حماة الاسلام فاعطى الموطأ مكانته العالية السامقة واعطى الصحيحين مكانتهما العالية السامقة وجعلهما فى طبقة واحدة منالصحة وبالتدقيق فى كلامه فى اثر كتاب مالك أيضابالنسبةللصحيحين وغيرهما

---

١ ــ دليل السالك الى موطأ الامام مالك مقدمة موطأ مالك للزرقانى .

كان منصفا ومدققا ومتحريا فى قوله فكما بين الاستفادة من موطأ مالك، بين العمل الجاد للمستفيد من الموطأ بمــا يثبت المقــدرة العاليــة والشخصية القوية لمن اخذ من اصحاب الكتب شيئا من موطأ مالك عامة وما أخذه البخارى خاصة مما يتعلق بأبواب الفقــه حيث بين أن عملهم فى هــذا الجزء المأخوذ هو وصــل ما أرسله ورفع ما أوقفــه واستدراك ما فاته وذكر المتابعات والشواهد لما أسنده واحاطة جوانب الكلام بذكر ماروى خلافه،فمن يستطيع أن يصل المرسل ويرفع الموقوف ويستدرك على ما فات ويذكر المتابعات والشــواهد ويحيط بجوانب الــكلام غير الملم بالسنة ورجالها وفنونها المختلفة فأعمــالهم متممــة لأعمال الامام مالك ، ويرى ابن الصلاح وابن حجر والعراقى .

(أ) تقديم صحيح البخارى ومسلم على موطأ مالك .

(ب) ورتبوا على ذلك أن صــحيح البخــارى أول من صنف فى الصحيح قال ابن الصلاح (١) أول من صنف فى الصحيح أبو عبدالله محمــد بن اســماعيل الجعفى مولاهم وتلاه مســلم بن الحجــاج النيسابورى القشــيرى من أنفسهم ومسلم مع انه أخذ عن البخارى واستفاد منه يشاركه فى أكثر شيوخه وكتابهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز ،واما ما رويناه عن الشافعى رضى الله عنه من انه قال ماأعلم فى الأرض كتابا فى العلم أكثر صوابا من موطأ مالك وروى بلفظ أصح كما فى مقدمة الفتح فانما قال ذلك قبل وجود كتابى البخارى ومسلم ، ثم ان كتاب البخارى أصح الكتابين صحيحا واكثرهما فوائد .. ووافق ابن حجر ابن الصلاح ونقل هذا النص فى مقدمة الفتح .

وأورد اعتراض بعض الأئمة اطلاق أصحية كتاب البخــارى على مالك ورد عليــه قال فى المقدمة قال وقد استشــكل بعض الأئمــة

---

١ ـ مقدمة ابن الصلاح (علوم الحديث وشرحه التقييد والايضاح فى النكت على مقدمة ابن الصلاح للعراقى .

اطلاق اصحية كتاب البخارى على كتاب مالك مع اشتراكهما فى اشتراط الصحة والمبالغة فى التحرى والتثبت وكون البخارى أكثر حديثا لايلزم منه افضلية الصحة قال والجواب عن ذلك أن ذلك محمول على أصل اشتراط الصحة فمالك لا يرى الانقطاع فى الاسناد قادحا لذلك يخرج المراسيل والمنقطعات والبلاغات فى اصل موضوع كتابه والبخارى يرى الانقطاع علة فلا يخرج ما هذا سبيله الا فى غير أصل موضوع كتابه كالتعليقات والتراجم ولا شك أن المنقطع وان كان عند قوم من قبيل ما يحتج به فالمتصل أقوى منه اذا اشترك كل من رواتهما فى العدالة والحفظ ، فبان بذلك شفوف كتاب البخارى ، وعلم ان الشافعى انما أطلق على الموطأ أفضلية الصحة بالنسبة الى الجوامع الموجودة فى زمنه كجامع سفيان والثورى ومصنف حماد بن مسلمه وغير ذلك وهو تفضيل مسلم لا نزاع فيه اهـ .

ويلاحظ ان كلام ابن حجر هذا انما يفيد فى دعوى شدة البخارى فى الصحة على الموطأ ولكن لا يفيد أن الموطأ غير صحيح حتى يكون أول من صنف فى الصحيح الامام البخارى كما نقله عن ابن الصلاح، وقال مغلطاى انما مثل ذلك موجود فى كتاب البخارى وقال شيخ الاسلام ابن حجر أيضا على ما فى التدريب كتاب مالك صحيح عنده وعندمن يقلده على مااقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع وغيرهما لا على الشرط الذى تقدم التعريف به ، قال والفرق بين ما فيه من المنقطع وبين ما فى البخارى أن الذى فى الموطأ مسموع لمالك غالبا وهو حجة عنده والذى فى البخارى قد حذف اسناده عمدا لقصد التخفيف ان كان ذكره فى موضع آخر موصولا او لقصد التنويع ان كان على غير شرط ليخرجه عن موضوع كتابه وانما يذكر ما يذكر من ذلك تنبيها واستشهادا وتفسيرا لبعض الآيات وغير ذلك قال السيوطى فظهر بهذا ان الذى فى البخارى لا يخرجه عن كونه جرد منه الصحيح بخلاف الموطأ وقد سجل الشيخ الشنقيطى دفاعا وجيها للسيوطى (١)

---

١ ــ منهج الحديث قسم المصطلح للاستاذ فضيلة الشيخ السماحى ص ٣٢ .

بتعليق على ما قال ابن حجر وكما ذكر فى مقدمة شرح الاسيوطى للموطأ قال الاسيوطى ان ما فى الموطأ من المراسيل مع كونها حجة عنده بلا شرط وعند من وافقه من الأئمة على الاحتجاج بالمرسل فهى أيضا حجة عندنا لان المرسل عندنا حجة اذا اعتضد ، وما من مرسل فى الموطأ الا وله عاضد أو عواضد . فالصواب اطلاق ان الموطأ صحيح لايستثنى منه وقد علق الشيخ عبد الغنى على كلام السيوطى بان البخارى جرد فى كتابه ما جمع على انه صحيح بذاته غير مفتقر الى تقوية غيره اهـ. وأنت ترى ان هذا انما يفيد فى دعوى أصحية كتاب البخارى على كتاب مالك ولا يفيد عدم اصحية كتاب مالك حتى يكون كتاب البخارى هو أول صحيح الف ونحى الحافظ العراقى منهج ابن حجر وقال بأن مالكا لم يفرد الصحيح وقال ان من بلاغاته احاديث لا تعرف كما ذكره ابن عبد البر فلم يفرد الصحيح اذن ، واجاب الجلال السيوطى بانه ما من مرسل فى الموطأ الا وله عاضد أو عواضد وقد صنف ابن عبد البر كتابا فى وصل ما فى الموطأ من المرسل والمنقطع والمعضل قال وما فيه من قوله بلغنى ومن قوله عن الثقة عنده مما لم يكن يسنده واحد وستون حديثا كلها مسندة من طريق مالك الا اربعة لا تعرف .

وقد نقل الشيخ محمد حبيب الشنقيطى فى كتابه دليل السالك الى موطأ مالك ان ابن الصلاح وصل هذه الأربعة قال :

وقد رأيت بعض متقنى السنن   من حاز فى كل العلوم خير فن
عزا الى نجل الصلاح أن وصل   أربعة الأخبار فالكل اتصل

وبين بأن المراد من بعض متقنى السنن الى آخره هو الشيخ الفلانى شهره العمرى نسبه المدنى مهاجرا فى حواشيه على شرح زكريا الانصارى على الفية العراقى قال ما نص المراد فيه وما ذكر العراقى من أن من بلاغاته ما لا يعرف مردود وبأن ابن عبد البر ذكر أن جميع بلاغاته ومراسيله منقطعة الا أربعة أحاديث وقد وصل ابن الصلاح الأربعة فى تأليف مستقل وهو عندى وعليه خطه فظهر بهذا أنه لا فرق

بين الموطأ والبخارى وصح أن مالكا أول من صنف فى الصحيح كما ذكره ابن عبد البر وابن العربى القاضى والسيوطى ومغلطاى وابن ليون وغيرهم فافهم انتهى بلفظه منقولا بخط صاحب الحواشى الشيخ صالح الفلانى المحدث المذكور كما ذكر الشنقيطى بأن ابن حجر رجع عن قوله وقرر بأن أول من ألف الصحيح هو الامام مالك وذلك فى كتابه النكت قال الشنقيطى :

أول من ألف فى الصحيح — مالك الامام فى الصحيح
كما له ابن حجر قد رجعا — فى نكت كان لها قد جمعا

ورأى الشنقيطى أن ما فى الموطأ من الموصول تضمنه الصحيحان الا ندورا قال :

وكل ما أسناده فيه اتصل — كيف رواه عنه من عنه نقل
أخرجه الشيخان وفقا أو أحد — زين فكل واحد قد انفرد
بل أخرجوا المرسلات وما — أشبهها مع اتصال سلما

وبذلك تبين صحة الموطأ وانه أول صحيح ألف وهذه دعوى مستقلة ، لا تتنافى معأن صحيحالبخارى أصح،ولا يعارض ذلك ما قاله الشنقيطى فى دعوى أخرى وهى أن الموطأ أقدم وأصل للصحيحين أى فى مجموعه ، ولا تتنافى هذهالدعاوى معماذكره الدهلوىمن أن الطبقة الأولى فى الصحة هى كتاب موطأ مالك وصحيح البخارى وصحيح مسلم ، ويبدو لى أنه ليس أمر مشكلة الأولية فيما ألف فى الصحيح أهو الموطأ أو الجامع الصحيح للبخارى بالأمر الخطير الذى نستبيح من أجله أن ننحى سمة الصحة عن موطأ مالك لكى تثبت للبخارى أولية التأليف للصحيح فليس بالأمر الهين أن نغض من قيمة بناء شامخ له أثره فى حياة السنة وفى حياة الاسلام عامة،وان التفاضل والمقارنةبين هذين الكتابين الجليلين انما يجب أن تقتصر على أيهما أصح ، ولا تتعدى الى أيهما صحيح وأيهما غير صحيح ، وفى ضوء تفسير ابن حجر لمعنى الجامع فى تسمية (١) كتاب البخارى بأنه لم يختص بصنف دون صنف ،

---

١ — النكت لابن حجر مخطوط بالأزهر .

ولهذا أورد فيه الأحكام والفضائل والأخبار المحضة عن الأمور الماضية والأمور الآتية وغير ذلك من الآداب والرقائق .. نستطيع أن نقول بأن البخارى أول من ألف الجامع الصحيح وان مالكا أول من ألف الصحيح والحق أن صحيح البخارى جامع بالمعنى العام لأحاديث الفقه وغيرها من الأغراض بخلاف الموطأ فانه لا يتوفر فيه هذا المعنى فان معظمه وغالبيته فى الأحاديث التى تدور على أحكام الفقه وعلى ذلك يمكن أن يقال بحق أول من ألف فى الصحيح الامام مالك وأول من ألف الجامع الصحيح الامام البخارى ويمكن أن يقال أن الموطأ أول صحيح فى القرن الثانى وصحيح البخارى أول صحيح فى القرن الثالث ، ورأى الامام النووى فى غاية الدقة حينما زاد على ابن الصلاح كلمة المجرد فى صحيح البخارى ملاحظا معنى الصحة فى كتابى الامام مالك والامام أحمد وهو بهذه الزيادة يعتبر قد حل الاشكال قال أول من صنف الصحيح المجرد البخارى (١) ثم مسلم وهما الكتب بعد القرآن وبين السيوطى (٢) فى تنبهاته فى التدريب بأن قول النووى (المجرد) زيادة على ابن الصلاح احترز بها عما اعترض عليه من أن مالكا أول من صنف الصحيح وتلاه أحمد بن حنبل وتلاه مسند الدارمى وقال الدهلوى فى كتاب حجة الله البالغة أن مسند الدارمى انما صنف لأسناد أحاديث الموطأ وفيه الكفاية لمن اكتفى وهذا هو الرأى الواضح الذى يحفظ على السنة كيانها ويحمد عليه النووى .

رواية البخارى للموطا

وقد روى البخارى موطأ مالك عن بعض رواة الموطأ فأخذ عن عبد الله بن يوسف الدمشقى الأصل التنيسى المسكن (٣) وهو ثقة وثقة البخارى وابو حاتم وأكثر عنه البخارى فى صحيحه وغيره من كتبه

---

١ ــ التدريب ص ٣٩ والتهذيب ٧٢/١ .

٢ ــ التدريب ٤١ .

٣ ــ نسبه الى تنيس بلده بجزيرة بحر الروم قرب دمياط « القاموس » .

وأخذ عن سعيد بن عفير وهو سعيد بن كثير بن عقيد بن مسلم الانصارى أخذ عن مالك والليث روى عنه البخارى وغيره وهو من أحد المحدثين الثقات توفى فى رمضان سنة ٢٢٦هـ ويقال بأن مصر لم تخرج أجمع للعلوم منه وعن ابن بكير اشتهر لجده وهو يحيى بن بكير أبو زكريا الموصوف بأخبار شوارد العلوم وجمع شتاتها المصرى أخذ عن مالك والليث وروى عنه البخارى ومسلم بواسطة فى صحيحهما وعن أبى مصعب الزهرى اشتهر بكنيته واسمه أحمد بن أبى بكر القاسم ابن الحارث بن زراره بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى الصوفى قاضى المدينة وأحد شيوخ أهلها لازم مالكا وتفقه عليه وروى عنه موطأه أخرج عنه أصحاب الكتب الستة وقد قالوا ان موطأه آخر الموطآت التى عرضت على مالك ويوجد فى موطئه زيادة مائة حديث على سائر الموطآت الأخرى وقال بعض الفضلاء اختار أحمد بن حنبل رواية عبد الرحمن بن مهدى والبخارى رواية عبد الله بن يوسف التنيسى ومسلم رواية عبد الله بن يحيى التميمى الحنظلى النيسابورى أبو زكريا ، وأبو داود رواية القعنبى والنسائى رواية قتيبة بن سعيد وقال الزرقانى وهذا كله أغلبى والا فقد روى كل ممن ذكر عن غير من عينه وقد عقب على ذلك المحدث الفاضل محمد حبيب الشنقيطى وكان مسرفا ومغاليا فى تعقيبه حيث قال ومن هنا نعلم بالضرورة ان أصحاب كتب الحديث عالة على مالك وأصحابه وهو شيخ الجميع لأن مدار الحديث اليوم على الكتب الستة ومسند أحمد وقد رأيت تعويل الجميع على روايات الموطأ والسماع من أصحابه أ ـ هـ .

وكونهم عالة عليه دعوى فيها اسراف وغمط للمجهودات الجبارة التى قام بها حماة الاسلام ، والحق انهم تأثروا به وانتفعوا من منهجه ومادته ولكنهم ابتكروا فى المنهج وفى جمع المادة فملأوا رياضهم من كل غرس طيب يانع عنده أو عند غيره .

وقد قال صاحب شرح تراجم أبواب صحيح البخارى ولى الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى فى مقدمة كتاب تراجم البخارى كان

أول ما صنف أهل الحديث فى علم الحديث جعلوه مدونا فى أربعـــة فنون من السنة اعنى الذى قالوا له الفقــه مثــل موطأ مالك وجامع سفيان ومن التفسير مثل كتاب ابن جريج ومن السير مثل كتاب محمد ابن اسحاق ومن الزهد والرقاق مثل كتاب ابن المبارك فأراد البخارى رحمه الله أن أن يجمع الفنون الأربعة فى كتابه ويجـرده لما حــكم به العلماء بالصحة قبل البخارى وفى زمانه ويجرده للحــــديث المرفوع المسند وما فيه من الآثار وغيرهما انما جاء فيه تبعا لا أصالة ا هـ فالحق أن الامام مالك له فضل السبق وقــد دفع بمنهجه التصــنيف دفعة قوية وطوره فوفر على الباحثين عناء البحث فى مظان الحديث حينما ابتــكر منهجه فى التأليف على طريقة جمع الأبواب وكتابه حسبه ان مدحـه ناصر السنة الامام الشافعى ومما امتاز به لسبقه فى الزمن علو الاسناد فأعلى أسانيده ثنائيه واعلى أسانيد البخارى ثلاثية ومما لا شك فيه أن البخارى سار على نهجه فى طريقة الجمع والتأليف على الأبواب وأخذ من مادته فى بعض أحاديث أبوابه الفقهية ولكنه ابتكر وجرد الصحيح فكان صاحب منهج له أثره فى حياة السنة فالبخارى له شـــخصيته الباهرة وقوته ومزاياه والعبقرى النابه يحافظ على ما ورثه من تراث قيم ويكون لمورثه الفضل فى ذلك ويتصرف فى هذا التراث وينميــه ويبنى هو بمجهوده وشخصيته القوية صروحا خالدة تتميــز بمميزات كل الجد جديدة..

نبنى كما كانت أوائلنا ... نبنى ونفعــل مثلما فعلوا

وهذا هو ما كان من الامام البخارى وان شئت التحديد فكتاب مالك كما يقول الدهلوى انتفع به البخارى بما يتعلق ببعض أحاديث أحكام الفقه خاصة من حيث المادة كما انتفع بغيره من الرواة الثقات واذا وجدت مادة الحديث فى غير أبواب الفقه فانما هى أحاديث لا تعدو أن تعد على أصابع اليد الواحدة .

وباطلاعى ومراجعتى (١) للموطأ شرح الزرقانى وجدت الامام مالكا

---

١ -- شرح الزرقانى على الموطأ المطبوع بالمطبعة الكستلية بمصر سنة ١٢٨٠ هـ ومقـدمة الموطأ تعليق الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ط عيسى الحلبى .

المحدث العظيم المنصرف الى العناية بما يتعلق بأحاديث أحكام الفقه .

أما البخارى فقد فاقه وكانت مهمة الموطأ جزءا من مهمة البخارى فهو الجامع من غير منازع الى كل أصناف الحديث كما يبدو من النظر فى صحيحه فقد اعتنى بأبواب أحاديث الفقه كمااعتنى بالمغازى والسير والعقيـدة والأدب . الخ .. كمـا قرر الدهلوى فى كلامه السـابق والاسماعيلى فى المدخل وغيرهما من الأئمة .

هذا مع انه لم يقل أحـد بأن أحاديث أبواب الفقه فى البخـارى مقصـورة على ما فى الموطأ ولم يتحقق ذلك كاملا حتى فى باب واحد من أبواب البخـارى فالبخارى له قوته وبراعته وشخصيته فى أبواب الفقه وغيرها فليس بعالة على غيره ثم هو حتى فيما أخذه من بعض أحاديث الامام مالك له مجهوده وتصرفه برفع الموقوف ويستدرك على ما فات ويذكر المعلقات والشواهد كما انه يحيط بجوانب الكلام بذكر ما روى خلافه فأى همة بعد ذلك ؟

واذا كنت قد جرنى الحديث الى القول بأن الموطأ اهتم بالعنـاية بأحاديث أحكام الفقه ومافيه غيرذلك فهوقليل للغاية،وانجامع البخارى يمتاز بالاستيعاب فالواجب هنا الايضاح حتى لا تختلط هذه الدعـوى البريئة وتلتبس بما ادعى على الامام مالك من غير حق بأنه فقيه وليس بمحدث فهذه دعوى مجانبة للصواب وانما اقول ان امامته فى الفقه انما هى نتيجة لانه بنى فقهه على أساس متين من الحديث وهو امام الحديث والفقه معا وقد رد الدكتور السباعى أبلغ رد على من قال بأن الامام مالكا فقيه وليس بمحدث من المستشرقين وأتباعهم فى قولهم أن الموطأ كتاب فقه لا كتاب حديث (١) .

رأى فؤاد سيزكين

ولقد ذكر فضيلة الشيخ عبد الغنى فى مقدمة البخارى (٢) ان بعض باحثى المسلمين فى مؤلف خاص باللغة التركية ادعى بأن البخارى أغار

---

١ ـ السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ص ٤٩١ للدكتور السباعى .
٢ ـ مقدمة البخارى ص ١٢٠ للشيخ عبد الغنى .

على بعض الكتب التى سبقته كالموطأ وما اليه فنقل سائر ما تضمنته وكذب ذلك ووعد بالرد عليه ان شاء الله) اهـ .

ولقد علمت من السيد / مدير المخطوطات بدار الكتب المصرية الأستاذ فؤاد السيد بأن هذا الباحث اسمه فـؤاد سيزكين وهو الآن أستاذ الأديان فى جامعات المانيا ومثل هذا يطمئن اليه الغرب ، ويحتضنه ليشكك الناس فى مجهود حماة الاسلام ويهون من شأنهم وفى ذلك خطورة وخبث فالتقليل من قيمة صاحب المؤلف ينعكس على مؤلفـه ويقلل من شأن كتابه حتى يصرف الناس عنه .

وكأن استاذ الأديان هذا لم يعرف شيئا عن تاريخ رحلات البخارى ولم يتعرف على صحيحه والا فدعواه تنهار تماما بالنظرة الأولى لصحيح البخارى أو لفهارسة الجامعه وعند التطلـع لقسمات تراجمه وأبوابه وترتيبها وما فيها من دقة لم يسبق اليها تصور دقة العالم الجامع فهو فى مظهر كتابه والتصرف فيه واستنباطه فى تراجمة وتبويبه مبتكر لا شك فى هذا ، وفى مادته مطوف على كل روض لم يقتصر على كتاب ولا عشرات من الرواة والكتب حتى يكون عالة على واحد منهم ولكن الأمر الذى لا شك فيه أنه لم يبتدع حديثا من عنده . وهل يعاب على ذلك ؟ وكأنى بصاحب هذه الدعوى وقد نسى مهمة البخارى وغيره من المحدثين بأنها الجمع من الثقات والدقة فى التأليف والتحرى فى الصحيح والتبويب والاستنباط وحسن العرض .

وظن أن على المحـدث أن يبتـكر أحاديث جـديدة من عنـد نفسه لم يسبق اليها فى العصور التى بينه وبين النبى عليه السلام أو ان عليه الا ينظر أو يقدر من سبقه فلا يتعرض الى حديث مسطر فى كتب بل يتعنت ضد كل مؤلف ؟ وهذا مالا يليق، فالبخارى فى الواقع طالب صحيح السنة يبحث عنها فى كل مكان حاملا معه المقاييس الصحيحة الدقيقة راحلا الى أئمة السنة قاطعا الفيافى والقفار مسجلا لرجال الحديث وأحوالهم وحسبه فى ذلك التاريخ الكبير وغيره من كتب الرجال التى

ألفها قبل تأليف الصحيح واذا كان لابد من تصحيح لتعبير فؤاد سيزكين الضيق فانا نقول بأنه يغير على كل ثقة ويطوف على كل بستان نضر يمتص منه أسمى رحيقه الصافى ولكنه عالمى لايختص بروض بعينه ولا تتحمله عشرات الرياض حتى يجمع مادته ومن هنا فقد روى عن آلاف الثقات حتى جمع الجامع الصحيح ، الجامع لكل أصناف الحديث وذلك مما يدل على مكانته ومجهوده الجبار الذى يضفى عليه وعلى كتابه كل تقدير وثقة وبهذا العموم فى الرجال أيضا تميز على كتاب الموطأ ورجاله وكان هذا مميزا ثانيا فكما كان الجامع لكل صنف من الحديث كان الجامع لكل صنف من الرجال من كل قطر لأى بلد وجد فيه المحدثون قال ابن خلدون فى مقدمة تاريخه فى علوم الحديث وجاء محمد ابن اسماعيل البخارى امام المحدثين فى عصره وخرج أحاديث السنة على أبوابها فى مسنده الصحيح بجميع الطرق التى للحجازيين والعراقيين والشاميين واعتمد منها ما أجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه أ هـ .

كما روى عن أهل الرى وواسط وخراسان ومرو وبلخ وهراة ونيسابور وبخارى وغيرها ، أما الامام مالك فلم يرحل عن المدينة التى هى منبع الحديث ومهبط الوحى لذا نجد معظم رواته عن الحجازيين وكان البخارى فريدا فى تراجمه وتقطيعه الحديث وتكراره ثم تجريده الصحيح فكان المميز عن غيره ولكل فضله وسماته التى تجعله فريدا فى تأليفه وأماما فى عصره .

ولقد كان الامام البخارى يقدر رواية الامام مالك رحمه الله فاذا وجد حديثا متصلا مرفوعا برواية مالك لا يعدل عنه الى غيره الا اذا لم يكن على شرطه فيورد له شواهد ومن المعلوم عند البخارى والمحدثين أن السلسلة الذهبية مالك عن نافع عن ابن عمر ولما كان أجل من روى عن مالك الشافعى قالوا الشافعى عن مالك عن نافع عن ابن عمر .

الموطأ من كتب الأصول فى السنة

الموطأ للامام مالك مما لا شك انه من الكتب الصحيحة ومن أصول السنة . فقد عد رزين بن معاوية فى جامع الصحاح الأصول ستة الموطأ

وكتب الأئمة الخمسة . وتابعه ابن الأثير فى جامع الاصول ومن ترك الموطأ ولم يعده من كتب الأئمة فكما يقول الكوثرى فى تعليقاته على كتاب الأئمة الخمسة للحازمى (١) ومن لم يجعل من بينها الموطأ فأنما ذلك لاندماج أحاديثه فيها الا ما قل أ هـ .

وقال الدكتور السباعى (٢) وأما عدم عد الموطأ من الكتب الستة فلأنه أكثر فيه من المراسيل وهو وان كان يرى العمل بها لكن غيره من المحدثين لا يرون ذلك فهذا هو الذى منع عده فى الكتب الستة أ هـ.

وأقول لعل من عد كتب الأئمة ولم يعد فيها الموطأ فانما يعد كتب الأئمة بالنسبة للعصر الثالث لاجتماعهم فيه، كما انه يمكن أن يقال ربما كانت شهرة الامام مالك وأمامته فى الفقه وكذلك ابن حنبل اغنتهما فى نظر بعض العادين عن عدهما فى ائمة الحديث رغم امامتهما وبراعتهما فيه .

لكل موقوف او مقطوع فى الموطا وصحيح البخارى أصل من الكتاب والسنة :

ويزيدنا ثقة بما لم يوصل فى كتابى الامامين الجليلين مالك والبخارى ان نعلم فضلا عن جلالتهما وامامتهما فى الحديث انه لا يوجد فى الموطأ موقوف صحابى أو أثر تابعى الا وله عاضد من الكتاب والسنة (٣) كما لايوجد فى صحيح البخارى حديث عن الصحابة أو التابعين الا وله أصل من كتاب الله أو سنة رسول الله الصحيحة كما صرح البخارى بذلك .

عن أبى محمد (٤) بن أبى حاتم الوراق قال سمعت سليم بن مجاهد يقول كنت عند محمد بن سلام البيكندى فقال لى لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعة آلاف حديث قال فخرجت فى طلبه حتى لقيته فقلت أنت الذى تقول أنا أحفظ سبعين ألف حديث قال نعم وأكثر ولا أجيئك

---

١ ــ الائمة الخمسة للحازمى ص ٦
٢ ــ السنة ومكانتها ص ٤٩٣ .
٣ ــ موطا مالك شرح الزرقانى تعليق محب الدين الخطيب .
٤ ــ تاريخ بغداد جـ ٢ ص ٢٤ .

بحديث عن الصحابة والتابعين الاعرفت أكثر مولدهم ووفاتهم ومساكنهم.

ولست أروى حديثا من أحاديث الصحابة والتابعين ألا ولى فى ذلك أصل أحفظه حفظا من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

أثر صحيح البخارى فى ازهار السنة فى القرن الثالث وما بعده

لقد تسلم الامام البخارى لواء الحديث فى مطلع القرن الثالث الهجرى وسلك به منهجا قويا أوصله درجة بالغة فى الصحة والكمال فقد كان كتابه الخالد الجامع الصحيح له فضل السبق فى هذا القرن الذى اذدهر بأئمة السنة فالامام مسلم والامام أبو عيسى الترمذى والامام النسائى والامام أبو داود السجستانى وكتب هؤلاء الائمة التى أصبحت المرجع فى الأحاديث انما ظهرت بعد الجامع الصحيح وقد كان له أثر عظيم فى توجيه مؤلفى هذه الكتب وأجادة مصنفيها .

وكان البخارى موضع تقديرهم وامام قافلتهم وأستاذهم جميعا الذى تأثروا به وشهدوا له .

وليس معنى التأثر ان يكون التلميذ نسخة من الأستاذ مقلدا له فى كل شىء وظيفته المحاكاة فقط والا لو كان الأمر كذلك للحق العيب الأستاذ والتلميذ معا ولما كان منهج الأستاذ ناجحا ولا كان تفكير التلميذ مرنا .

بل قد يتأثر التلميذ النابه بالأستاذ النابه ويظهر فيه ذلك فى لون من ألوان تصرفه وان كان مع ذلك يتسم بخصائص منفردة تحفظ له ذاتيته ومجهوده وقد تقرب أو تبعد عما تأثر به ترتفع أو تنخفض كذلك عن منهجه بعض الخطوات ولا يتسع المقام أن أبين خصائص كتب هؤلاء الأئمة فى السنة . كلهم أو أقارنهم بصحيح البخارى ، امامهم فى منهجه وباعث نهضتهم ــ خاصة وأنه لم يضع محدث ما أى كتاب من كتب هؤلاء الأئمة فى كفة محاولا وضعه فى جوار كفة البخارى أو قريبا منه

اللهم الا تليذه الأول الذى لحق بشيخه أو قاربه وارتقى لما يقرب من مرتبته وأصبح كتابه قرين كتاب البخارى وأطلق عليهما معا الصحيحان وعند الاطلاق يعلم انهما صحيح البخارى وصحيح مسلم — ووضع فى درجة هى الدرجة الأولى من كتب الحديث واقترن ذكر مسلم بالبخارى وقيل لهما فى عرف المحدثين الشيخان .

لذا سأكتفى بالحديث عنه مبينا تأثره بصحيح البخارى وخصائصه وفيما عداه سأكتفى بنصوص الائمة التى تبين أثر صحيح البخارى فى كتب الائمة وتقدير الائمة له .

شهد للبخارى تلميذه الأول الامام مسلم ووصفه بأبلغ وصف فأطلق عليه انه سيد المحدثين وطبيب الحديث فى علله (١) ويقول ابو عيسى الترمذى (٢) الامام الجليل فى فضل الامام وعلمه : لم أر بالعراق ولا بخراسان فى معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد ابن اسماعيل ويذكر الامام النووى أن من رواة البخارى الاعلام الامام مسلما بن الحاج وأبا عيسى محمد بن عيسى بن سوره الترمذى وأبا عبد الرحمن النسائى وأبا حاتم وأبا زرعة الرازيين وكل هؤلاء أئمة الأعلام (٣) .

وقال الاسماعيلى عن الامام البخارى فى المدخل انه حاز السبق وبلغ الغاية (٣) وجمع الى ذلك حسن النية والقصد الى الخير ونفعة الله ونفع به وقد نحا نحوه فى التصنيف جماعة منهم الحسن بن على الحلوانى لكنه اقتصر عن السنن ومنهم أبو داود السجستانى وكان فى عصر أبى عبد الله البخارى فسلك فيما سماه سننا ذكر ما روى فى الشىء وان كان فى المسند ضعف اذا لم يجد فى الباب غيره ومنهم مسلم بن الحجاج فكان يقاربه فى العصر فرام مرامه وكان يأخذ عنه أو عن كتبه الا أنه لم يضايق نفسه مضايقة أبى عبد الله وروى عن جماعة كثيرة لم يتعرض أبو

---

١ — مقدمة شرح البخارى للنووى ص ٧ .
٢ — ابو عيسى الترمذى الف فيه رسالة الدكتوراه الاستاذ نور العتر الدمشقى .
٣ — التهذيب للنووى جـ ١ ص ٧٤ .

عبدالله للرواية عنهم وكل قصد الخير غير أن أحدا منهم لم يبلغ من التشدد مبلغ أبى عبد الله ولا تسبب الى استنباط المعـانى واستخراج لطائف فقه الحديث وتراجم الأبواب الدالة على ما له صلة بالحديث المروى فيه تسببه ولله الفضل يختص من يشاء وفى تقرير هذا المعنى يقـول الحاكم أبو احمد النيسابورى رحم الله محمد بن اسماعيل فانه ألـف الأصول يعنى « أصول الأحكام من الاحاديث » وبين للناس وكل من عمل بعده فانما أخذه من كتابه كمسلم بن الحجاج .

اثر منهج البخارى فى صحيح مسلم

من أشرف ما يتسم به الجامعان الصحيحان للبخارى ومسلم ويتفقان فيه باتفاق العلماء . وحسبهما فى ذلك شرفا وفضلا وصلة وثيقة انهما أصح الكتب بعد القرآن العزيز وان الأمة تلقتهما بالقبول وما أروعها وأثبتها من مكانة رفيعة لا يمكن بأى حال أن تغير بما يقال بعد ذلك من تفصـيل يراد به ابراز خصـائص كل منهما ومزاياه وتأثر اللاحق منهما بالسابق فيما اتفقا فيه ويترتب على ذلك .

أولا ــ أثبـات ذاتية مجهود الامامين فى كتـابيهما وصلتهما ببعضهما .

ثانيا ــ أيهما أرجح وأفضل .

الجامع الصحيح للامام مسلم

مؤلفة أبو الحسن مسلم بن الحجـاج بن مسلم القشـيرى نسبا النيسابورى وطنا أمام الحديث وتلميذ البخارى وخريجه وصاحبه .

ولد مسلم بنيسابور سنة ست ومائتين وكان منهجه فى تحصيل العلم نهج البخارى واسع الرحلات جواب الافاق طلبا للحديث وعاش حياة علمية حية بالتلقى والرحلة والتدريس والتأليف الى ان أدركته الوفاة سنة أحدى وستين ومائتين بنيسابور ولم يتجاوز خمسة وخمسين عاما .

موضوع الجامع الصحيح للامام مسلم

وموضوع الجامع الصحيح للامام المسلم هو الحديث الصحيح المجرد المسند الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نهج فى تأليفه نهج البخارى فى طريقة صحيحه فى جمع الحديث الصحيح المجرد وتأليفه على أبواب العلم من فقه وخلافه متأثرا بطريقته غير انه اقتصر فيه على مرد المسند من غير أن يذكر الموقوفات الا نادرا ومن غير ان يذكر فيه تراجم الأبواب وقد قام بالتبويب والترجمة شراح كتابه وكان أعظم من أجاد فى ذلك الامام محيى الدين أبو ذكريا يحيى النووى .

قال النووى (1) ان مسلم رحمه الله تعالى رتب كتابه على أبواب فهو مبوب فى الحقيقة ولكنه لم يذكر تراجم الأبواب فيه لئلا يزداد بها حجم الكتاب أو لغير ذلك ثم قال النووى وقد ترجم جماعة أبوابه بتراجم بعضها جيد وبعضها ليس بجيد اما لقصور فى عبارة الترجمة أو ركاكة لفظها وأما لغير ذلك وان شاء الله أحرص على التعبير عنها بعبارات تليق بها فى مواطنها أ ـ هـ .

وقد جمع مسلم فى كتابه أربعة آلاف من الأحاديث الصحاح غير المكرر وبالمكرره (٧٢٧٥) .

خصائص صحيح مسلم

١ ـ ليس فيه بعد الخطبة الا الحديث السرد ولم يتصد لما تصدى له البخارى من استنباط الأحكام وتقطيع الأحاديث وترجمة الأبواب وقد عقد النووى فصلا فى خصائصه قال : فمن تحرى مسلم رحمه الله اعتناؤه بالتمييز بين حدثنا وأخبرنا . وتقييده ذلك على مشايخه وفى روايته وكان من مذهبه رحمه الله الفرق بينهما وان حدثنا لايجوز اطلاقه الا لما سمعه من لفظ الشيخ خاصة وأخبرنا لما قرىء على الشيخ

---

١ ـ مقدمة صحيح مسلم شرح النووى ص ٢١.

وهذا الفرق هو مذهب الشافعي وأصحابه وجمهور أهل العلم بالمشرق وقال محمد بن الحسن الجوهرى المصرى وهو مذهب أكثر اصحاب الحديث الذين لا يحصيهم أحد وروى هذا المذهب أيضا عن ابن جريج والاوزاعى وابن وهب والنسائى وصار هو الشائع الغالب على الحديث وذهب جماعات الى انه يجوز ان تقول فيما قرىء على الشيخ حدثنا وأخبرنا وهو مذهب الزهرى ومالك وسفان ويحيى بن سعيد القطان وآخرين من المتقدمين وهو مذهب البخارى وجماعة من المحدثين وهو مذهب الحجازيين والكوفيين وذهبت طائفة الى أنه لا يجوز اطلاق حدثنا ولا أخبرنا فى القراءة وهو مذهب ابن المبارك ويحيى بن يحيى واحمد بن حنبل والمشهور عن النسائى والله أعلم ، ومن ذلك اعتناؤه بضبط لفظ الرواة كقوله حدثنا فلان وفلان واللفظ لفلان وكذلك اذا كان بينهما اختلاف فى حرف من متن الحديث أو صفة الراوى أو نسبته أو نحو ذلك فانه يبينه وربما كان بعضه لا يتغير به معنى وربما كان فى بعضه خلاف فى المعنى ولكن كان خفيا لا يتفطن له الا من هو على اطلاع على دقائق الفقه ومذاهب الفقهاء ..

ومن ذلك تحريه فى مثل قوله حدثنا عبد الله بن سلمه حدثنا سليمان « يعنى ابن بلال » عن يحيى « وهو ابن سعيد » فلم يجوز رضى الله عنه أن يقول سليمان بن بلال ويحيى بن سعيد لكونه لم يقع فى روايته منسوبا فلو قاله منسوبا لكان مخبرا عن شيخه انه أخبره بنسبه ولم يخبره ومن ذلك حسن ترتيبه وترصيفه الأحاديث على نسق يقتضيه تحقيقه وكمال معرفته بمواقع الخطاب ودقائق العلم وأصول القواعد وخفيات علم الأسانيد ومراتب الرواة وغير ذلك .

يقول صاحب كتاب أطوار الثقافة والفكر الاسلامى (١) وليس لمسلم مزية فى صحيحه على البخارى الا انه لم يقطع الحديث فى أبوابه كما فعل البخارى فى بعض أحاديثه بل أنه روى كل حديث مستكملا غير

---

١ ـ كتاب اطوار الثقافة والفكر الاسلامى للاستاذ على الجندى وزملائه جـ ٢ ص ٣٢١.

مجزء بأسانيده المختلفة فى مكان واحد واقتصر فيما دونه على الأحاديث المتصلة دون الموقوفات التى ينتهى سندها الى الصحابة من غير أن يذكر فيها قول ، ولا فعل للنبى صلى الله عليه وسلم أهـ .

وهذا الأمر هو الذى استرعى أنظار أئمة الحديث ومنصفيه قال النووى والسيوطى فى التدريب (١) اختص مسلم بجمع طرق الحديث فى مكان واحد بأسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة فسهل تناوله بخلاف البخارى فانه قطعها فى الأبواب بسبب استنباط الأحكام منها وأورد كثيرا منها فى مظانه .

وقال النووى فى مقدمته شرح مسلم (٢) وقد انفرد مسلم بفائدة حسنة جعلته أسهل متناولا من حيث انه جعل لكل حديث موضعا واحدا يليق به جمع فيه طرق الحديث التى ارتضاها واختار ذكرها وأورد منه أسانيده المتعددة وألفاظ الحديث المختلفة فيسهل على الطالب النظر فى وجوه الحديث واستثمارها ويحصل له الثقة بجميع ما أورده مسلم من طرقه بخلاف البخارى فانه يذكر تلك الوجوه المختلفة للحديث فى أبواب متفرقة متباعدة وكثيرا منها يذكره فى غير بابه الذى يسبق الى الفهم انه أولى به وذلك لدقيقة يفهمها البخارى منه فيصعب على الطالب جمع طرقه وحصول الثقة بجميع ما ذكره البخارى من طرق هذا الحديث أ ـــ هـ .

ويلاحظ ان كلام النووى يشعر بدقة تصرف البخارى وان خفى ذلك على من ليس له قدم راسخة فى الحديث وان هذه الدقة انما يفهمها البخارى والخواص فى معرفة الحديث ومن هنا ربما كان صعب المنال على غير العارفين بالحديث والذى حتم على البخارى ذلك المنهج تقطيع الأحاديث انما هو استنباطه وتراجمه وهذه ميزة لم يضح بها البخارى

---

١ ـ التدريب ص ٤٤ .

٢ ـ مقدمة صحيح ومسلم شرح النووى جـ ١ ص ١٤ فى الموازنة بين الصحيحين .

فى سبيل سهولته على العامة ولذا قال شيخ الاسلام ابن حجر فى ذلك [1] .

واذا امتاز مسلم بهذا فللبخارى فى مقابلته من الفضل ما ضمنه فى أبوابه من التراجم التى حيرت الأفكار .

وقد بين الامام مسلم نفسه [2] فى أول مقدمته فى صحيحه انه عمد على تلخيص الطرق فى موضع واحد بلا تكرار ليسهل على العامة والخاصة كما بين بأن الذى ساقه انى التأليف انما هو تخبط العامة فى غير الصحيح وان ضبط القليل واتقانه من الحديث أيسر على المرء من معالجة الكثير منه ولا سيما عند من لا تميز له من العوام الا بأن يوقفه على التميز غيره ويبين بأنه انما يرجى بعض المنفعة فى الاستكثار وجمع المكررات من الحديث للخاصة من الناس ممن رزق فيه بعض التيقظ والمعرفة بأسباب الحديث وعلله بخلاف عوام الناس الذين هم بخلاف معانى الخاصة من أهل التيقظ والمعرفة وقال مبينا لسائله لن من سبب تأليفه الحرص على هداية العوام قال وبعد يرحمك الله فلولا الذى رأينا من سوء ما صنعه كثير ممن نصب نفسه محدثا فيما يلزمهم من طرح الأحاديث الضعيفة والروايات المنكرة ، وتركهم الاقتصار على الأحاديث الصحيحة المشهورة مما نقله الثقات المعروفون بالصدق والأمانة بعد معرفتهم واقرارهم بألسنتهم أن كثيرا مما يقذفون به الى الأغبياء من الناس هو مستنكر ومنقول عن قوم غير مرضيين ممن ذم الرواية عنهم أئمة أهل الحديث مثل مالك بن أنس وشعبة بن الحجاج وسفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدى وغيرهم من الأئمة لما سهل علينا الانتصاب لما سألت من التميز والتحصيل ولكن من أجل ما أعلمناك من نشر القوم الأخبار المنكرة بالأسانيد الضعاف المجهولة وقد ألقى بها الى العوام الذين لا يعرفون عيبها خف على قلوبنا اجابتك الى ما سألت أ هـ .

---

١ ـ التدريب ص ٤٥ .

٢ ـ من كلام الامام مسلم نفسه فى مقدمة صحيحه بتصرف ص ٤٥ شرح النووى .

ولهذه السهولة في صحيح مسلم شذ أبو علي الحسين بن علي النيسابوري عن اتفاق العلماء بتقديم صحيح البخاري على صحيح مسلم وقال بتقديم صحيح مسلم على صحيح البخاري أو فهم منه ذلك روى ابن الصلاح (١) عن أبي علي الحافظ النيسابوري أستاذ الحاكم أبي عبد الله بن البيع قال « ما تحت أديم السماء كتاب أصح من كتاب مسلم بن الحجاج » فهذا وقول من فضل من شيوخ المغرب كتاب مسلم على كتاب البخاري قال ابن الصلاح ان كان المراد به ان كتاب مسلم يترجح بأنه لم يمازجه غير الصحيح فانه ليس فيه بعد خطبته الا الحديث الصحيح مسرودا غير ممزوج بمثل ما في كتاب البخاري فهذا لا بأس به ولا يلزم ان كتاب مسلم أرجح فيما يرجع الى نفس الصحيح وان كان المراد ان كتاب مسلم أصح صحيح فهو مردود على من يقوله والله أعلم .

وعلق العراقي على ذلك بقوله (٢) قلت قد روى مسلم بعد الخطبة في كتاب الصلاة باسناده الى يحيى بن أبي كثير انه قال لا يستطاع العلم براحة الجسم فقد مزجه بغير الأحاديث ولكنه نادر بخلاف البخاري.

وقال شيخ الاسلام ابن حجر (٣) قول أبي علي ليس فيه ما يقتضي تصريحه بأن كتاب مسلم أصح من كتاب البخاري خلاف ما يقتضيه اطلاق الشيخ محيي الدين في مختصره « التقريب » وفي مقدمة شرح البخاري حيث يقول (٤) البخاري أول من صنف الحديث المجرد واتفق العلماء على أن أصح الكتب المصنفة صحيحا البخاري ومسلم واتفق الجمهور على ان صحيح البخاري أصحهما صحيحا وأكثرهما

---

١ ـ مقدمة ابن الصلاح ص ١٤ والتدريب ص ٤٣ .

٢ ـ التقييد والايضاح لما أطلق واغلق من مقدمة ابن الصلاح لشيخ الاسلام الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي ص ١٤ المتوفى سنة ٨٠٦ هـ .

٣ ـ التدريب ص ٤٣ ومقدمة الفتح جـ ١ ص ٦ .

٤ ـ مقدمة شرح البخاري للنووي جـ ١ ص ٧ ومقدمة شرح مسلم للنووي في الموازنة بين البخاري ومسلم ص ١٤ .

فوائد وقال الحافظ أبو على النيسابورى شيخ الحاكم أبى عبد الله : صحيح مسلم أصح ووافق بعض علماء المغرب وأنكر ذلك عليهم والصواب ترجيح البخارى على مسلم أ ـ هـ .

قال ابن حجر وانما يقتضى نفى الأصحية عن غير كتاب مسلم عليه لا اثباتها أما اثباتها له فلا ، لان اطلاقه يحتمل ان يريد ذلك ويحتمل ان يريد المساواة فى نظره قال .

ومع احتمال كلامه ذلك فهو منفرد به سواء قصد الأول أو الثانى وعلق ابن حجر فى المقدمة على كلام ابن الصلاح بقوله : واقتضى كلام ابن الصلاح ان العلماء متفقون على القول بأفضلية البخارى فى الصحة على كتاب مسلم الا ما حكاه عن أبى على من قوله المتقدم وعن بعض شيوخ المغاربة ان كتاب مسلم أفضل من كتاب البخارى من غير تعرض للصحة « بل الى المعنى الذى تقدم من السهولة فى الرجوع الى موضع الحديث وسرد الصحيح » وعارض ابن حجر قول أبى على هذا بقول من هو أعظم منه فقال روينا بالاسناد الصحيح (١) عن أبى عبد الرحمن النسائى وهو شيخ أبى على النيسابورى انه قال ما فى هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن اسماعيل والنسائى لا يعنى بالجودة الا جودة الأسانيد كما هو المتبادر الى الفهم من اصطلاح أهل الحديث ومثل هذا من النسائى غاية فى الوصف مع شدة التحرى وتوقيه وتثبته فى نقد الرجال وتقدمه فى ذلك على أهل عصره حتى قدمه قوم من الحذاق فى معرفة ذلك على مسلم بن الحجاج وقدمه الدارقطنى فى ذلك وغيره على امام الأئمة ابى بكر بن خزيمه صاحب الصحيح وأورد ابن حجر غير ذلك مما سأعرج عليه عند الكلام على مزايا وخصائص الجامع الصحيح للبخارى وأقول ان سهولة الكشف والتناول فى الجامع الصحيح للامام مسلم فى نظرى انما هى مستفادة وحاصلة بعد التبويب والتراجم للكتاب وهذا من عمل شراح الصحيح لا من عمل الامام مسلم

١ ـ مقدمة الفتح جـ ١ ص ٧ .

وأما قبل التبويب والترجمة فان الأحاديث وان كانت متجمعة بطرقها المختلفة وألفاظها فى مكان واحد لكنه نظرا الى عدم تبويبها يصعب البحث فى جوانب الكتاب حتى يهتدى الباحث الى الموضع الخاص الذى يريده وبعد تصنيف كتب مفاتيح الصحيحين أصبحت طرق حديث البخارى معلومة وكما يقول محب الدين الخطيب فى كتابه توضيح البخارى بعد تنبيهه على مواضع تعدد وطرق الحديث قال وبذلك لم يعد فضل وميزة لكتاب مسلم بهذا على كتاب البخارى .

افضلية صحيح البخارى على صحيح مسلم

أصبح من المعلوم أن الصحيحين هما أصح الكتب بعد كتاب الله وبهما رفعت راية السنة وضاءة فى أبهى أدوار أوجها واتسم العصر الثالث بهما وبأثرهما فيمن بعدهما بأنه أزهى عصور جمع السنة ولم يرق امام من ائمة الحديث بعدهما الى مرتبتهما وفى معرض المفاضلة بين الصحيحين يجد الباحث أن صحيح البخارى مجمع على أفضليته اذا استثنينا رأى أبى على النيسابورى فى تقديم صحيح مسلم فى الصحة لأن أفضلية البخارى ثابتة بأمرين الأمر الأول : وهو ما عبر عنه ابن حجر بقوله من حيث الاجمال ويرجع الى تقدير شهادة أهل الفن والحديث (1) بعد دراستهم الواعية ان أفضلية الصحيح للبخارى على مسلم ثابتة عن أئمة العلماء وقد نقل الاتفاق على تقدمه الامام النووى وشيخه ابن الصلاح وغيرهما : قال النووى فى مقدمة شرحه لصحيح مسلم فى الموازنة بين البخارى ومسلم .

اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخارى ومسلم وتلقتهما الأمة بالقبول .

وكتاب البخارى أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة

---

1 — ص ١٤ المقدمة للنووى .

وقد صح ان مسلما كان يستفيد من البخارى ويعترف بأنه ليس له نظير فى علم الحديث . وتصديقا لكلام النووى فقد روى فى تاريخ بغداد (١) .

قول الامام مسلم للبخارى لا يبغضك الا حاسد وأشهد أن ليس فى الدنيا مثلك . وعن أبى عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ يقول سمعت أبى يقول رأيت مسلم بن حجاج بين يدى محمد بن اسماعيل البخارى يسأله سؤال الصبى المتعلم .

وقول النووى فى ترجيح كتاب البخارى هو المذهب المختار الذى قال به الجماهير وأهل الاتقان والحذق بأسرار الحديث .

قال الذهبى وأما جامع البخارى الصحيح فأجل كتب الاسلام بعد كتاب الله تعالى فلو رحل الشخص لسماعه من ألف فرسخ لما ضاعت رحلته وقال النووى فى مقدمة شرحه للبخـارى ومن أخص ما يرجح اتفاق العلماء ان البخارى أجل من مسلم وأصـدق بمعرفته للحديث ودقائقه . وقد انتخب علمه ولخص ما ارتضاه فى هذا الكتاب وقال شيخ الاسلام ابن حجر : اتفق العلماء على أن البخارى أجل من مسلم ومسلم خريجه ولم يزل يستفيد منه ويتتبع آثاره حتى قال الدارقطنى لولا البخارى ما راح مسلم ولا جاء وقال مرة أخرى وأى شىء صنع مسلم انما أخذ كتاب البخارى فعمل عليه مستخرجا وزاد فيه زيادات وهو وان أسرف فى ذلك فانما يؤخذ منه ترجيح البخارى على مسلم واثبات أنه قد استفاد منهوهو تلميذهالذى تأثربه فىحياتهالعلمية وكان صاحب طاقة طيبة فكان له مجهودات علمية وكان لكتابه خصائصـــه الذاتية التى تقدمت فى الحديث على صحيحه .

---

١ ـ جـ ٢ ص ٢٩ .

قال الحاكم أبو أحمد النيسابوري وهو عصري أبي علي النيسابوري ومقدم عليه في معرفة الرجال .

« رحم الله محمد بن علي بن اسماعيل فانه الذي ألف الأصول » (يعني أصول الأحكام في الحديث) وبين للناس وكل من أتى بعده فانما أخذه من كتابه كمسلم بن الحجاج [1] والنقول كثيرة في هذا المعنى وحسبنا هذا القدر الذي يكاد يتراءى منه اتفاق العلماء كما نقل ذلك عن أئمة الحديث لأن البخاري أعلم بهذا الفن من مسلم وأنه أستاذه وقد شهد مسلم بأنه ليس مثله ولا في عصره من يدانيه في فن الحديث وعلومه كما أنه قد تراءى لنا من كلام الحاكم أبي أحمد وغيره أن منهج البخاري هو الذي خرج أئمة الحديث بعده وفي مقدمتهم تلميذه الأول الامام المسلم .

الأمر الثاني :

وهو ما يتعلق بتفصيل الأدلة على مقاييس الصحة .

ومعلوم أن مقاييس الحديث انما يدور على اتصال السند واتقان الرجال والسلامة من الشذوذ والعلل فالبخاري أتقن رجالا وأشد اتصالا وأبعد عن الشذوذ والعلة وبيان ذلك .

أولا : فيما يتعلق باتقان الرواة فصحيح البخاري أرجح على صحيح مسلم .

(أ) ان الذين انفرد البخاري بالاخراج لهم دون صحيح مسلم أربعمائة وبضع وثلاثون رجلا ـ المتكلم فيه بالضعف منهم (٨٠) رجلا والذين انفرد مسلم بالاخراج لهم دون البخاري (٦٢٠) رجلا المتكلم

---

١ ـ مقدمة فتح الباري ٧/١ والتهذيب للنووي ٧٤/١ .

فيه بالضعف منهم (١٦٠) رجلا ، ولا شك ان التخريج عمن لم يتكلم فيه أصلا أولى من التخريج عمن تكلم فيه وان لم يكن ذلك الكلام قادحا .

(ب) أن الذين انفرد بهم البخارى ممن تكلم فيه لم يكثر من التخريج عنهم وليس لواحد منهم نسخة كبيرة أخرجها كلها أو أكثرها الا ترجمة عكرمة عن ابن عباس .

بخلاف مسلم فانه أخرج أكثر تلك النسخ كأبى الزبير عن جابر وسهيل عن أبيه والعلاء بن عبد الرحمن عن أبيه وحماد بن سلمه عن ثابت وغير ذلك .

(جـ) ان الذين انفرد بهم البخارى ممن تكلم فيه اكثرهم من شيوخه الذين لقيهم وجالسهم وعرف احوالهم واطلع على احاديثهم وميز جيدهم من غيره . بخلاف مسلم فان من انفرد بتخريج حديثه ممن تكلم فيه اكثرهم ممن تقدم عصره من التابعين ومن بعدهم ولا شك أن المحدث أعرف بحديث شيوخه دون غيرهم .

(د) ان البخارى يخرج أحاديث الطبقة الأولى وهى أعلى الطبقات فى الحفظ والاتقان وطول الصحبة عمن أخذوا عنه استيعابا وينتقى من أحاديث الطبقة الثانية التى دون الأولى فى الصفات المذكورة . ومسلم يخرج حديث الطبقة الثانية استيعابا وفى أصل موضوع كتابه فكان البخارى أقوى اسنادا واوثق رجالا .

أما بالنسبة بما يتعلق باتصال السند :

فان مذهب مسلم بل نقل الاجماع (١) فى أول صحيحه أن الاسناد المعنعن الذى يقال فيه (فلان عن فلان) له حكم الموصول بسمت بمجرد كون المعنعن والمعنعن عنه كانا فى عصر واحد وان لم يثبت

---

١ ـ مقدمة صحيح مسلم للامام مسلم ص ١٢٧ شرح النووى باب صحة الاحتجاجبالحديث المعنعن اذا امكن لقاء المعنعن ولم يكن فيهم مدلس ومقدمة مسلم للنووى ص ١٤ فى الموازنة بين البخارى ومسلم .

اجتماعهما والبخارى لا يحمله على الاتصال حتى يثبت اجتماعهما ولو مرة وقد بين البخارى هذا المذهب فى تاريخه وجرى عليه فى صحيحه فان روى أحد عن أحد بالعنعنة مع عدم المعاصرة واللقاء يكون رواية منقطعة عند الشيخين وان روى مع تحقق اللقاء والمعاصرة يكون رواية مقبولة عندهما .

ويظهر الخلاف بينهما . ان روى الراوى عن معـاصره ولم يثبت لقاؤه ، قبله مسلم ورده البخارى لعدم ثبوت السماع عنـده فشرط البخارى أكثر فى الاتصال . وطريق (١) ثبوت السماع عنده يدور على التصريح فى اسناد ثبت السماع عنده فى موضع فيحكم به فى سـائر المواضع وهذا الشرط عنده انما هو للصحيح فى كتابه خاصة لا للصحيح مطلقا فمخالفته للجماهير ولمسلم ليس فى نفس تعريف الصحيح بل هو شرط التزمه للصحيح فى كتابه فهذا تشديد منه على نفسـه فى هـذا الكتاب فقط .

ولكل ذى همة وعزم ان يشدد على نفسه بما شاء .

اما بالنسبة بما يتعلق بالسلامة من الشذوذ والعلة :

فان الأحاديث التى انتقدت عليهما بلغت (٢١٠) مائتى حديث وعشرة أحاديث (٢) اختص البخارى منها بثمانية وسبعين واختص مسلم بمائة واشتركا فى الباقى وهو اثنان وثلاثون وقد وافقه مسلم فى تخريجهـا ولاشك أن ما قل الانتقاد فيه أرجح مما كثر فيه الانتقاد فثبت بذلك قول الامام مسلم بأن البخارى استاذ الاساتذة وسيد المحدثين وطبيب الحديث .

البخارى المسند فيه صحيح لذاته

وبما فضـل به البخارى على مسلم كما فى فيض البارى (٣) ان مسلما يشتمل كتابه على الصحيح لذاته والصحيح لغيره الذى هو الحسن

---

١ ــ فيض البارى للكشميرى جـ ١ ص ٥٠ .

٢ ــ مقدمة فتح البارى جـ ١ ص ٨ و جـ ٢ ص ٨١ لابن حجر .

٣ ــ فيض البارى جـ ١ ص ٥١ للكشميرى .

كما فى باب مذمة الشعر ــ بخلاف البخارى فأنه يشتمل على الصحيح لذاته فقط وذلك لأنه جرى على اصطلاح القدماء ولم يفرق بين الحسن والصحيح وقد قال ابن تيميه ان تقسيم الحديث عند القدماء كان الى قسمين فقط صحيح وضعيف والحسن لذاته كان داخلا فى الصحيح واليه جنح غير واحد من الائمة حتى انعقد الاجماع على ذلك .

قال الكشميرى دعوى الاجماع غير صحيحة لأن البخارى وعلى بن المدينى ممن يفرقان بينهما حتى جاء الترمذى وتبع فى ذلك شيخه البخارى فشهره ونوه بذكره وعليه مشى فى جميع كتابه .

الصحيحان لم يستوعبا الصحيح ولا رواته

ان البخارى لم يستوعب الأحاديث الصحيحة (١) وقد صرح بذلك فقال ما أدخلت فى كتاب الجامع الا ما صح وتركت من الصحاح لحال أو لأجل الطول : وفى رواية وتركت من الصحاح حتى لا يطول :

وقال أحفظ مائة الف حديث صحيح وأحفظ مائتى الف حديث غير صحيح وقال الاسماعيلى سمعت من يحكى عن البخارى أنه قال لم أخرج فى هذا الكتاب الا صحيحا وما تركت من الصحيح أكثر ومعلوم أن أحاديث الجامع لم تبلغ ما حفظ البخارى من الصحيح ومعنى ذلك أن البخارى لم يثبت كل حديث صحيح حفظه فضلا عن كل حديث صحيح وكل حديث على شرطه بل لم يستوعب الصحيحان معا الأحاديث الصحيحة .

قال السخاوى فى فتح المغيث ان الشيخين لم يستوعبا كل الصحيح فى كتابيهما بل لو قيل أنهما لم يستوعبا شروطهما لكان موجها وقد صرح كل منهما بعدم الاستيعاب فقد روى عن مسلم أيضا أنه قال ليس كل شىء عندى صحيح وضعته ها هنا انما وضعت ما أجمعوا عليه قال ابن الصلاح (٢) اراد والله أعلم انه لم يضع فى كتابه الا الاحاديث

١ ــ تاريخ بغداد جـ ٢ ص ٨ وتهذيب النووى جـ ا ص ٧٤ .
٢ ــ التهذيب بن حجر جـ ٩ ص ٤٩ ومقدمة الفتح جـ ا ص ٤ .

التى وجد عنده فيها شرائط الصحيح المجمع عليه وان لم يظهراجتماعها فى بعضها عند بعضهم .

وقال الحافظ بن كثير : ثم ان البخارى ومسلما لم يلتزما باخراج جميع ما يحكم بصحته من الاحاديث فأنهما قد صححاأحاديثليستفى كتابيهما كما ينقل الترمذى عن البخارى تصحيح أحاديث ليست عنده بل فى السنن وغيرها ، وبهذا يرد مازعمه مؤلف فجر الاســلام الدكتور احمد أمين من أن ما جمعه البخارى فى حديثه وهو أربعة آلاف منغير المكرر هو كل ما صح عنده من عدد الاحاديث التى كانت متداولة فى عصره وبلغت ستمائة ألف .

وقال البلقينى على ما فى التدريب (٢) قيل أراد مسلم اجتماعأربعة أحمد بن حنبــل وابن معين وعثمان بن أبى شيبه وسعيد بن منصور الخراسانى ورووا عن مسلم أنه لما عوتب على ما فعل من جمع الأحاديث الصحاح فى كتــاب وقيل له ان هذا يطرق لأهل البدع علينا فيجدون السبيل لأن يقولوا اذا احتج عليهم بحديث قالوا ليس هذا فىالصحيح قال ان ما أخرجت فى هذا الكتاب وقلت هو صحاح ولم أقل ان مالم اخرجه من الحديث فى هذا الكتاب فهو ضعيف.

قال النووى (٣) ولم يستوعبا الصحيح ولا التزماه أى الاستيعاب.

قال ابن الصلاح : والمستدرك للحاكم كتاب كبــير يشــمل على ما فاتهما على شيء كثير وان يكن فى بعضه مقال فانه يصفو له منــه صحيح كثير .

قال النووى والصواب . انه لم يفت الأصــول الخمســه وهى الصحيحان وسنن أبى داود والترمذى والنسائى ــ الا اليسير . وبناء على ذلك فلا يســوغ لمن اعترض على الشيخين وألزمهما أحاديث لم

---

١ ــ اختصار علوم الحديث ص ٩ .

٢ ــ التدريب ص ٤٧ .

٣ ــ مقدمة مسلم ص ٢٤ .

يخرجاها مع كونها صحيحة على شرطهما أن يعترض عليهما حيث لم يلتزما استيعاب الصحاح وصرحا بعدم التزامه .

قال النووى الزم الامام الحافظ أبو الحسن على بن عمر الدارقطنى رحمه الله وغيره البخارى ومسلما رضى الله عنهما اخراج أحاديث تركا اخراجها مع أن أسانيدها أسانيد قد أخرجا لرواتها فى صحيحهما بهما وذكر الدارقطنى وغيره أن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم رووا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورويت أحاديثهم من وجوه صحاح لا مطعن فى ناقليها ولم يخرجا من أحاديثهم شيئا فيلزم اخراجها على مذهبيهما .

وذكر البيهقى انهما اتفقا على أحاديث من صحيفة همام بن منبه وأن كل واحد منهما انفرد عن الآخر بأحاديث منها مع أن الاسناد واحد .

وصنف الدارقطنى وأبو ذر الهروى فى هذا النوع الذى ألزموهما .

قال النووى : وهذا الالزام ليس بلازم فى الحقيقة فانهما لم يلتزما استيعاب الصحيح بل صح عنهما تصريحهما بأنهما لم يستوعباه كما أنه لا يلزم من عدم تخريج الشيخين لراو من الرواة سقوطه أو ضعفه فانهما لم يستوعبا الرواة الثقات المتوفرة فيهم صفات القبول والصحة:

قال الحازمى (١) ان قصد البخارى وضع مختصر فى الحديث وانه لم يقصد استيعابا لا فى الرجال ولا فى الحديث . وقد قال لم أخرج فى هذا الكتاب الا صحيحا ولم يتعرض لأمر آخر وكذلك الأمر فى كتاب مسلم فلم يستوعب الثقات كلهم وهم كثرة : ففى تاريخ البخارى أكثر من أربعين ألفا من الثقات .

وقد قال المحدث الشيخ محمد زاهد الكوثرى فى تعليقه على شروط الأئمة الخمسة (٢) :

---

١ ــ شروط الائمة الخمسة ص ٤٢ .

٢ ــ شروط الأئمة الخمسة للحازمى ص ٤٣ .

ومما يلفت أليه النظر ان الشيخين لم يخرجا فى الصحيحين شيئاًمن حديث الامام ابى حنيفة مع انهما أدركا صغار أصحاب أصحابه فأخذا عنهم ولم يخرجا أيضا حديث الامام الشافعى مع أنهما لقيا بعض أصحابه ولا أخرج البخارى من حديث أحمد الا حديثين أحدهما تعليقا والآخر نازلا بواسطة مع أنه أدركه ولازمه ولا أخرج مسلم فى صحيحه عن البخارى شيئا مع أنه لازمه ونسج على منواله . ولا عن أحمد الا قدر ثلاثين حديثا ولا أخرج أحمد فى مسنده عن مالك عن نافع بطريق الشافعى وهو أصح الطرق أو من أصحها الا أربعة أحاديث وما رواه أحمد عن الشافعى بغير هذا الطريق لا يبلغ عشرين حديثا مع أنه جالس الشافعى وسمع منه موطأ مالك وعد من رواة مذهبه القديم .

قال الشيخ الكوثرى معللا ذلك بقوله والظاهر من ديدنهم وأماتتهم ان ذلك من جهة انهم كانوا يرون أن أحاديث هؤلاء فى مأمن من الضياع لكثرة أصحابهم القائمين بروايتها شرقا وغربا وجل عناية أصحاب الدواوين بأناس من الرواة ربما كانت تضيع أحاديثهم لولا عنايتهم بها لأنه لا يستغنى من بعدهم عن دواوينهم فى أحاديث هؤلاء دون هؤلاء ومن ظن أن ذلك لتحاميهم عن أحاديثهم أو لبعض ما فى كتب الجرح من الكلام فى هؤلاء الأئمة كقول الثورى فى أبى حنيفة وقول ابن معين فى الشافعى وقول الكرابيسى فى أحمد وقول الذهلى فى البخارى ونحوها فقد حملهم شططا أ ـ هـ .

وكما كان السبب فى بعض الأحيان فى ترك بعض الرواة الثقات هو الاطمئنان على حفظ مروياتهم كذلك قد يكون السبب طلب علو الاسناد فقد يكون الحديث من طريق ذلك الامام نازلا ومن طريق غيره من الثقات عاليا فيختار صاحب الصحيح الطريق العالى لقربه من الرسول صلى الله عليه وسلم .

تحقيق معنى كون الحديث على شرط الشيخين أو أحدهما

رأى النووى وابن الصلاح وابن دقيق العيد أن معنى كون الحديث على شرط الشيخين أو أحدهما أن يكون رجال اسناده في الكتاب الذى على شرطه . ورأى العراقى : أن معنى كون الحديث على شرط الشيخين أو أحدهما أن يكون رواته متوفرة فيهم صفات الرواة فى الكتاب الذى على شرطه . وقد اعترض العراقى على النووى ومن معه فقال : ليس ذلك منهم بجيد فان الحاكم خرج فى خطبته للمستدرك بخلاف ما فهموه عنه فقال : وأنا أستعين الله تعالى على اخراج أحاديث رواتها ثقات قد احتج بمثلها الشيخان أو أحدهما فقوله بمثلها أى بمثل رواتها لا بهم أنفسهم ويحتمل أن يراد بمثل تلك الأحاديث وانما تكون مثلها اذا كانت بنفس رواتها وفيه نظر وتحقيق المثلية أن يكون بعض من لم يخرج عنه فى الصحيح مثل من خرج عنه فيه « فى صفات القبول والصحة » أو أعلى منه عند الشيخين .

طريق معرفة المثلية

وتعرف المثلية عندهما اما بنصهما على أن فلانا مثل فلان أو أرفع منه وقل ما يوجد ذلك واما بالالفاظ الدالة على مراتب التعـديل كأن يقولا فى بعض من احتجابه ثقة أو ثبت أو صدوق أولا بأس به أوغير ذلك من ألفاظ التعديل ثم يوجد عنهما أنهما قالا ذلك أو أعلى منه فى بعض من لا يحتج به فى كتابيهما .

فيستدل بذلك على أنه عندهما فى رتبة من احتجـابه لأن مراتب الرواة معيار معرفتها ألفاظ الجرح والتعديل .

واعترض بأن هـذا القـدر لايكفى فانهم لا يكتفـون بالتصحيح بمجرد حال الراوى فى العدالة والاتصـال من غير نظـر الى غيره بل ينظرون فى حالته مع من روى عنه فى كثرة ملازمته له أو قلتها أوكونه من بلده ممارسا لحديثه أو غريبا عن بلد من أخذ عنه وهذه اموزتظهر بتصفح كلامهم وعملهم فى ذلك أ ـ هـ (١) .

(١) ـ فيض البارى جـ ١ ص ٣٦ للكشميرى .

وفى هذا المعنى أيضا قال الحافظ الزيلعى فان هذا القدر لا يكفى لكون الحديث على شرط البخارى لأن البخارى لا ينظر الى ثقة الراوى فقط بل الى ملازمته لشيخ روى عنه ايضا ويمكن أن يكون الراوى ثقة فى نفسه ومن رجاله ومع هذا لا يكون ملازما لهذاالشيخ الذى يروى عنه فحينئذ كيف ينبغى ان يحكم عليه مطلقا انه على شرطه :

ثم ثقة الراوى وضعفه قد يكون فى نفسه وقد يكون بالنسبة الى شيخ معين فيكون ثقة فى نفسه وضعيفافى هذا الشيخ مثل هشيم بن بشير ثقة فى نفسه وضعيف فى الزهرى لأنه لما كتب عنه أحاديث ورجع اشتد الريح فى الطريق وطارت بأوراقه فكتبها عن حفظه .

وقال الكشميرى ينبغى أن يوسع الأمر من ذلك فان هذا التضييق انما يناسب شأنه وعلمه وعندى يحكم عليه انه على شرطه مالم توجد فيه علة فى خصوص هذا المقام من أهل الشأن فى هذا الفن — ولايلتفت الى هذه الاحتمالات ليتوفر ذخيرة الحديث ولا يفقد كثير من الاحكام كما وقع على مذهب من رد الاحاديث المرسلة فانه يلزم منه أن يضيع حصة كثيرة من الدين فاعلمه .

وعلى هذا ينبغى أن يحكم على حديث من كان له امام ثقة . الخ .. أنه على شرط الشيخين كما حكم به الشيخ ابن الهمام رحمه الله تعالى وأرضاه اهـ .

اما رأى شيخ الاسلام ابن حجر فلم يرقه رأى العراقى واعترض على اعتراضه وقال ان الحاكم استعمل لفظ مثل فى أعم من الحقيقة والمجاز فى الأسانيد والمتون دل على ذلك صنعه فانه تارة يقول على شرطهما وتارة على شرط البخارى وتارة على شرط مسلم وتارة صحيح الاسناد ولا يعزوه لأحدهما وأيضا فلو قصد بكلمة مثل معناها الحقيقى حتى يكون المراد احتج بغيرها ممن فيهم من الصفات مثل ما فى الرواة الذين خرج عنهم — لم يقل قط على شرط البخارى فان

شرط مسلم دونه فما كان على شرطه فهو على شرطهما لأنه حوى شرط مسلم وزاد .

وقال ابن حجر ووراء ذلك كله أن يروى اسنادا ملفوقا من رجالهما كسماك عن عكرمه عن ابن عباس فسماك شرط مسلم فقط وعكرمه انفرد به البخارى . والحق أن ليس على شرط واحد منهما .

وأدق من هذا ان يرويا عن أناس ثقات ضعفوا فى أناس مخصوصين من غير حديث الذين ضعفوا منهم فيجىء عنهم حديث من طريق من ضعفوا فيه برجال كلهم فى الكتابين أو أحدهما . فنسبة انه على شرط من خرج له غلط كان يقال فى هشيم عن الزهرى وكل من هشيم والزهرى أخرجا له فهو على شرطهما : فيقال بل ليس على شرط واحد منهما . لأنهما انما أخرجا لهشيم فى غير حديث الزهرى فانه ضعف فيه وكذا همام ضعيف فى ابن جريج مع أن كلا منهما أخرجا له لكن لم يخرج له عن ابن جريج شيئا .

فعلى من يعزو الى شرطهما أو شرط واحد منهما أن يسوق ذلك السند بنسق رواية من نسب الى شرطه ولو فى موضع من كتابه .

وكذا قال ابن الصلاح (1) فى شرح رواية مسلم من حكم لشخص بمجرد رواية مسلم عن أنه فى صحيحه وانه من شرط الصحيح فقد غفل وأخطأ بل ذلك متوقف على النظر فى كيفية رواية مسلم عنه وعلى أى درجة أعتمد عليه .

ونستخلص من كل ذلك بأنه يمكن أن يقال ان المراد بكون الحديث على شرطهما أعم من ان تتوفر فى رواته صفات القبول عندهما مع مراعاة حال الراوى فيمن روى عنه وان لم يكن الاسناد فى كتابهما أو اذا توافرت الصفات مع مراعات حال الراوى فى مشايخه وذكر فى كتابيهما من باب أولى والله أعلم .

---

1 — التدريب ص ٦٧ للسيوطى .

الاتفاق على وجوب العمل بما في الصحيحين والخلاف في افادة احاديثهما القطع او الظن ؟؟

رأى النووى أن احـاديث الصحيحين التى لم تتواتر ثابته بالظن لا بالعلم القطعى ويجب العمل بها وهو رأى الاكثرين ومحققى الاصول .

قال[1] ان المحققين والاكثرين قالوا احاديث الصحيحين التى ليست بمتواترة تفيد الظن فانها آحاد والآحاد انما تفيد الظن : ولا فرق بين البخارى ومسلم وغيرهما فى ذلك وتلقى الامه بالقبول انما افادنا وجوب العمل بما فيها وهذا متفق عليه . فان أخبار الاحاد التى فى غيرها يجب العمل بها اذا صحت اسانيدها ولا تفيد الا الظن فكذا الصحيحان .

وانما يفترق الصحيحان عن غيرهما من الكتب فى كون ما فيهمـا صحيحا لايحتاج الى النظر فيه بل يجب العمـل به مطلقا وما كان فى غيرهما لا يعمل به حتى ينظر وتوجد فيه شروط الصحيح .

ورأى ابن الصلاح وابن حجر والسيوطى أن أحاديث الصحيحين تفيد القطع واليقين ـ فضلا عن الاتفاق مع النووى وغيره بأنه يجب العمل بها .

قال الحافظ أبوعمرو بن الصلاح جميع ماحكم به الشيخان مقطوع بصـحته والعلم النظرى حاصل بصحته فى نفس الأمر لان الأمة تلقت ذلك بالقبول سوى من لايعتد بخلافه ووفاقة فى الاجماع قال والذى نختـاره أن تلقى الأمة للخبر المنحط عن درجة التواتر بالقبول يوجب العلم النظرى بصدقه خلافا لبعض محققى الاصوليين حيث نفى ذلك بناء على أنه لايفيد فى حق كل منهم الا الظن وانما قبله لانه يجب عليه العمل بالظن والظن قد يخطىء .

قال ابن الصلاح وهذا مندفع لان ظن من هو معصوم من الخطأ لايوجد خطأ والامة فى اجماعها معصومة من الخطأ .

---

1 ـ مقدمة شرح مسلم صفحة ١٩ للنووى .

وقد قال أمام الحرمين الجويني لو حلف انسان بطلاق أمراته ان ما في كتابي البخاري ومسلم مما حكم بصحته من قول النبي صلى الله عليه وسلم لما الزمته الطلاق ولا حنث فيه لاجماع علماء المسلمين على صحتهما.

قال : ولقائل ان يقول انه لا يحنث ولو لم يجمع المسلمون على صحتهما للشك في الحنث فانه لو حلف بذلك في حديث ليست هذه صفته . لم يحنث وان كان راويه فاسقا فعدم الحنث حاصل قبل الاجماع فلا يضاف الى الاجماع ـ والجواب أن المضاف الى الاجماع هو القطع بعدم الحنث ظاهرا وباطنا . وأما عند الشك فعدم الحنث محكوم به ظاهرا مع احتمال وجوده باطنا . فعلى هذا يحمل كلام امام الحرمين فهو اللائق بتحقيقه .

فاذا علم هذا فما أخذ على البخاري ومسلم وقدح فيه معتمد من الحفاظ فهو مستثنى مما ذكرنا . لعدم الاجتماع على تلقيه بالقبول وما ذلك الا في مواضع قليلة .

وقال : على ما في التدريب (1) ان ما روياه او احدهما فهو مقطوع بصحته والعلم القطعي حاصل فيه ـ خلافا لمن نفى ذلك محتجا بأنه لا يفيد الا الظن وانما تلقته الأمة بالقبول لانه يجب العمل بالظن والظن قد يخطيء قال وقد كنت أميل الى هذا واحسبه قويما ثم بان لي ان الذي اخترناه أولا هو الصحيح لان ظن من هو معصوم من الخطأ لا يخطيء والأمة في اجماعها معصومة من الخطأ ولهذا كان الاجماع المبني على الاجتهاد مقطوعا به.وقال البلقيني ما قاله النووي وابن عبدالسلام ومن تبعهما ممنوع .

فقد نقل بعض الحفاظ المتأخرين مثل قول ابن الصلاح عن جماعة من الشافعية كابي اسحاق وأبي حامد الاسفراييني والقاضي أبي الطيب والشيخ أبي اسحاق الشيرازي ـ وعن السرخسي من الحنفية والقاضي عبد الوهاب من المالكية ـ وأبي يعلى وأبي الخطاب وابن الزاغوني

---

1 ـ ص ٧٠ تدريب الراوي

من الحنابله وابن فورك وأكثر أهل الكلام من الأشعرية وأهل الحديث قاطبة ومذهب السلف عامة بل بالغ ابن طاهر المقدسى فى صفة التصوف فالحق ما كان على شرطهما وان لم يخرجاه .

وقال شيخ الاسلام ابن حجر ذكره النووى من جهة الأكثرين اما المحققون فلا ، فقد وافق ابن الصلاح أيضا بعض المحققين .

وقال فى شرح النخبة . الخبر المحتف بالقرائن يفيد العلم خلافا لمن ابى ذلك قال وهو انواع منها ما اخرجه الشيخان فى صحيحهما مما لم يبلغ التواتر . فانه احتف به قرائن منها جلالتهما فى هذا الشأن . وتقدمهما فى تمييز الصحيح على غيرهما وتلقى العلماء لكتابيهما بالقبول.

وهذا التلقى وحده أقوى فى افادة العلم من مجرد كثرة الطرق القاصرة عن التواتر الا ان هذا مختص بما لم ينتقده احد من الحفاظ. وبما لم يقع التجاذب بين مدلوليه حيث لاترجيح لاحدهما على الآخر وماعدا ذلك فالاجماع حاصل على تسليم صحته .

قال وما قيل من أنهم اتفقوا على وجوب العمل لا على صحته فممنوع لانهم متفقون على وجوب العمل بكل ما صح ولو لم يخرجاه فلم يبق للصحيحين مزية والاجماع حاصل على ان لهما مزية فيمايرجع الى نفس الصحة ويحتمل أن يقال المزية المذكورة كون احاديثهمااصح الصحيح ثم قال ولا يحصل العلم الا للعالم المتبحر فى الحديث العارف باحوال الرواة والعلل . وكون غيره لا يحصل له العلم لقصوره عن الأوصاف المذكورة لا ينفى حصول العلم للمتبحر المذكور ا.هـ

وقال ابن كثير فى الباعث الحثيث (١) وانا مع ابن الصلاح فيماعول عليه وارشد اليه قال السيوطى وهو الذى اختاره ولا اعتقد سواه .

وقال الكشميرى فى كتابه فيض البارى (٢) ان رأى ابن الصلاح ومن وافقه هو الرأى قال قد صرح الحافظ ابن حجر رضى الله عنه ان

---

١ ـ الباعث الحثيث صفحة ٢٣

٢ ـ فيض البارى جـ ١ صفحة ٤٥ .

افادتهما القطع نظريا كاعجاز القرآن فانه معجز قطعا الا انه نظرى لا يتبين الا لمن كان له يد فى العلوم العربية عن آخرها .

فان قيل ان فيهما أخبارا آحادا وقد تقرر فى الاصول انها لا تفيد غير الظن قلت لا ضير فان هذا باعتبار الاصل وذاك بعد احتفاف القرائن واعتضاض الطرق فلا يحصل القطع الا لأصحاب الفن الذين يسر لهم الله سبحانه التميز بين الفضة والقضة ورزقهم علما من احوال الرواة والجرح والتعديل فانهم اذا مروا على حديث وتتبعوا طرقه وفتشوا رجاله وعلموا من أحوال أسناده يحصل لهم القطع . وان لم يحصل لمن لم يكن له بصر ولا بصيرة.

ثم قال الا ترى ان الواحد جليل القدر اذا اخبرك بأمر فنظرت الى حالته وثقافته وعلمه ودينه أيقنت بخبره كفلق الصبح ولايبقى فى نفسك قلق واضطراب وكفاك عن جماعة فان واحدا قد يزن جماعة بل يرجحهم والآخر قد يكون كريشة طائرة لا يوازى جناح بعوضة وان ابراهيم كان امه قانتا ومن امته من يجيىء يوم القيامة أمة واحدة .

وليس على الله بمستنكر ... ان يجمع العالم فى واحد،

فهذا تفاوت واختلاف بين الناس فخبر الواحد مثل الأول يفوق على خبر الذين ليسوا بمثابته قطعا ويقينا الا ان تلك الافادة تكون لمن له معرفة فى نقد الرجال وصفة الحديث وبمثله اجابوا مما كان يرد على أهل قباء حيث استداروا الى الكعبة فى صلواتهم بخبر الواحد مع أن قبلتهم كانت ثابتة بالقاطع فلم يكن التحول عنها جائزا لهم الا بالقاطع ولم يجد غير خبر الواحد . وحاصل الجواب أنه كان عندهم خبر من قبل أن النبى صلى الله عليه وسلم يحب أن يوجه الى البيت وانه يقلب وجهه فى السماء طمعا فى الوحى وان ربه سيسارع الى مايرضاه حتى اذا جاءهم ممن وثقوا به واحتف خبره بالقرائن اذ عنوا به وعلموا ان ربه ولاه وحصل لهم اليقين لأن الخبر بعد تلك الاحتفافات صار يفيد اليقين بعد ما كان ظنيا من اصله ونعم ما قال بعض العلماء ان أكثر

الاحاد كان مفيدا للعلم فى عهده صلى الله عليه وسلم ولما كان هذا أمرا لا يستطيع انكاره احد جعل الحافظ هذا النزاع راجعا الى النزاع اللفظى فلم يبق فى نفس افادة القطع خلاف ولا شقاق وانما هو فى أن تلك الافادة ـ بديهية أو نظرية فمن ذهب الى انها تفيد القطع أراد به النظرى ومن انكرها أراد به الضرورى فانه تحقيق حقيق بالقبول ومن حاد فقد عدل عن المسلك القويم .

فان قيل وفيهما احاديث شك فيهما الراوى بنفسه وتردد فيها فكيف سبيل العلم بها ؟؟؟.

قلت هذا الوهم لم يوجد فى نفس الحديث الذى هو مدار المسألة وانما وجد فى الأمور الزائدة التى ليست لها دخل فى الحكم كتعيين اسم الراوى أو القصة ونحوها فلا يضر فى افادة القطع وهو تحليل رائع فثبت بذلك القطع فى افادة أحاديث الصحيحين والاتفاق على وجوب العمل بها .

تعاليق البخارى

المعلق وهو الذى حذف من مبدأ اسناده واحد أو أكثر وقد أكثر منه البخارى فى صحيحه فتراه يذكره فى تراجمه .

وقد يكون التعليق بلفظ فيه جزم يفيد الحكم على من علقه عنه قال ابن الصلاح والعراقى والنووى وغيرهم فى حكمه ما كان بهـذه الصيغة بلفظ فيه جزم وحكم به على من علقه عنه فقد حكم البخارى بصحته عنه والمعلق يشمل المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسـلم بغير اسناد مثل .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا والمـوقوف على الصحابى مثل قال ابن عباس كذا وكذا وروى ابو هريرة كذا وكـذا والمقطوع على التابعى مثل قال سـعيد بن المسيب عن أبى هريرة كذا وكذا وعموما فهو يشمل كل ما رواه البخارى عن شيوخ شيوخه فمـا فوقهم مثل قال الزهرى عن ابى سلمه بن عبد الرحمن عن أبى هريرةعن النبى صلى الله عليه وسلم كذا وكذا .

واما ما أورده البخارى كذلك أى بصيغة قال وروى وذكرونحوها من صيغ الجزم عن شيوخه فليس حكمـه حكم التعليق عن شـيوخ شيوخه ومن فوقهم بل حكمه حكم العنعنة من الاتصال بشرط اللقـاء والسلامة من التدليس كما قال ابن الصلاح :

ولا يقال (١) فى رواية البخارى عن شيوخه مما لم يسمعه انه نوع من التدليس فى الاسناد (وهو ان يروى عمن عاصره مالم يسمعه منه ـ لان فيه ايهام ـ لان البخارى التزم فى كل ما يسمعه من شيوخه فى حال التلقى والأخذ حدثنا وما يماثلها من أخبرنا او سمعت ثم اصطلح لنفسه فى غير ذلك حيث لم يسمع أو لم يعول على السماع (قال) وان يقول فى الأجازة والمناولة والمذاكرة (قال لنا) ونحوها وبذلك يتبين مراده ، واذا تبين المـراد فلا تدليس ولا ايهـام وانما التدليس حيث

١ ـ المنهج قسم المصطلح لفضيلة الشيخ السماحى ص ١٤٨ .

يسوقها الراوى ولم يكن لنفسه اصطلاح معلوم فيوهم انه سمع ولم يسمع) .

حكم تعاليقه المرفوعة فى صيغ التمريض

أما الصيغة الثانية فهى صيغة التمريض مثل يذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم كذا .وانه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أو ذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم كذا أو فى الباب عن النبى صلى الله عليه وسلم كذا وكذا فلا تستفاد منها الصحة الى من علق عنه لكن فيه ما هو صحيح وفيه ما ليس بصحيح فأما ما هو صحيح فلم يوجد فيه ما هو على شرطه الا مواضع يسيرة جدا ووجدناه لا يستعمل ذلك الا حيث يورد ذلك الحديث المعلق بالمعنى كقوله فى الطب :

ويذكر عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الرقى بفاتحة الكتاب فأنه اسنده فى موضع آخر من طريق عبيد الله بن الأخنس عن أبى مليكة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان نفرا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مروا بحى فيهم لديغ فذكر الحديث فى رقيتهم الرجل بفاتحة الكتاب وفيه قول النبى صلى الله عليه وسلم لما اخبروه بذلك .

ان احق ما اخذتم عليه اجرا كتاب الله « فهذا كما ترى لما أورده بالمعنى لم يجزم به اذ ليس فى الموصول انه صلى الله عليه وسلم ذكر الرقية بفاتحة الكتاب انما فيه انه لم ينههم عن فعلهم فاستفيد ذلك من تقريره وأما مالم يورد فى موضع آخر مما أورده بهذه الصيغة فمنه ماهو صحيح الا أنه ليس على شرطه . ومنه ماهو حسن ومنه ما هو ضعيف فرد الا ان العمل على موافقته ومنه ما هو ضعيف فرد لاجابر له.

فمثال الأول انه قال فى الصلاة ويذكر عن عبد الله بن السائب قال « قرأ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ــ المؤمنون فى صلاة الصبح حتى اذا جاء ذكر موسى وهارون أو ذكر عيسى أخذته سعلة فركع » وهو

حديث صحيح على شرط مسلم أخرجه فى صحيحه الا ان البخارى لم يخرج لبعض رواته وقال فى الصيام ويذكر عن ابى خالد عن الاعمش عن الحكم ومسلم البطين وسلمه بن كهيل عن سعيد بن جبير وعطـاء ومجاهد « عن ابن عباس قال قالت امرأة للنبى صلى الله عليه وسلم ان اختى ماتت وعليها صوم شهرين متتابعين » الحديث ورجال هـذا الاسناد رجال الصحيح الا ان فيه اختلافا كثيرا فى اسناده وقد تفرد أبو خالد سليمان بن حيان الأحمر بهذا السياق وخالف فيه الحفاظ من اصحاب الأعمش .

ومثال الثانى وهو الحسن قوله فى البيـوع « ويذكر عن عثمـان بن عفان رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له اذا بعت فكل واذا ابتعت فاكتل » وهذا الحديث قد رواه الدارقطنى من طريق عبد الله بن المغيرة وهو صدوق عن منقذ مولى عثمان وقـد وثق عن عثمان به وتابعه عليه سعيد بن المسيب ومن طريقه اخرجه احمـد فى المسند الا ان فى اسناده ابن لهيعة ورواه ابن ابى شيبه فى مصنفه من حديث عطاء عن عثمان وفيه انقطاع فالحديث حسن لما عضده من ذلك ومثال الثالث وهو الضعيف الذى لا عاضد له الا انه على وفق العمل قوله فى الوصايا » ويذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قضى بالدين قبل الوصية » وقد رواه الترمذى موصولا من حديث ابى اسـحاق السبيعى عن الحارث الأعور عن على والحارث ضعيف وقد اسـتغربه الترمذى ثم حكى اجماع أهل العلم على القول به .

ومثال الرابع وهو الضعيف الذى لا عاضد له وهو فى الـكتاب قليل جدا وحيث يقع ذلك فيه يتعقبه المصنف بالتضعيف بخلاف ماقبله فمن أمثلته قوله فى كتاب الصلاة ويذكر عن ابى هريره رفعه «لا يتطوع» الامام فى مكانه ، ولم يصح ، وهو حديث أخرجه ابو داود من طريق ليث بن ابى سليم عن الحجاج بن عبيد عن ابراهيم بن اسماعيل عن ابى هريرة وليث بن أبى سليم ضعيف وشيخ شيخه لا يعرف وقد اختلف عليه فيه فهذا حكم جميع ما فى الكتاب من التعاليق المرفوعة بصيغتى الجزم والتمريض .

وهاتان الصيغتان قد نقل النووى اتفاق محققى المحدثين وغيرهم على اعتبارهما وانه لا ينبغى الجزم بشيء ضعيف لانها صيغة تقتضى صحته عن المضاف اليه فلا ينبغى ان تطلق الا فيما صح قال وقد اهمل ذلك كثير من المصنفين من الفقهاء وغيرهم واشتد انكار البيهقى على من خالف ذلك وهو تساهل قبيح جدا من فاعله اذ يقول فى الصحيح يذكر ويروى فى الضعيف قال وروى وهذا قلب للمعانى وحيد عن الصواب قال :

وقد اعتنى البخارى رحمه الله باعتبار هاتين الصيغتين واعطائهما حكمهما فى صحيحه فيقول فى الترجمة الواحدة بعض كلامه بتمريض وبعضه يجزم مراعيا ما ذكرنا وهذا مشعر بتحريه وورعه وعلى هذا فيحمل قوله ما ادخلت فى الجامع الا ما صح اى مما سقت اسنادهوالله تعالى اعلم ، أهـ

قال ابن حجر وقد تبين مما فصلنا به اقسام تعاليقه إنه لا يفتقر الى هذا الحمل وأن جميع ما فيه صحيح باعتبار انه كله مقبول ليس فيه ما يرد مطلقا الا النادر فهذا حكم المرفوعات .

الموقوفات

اما الموقوفات فانه يجزم منها بما صح عنده ولو لم يكن على شرطه ولا يجزم بما كان فى اسناده ضعف أو انقطاع الا حيث يكون منجبرا اما بمجيئه من وجه آخر واما بشهرته عمن قاله وانما يورد ما يوردمن الموقوفات من فتاوى الصحابة والتابعين ومن تفاسيرهم لكثيرمن الآيات على طريق الاستئناس والتقوية لما يختاره من المذاهب فى المسائل التى فيها الخلاف بين الأئمة فحينئذ ينبغى ان يقال جميع ما يورد به اما أن يكون مما ترجم له او مما ترجم به فالمقصود من هذا التصنيف بالذات هو الاحاديث الصحيحة المسندة وهى التى ترجم لها والمذكوربالعرض والتبع الآثار الموقوفة والأحاديث المعلقة،نعم والآيات المكنونة فجميع ذلك مترجم به الا أنها اذا اعتبرت بعضها مع بعض واعتبرت أيضا بالنسبة الى الحديث يكون بعضها مع بعض منها مفسر ومنها مفسر

فيكون بعضها كالمترجم له باعتبار ولكن المقصود بالذات هو الأصل قال ابن حجر وذكر السيوطى رأى النووى وابن الصلاح فى التدريب قال :

وما اورده البخارى فى الصحيح مما عبر عنه بصيغة التمريض وقلنا لا يحكم بصحته ليس بواه ولا ساقط لايراده اياه فى الكتاب الموسوم بالصحيح وعبارة ابن الصلاح ، ومع ذلك فايراده له فى أثناء الصحيح مشعر بصحة أصله اشعارا يؤنس به ويركن اليه ... أ هـ

فقول البخارى ما ادخلت فى كتابى الا ما صح[1]

محمول على مقاصد الكتاب وموضوعه ومتون الابواب المسنده دون التراجم وغيرها .

على ان وجود هذه التراجم انما تزيد من قوة الصحيح فى كتابه ومكانته لانها فى جملتها مقوية للصحيح ومعضدة له .

ورأى ابن حجر [1] ان ماجاء من التعاليق التى لم توصل فى موضع آخر من كتابه وأن لم يكن على شرطه من الاتصال .

فلا يرد عليها اعتراض لانها ليست من موضوع الكتاب وانماذكرت استئناسا واستشهادا لأحاديثه الأصلية فى الكتاب وأن مراده بذلك أن يكون الكتاب جامعا لأخذ الأحاديث التى يحتج بها (الاان منها ماهو على شرطه فساقه سياق اصل الكتاب ومنها ما هو على غير شرطه فغاير السياق فى ايراده ليمتاز فانتفى ، ايراد المعلقات وبقى الكلام فى علل الاحاديث المسندات واذا علمنا ان بن حجر بعد ذلك قد وصلها . فقد تحقق وتأكد ماقاله بصورة أوضح من نفى ايراد اعتراض المعلقات .

---

1 ـ مقدمة ابن الصلاح ص ٢٠ ، ٧٢ الملق ـ مقدمة مسلم للنووى ١ـ٨ التدريب ١ـ٦٢ مقدمة فتح البارى ١ـ١٢ .

1 ـ مقدمة ابن الصلاح ص ٢٠ ، ٧٢ الملق ـ مقدمة مسلم للنووى ١ـ٨ التدريب ١ـ٢ مقدمة فتح البارى ١ـ١٢ .

قال ابن الصلاح فى مقدمة مسلم ما وقع فى صحيح البخارى ومسلم مما صورته صورة المنقطع ليس ملتحقا بالمنقطع فى خروجه من حيز الصحيح الى حيز الضعيف ويسمى هذا النوع تعليقا .

اهمية تعاليق البخارى ووصلها

وقد شعر المتقدمون بأهمية تعاليق البخارى وانها مفتقرة الى ان يصنف فيها كتاب خاص تسند فيه تلك المعلقات وتبين درجتها وقد صرح بذلك ــ على ما فى مقدمة الفتح ابو عبد الله بن رشيد فى كتاب ترجمان التراجم .

وقد انبرى لهذا الميدان الفسيح الحافظ ابن حجر الذى تخصص فى جامعة صحيح البخارى فقدم بذلك للحديث والمحدثين وحماة السنة ومحبيها أجمل فضل وكان صاحب السبق فى وصل المعلقات المرفوعة ومعها المتابعات فى مقدمته قال : وما علمت احدا تعرض للتصنيف فى ذلك وانه لمهم لمن له عناية بكتاب البخارى وعقد فصلا فى مقدمته ساق فيه تعاليق الصحيح المرفوعة واشار الى من وصلها .

وأضاف الى ذلك المتابعات لالتحاقها بها وبدأها على ترتيب ابواب الصحيح فيقول مثلا (من بدء الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) متابعة عبد الله بن يوسف عن الليث وصلها المؤلف فى الانبياء وفى التفسير ومتابعة ابى صالح عنه وصلها يعقوب ابن سفيان فى تاريخه عنه وفى الايمان حديث عبد الله بن عمر .

(والمسلم من سلم) الحديث رواية أبى معاوية فيه وصلها اسحاق ابن راهوية فى مسنده عنه ووصلها ابن حبان فى صحيحه وفى (باب الاستنثار فى الوضوء) قوله (ويذكر عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى غزوة ذات الرقاع) الحديث هو مختصر من حديث طويل

وصله أبو يعلى فى مسنده وابن خزيمة فى صحيحه وابن داود وغيرهم رواية شعبية عن الأعمش وصلها مسلم .

وعلى هذا النمط سار فى وصل المتابعات والمعلقات المرفوعة مما يدل على سعة أفقه وقوته العلمية .

ولم يقف ابن حجر عند هذا الحد بل سمت همته فوصل جميع المعلقات من الاحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة والمتابعات الموجودة فى الصحيح وذكرها باسناده الى المكان المعلق فى مؤلف خاص سماه (تغليق ـ التعليق) فجاء كما يقول ابن حجر كتابا حافلا وجامعاكاملا لم يفرده احد بالتصنيف .

ولكن مع الأسف ان هذا الكتاب الذى اشاد به ابن حجر ونبهعلى اهميته لم يلق عناية ما من المحدثين والهيئات العلمية على اهميته فى توثيق هذه الثروة الفريدة من المعلقات والمتابعات فى الصحيح ـ بل ان كلما صادفته فىكتب الكاتبين فى هذا العصر فىالمعلقات انهم ينقلون اسم الكتاب خطأنقلا عن المقدمةلوجوده فيها كذلكولم يكلفوا انفسهم التحقق من اسمه فهم ينقلونه هكذا (تعليق التعليق) وهو تغليق التعليق كما رأيت ولتسميته بموضوعه علاقة لأنه غلق كل ماعلق وملأ فراغ الاسناد قال ابن حجر : سميته تغليق التعليق لأن اسانيده كانت كالابواب المفتوحة فغلقت وقد اطلعت عليه مخطوطا فى المكتبة الازهرية والامل كبير ان تمتد اليه يد مخلصة من الهيئات أو الأفراد المخلصين للسنة حتى يطبع هذا الكتاب الذى هو فى الواقع عماد قوى وسند متين فى تقوية الثقة بما وجد من المعلقات والمتابعات فى اصح كتاببعد كتاب الله وكتاب تغليق التعليق لابن حجر موجود بمخطوط بالمكتبة الأزهرية السقا تحت رقم ٢٨٥٠٢ .

وقد عقد ابن حجر فى مقدمته فصلا ساق فيه رجال من علق البخارى شيئا من حديثهم وتكلم فيهم قال فيه وما يعلقه البخارى من أحاديث هؤلاء انما يورده فى مقام الاستشهاد وتكثير الطرق فلو كان ما قيل فيهم «فرضا» قادحا ما ضر ذلك ا هـ أو على أن هذه التعاليق التى لم

يجعلها البخارى من أصـل موضـوع كتابه لا لشىء الا لأنه اشترط الاتصال والزم نفسه به فى موضوع كتابه ـ وهى عند غيره من الصحيح الذى هو من أصول الكتاب وهذا اصطلاح أمام دار الهجرة مالك بن أنس رضى الله عنه حيث جعلها من موضوع كتابهفاعتبرها من الصحيح عامة ـ فاذا أضيف الى ذلك وصـل ابن حجر لها مع ما تقدم من أنه اوردها به استشهادا وتكرارا بما اورده فى الاصول تزداد ثباتا وقوة وأصبح لا مجال مطلقا لاعتراض فيها .

اغراض البخارى فيما جزم به عن المضاف اليه فى المرفوع

وقد قسم (١) ابن حجر المعلق من المرفوعات الى قسمين .

القسم الأول ـ مايوجد فى موضع فىكتابه الجامع موصولاً فالسبب فى ايراده . أنه يورده معلقا حيث يضيق مخرج الحديث اذ من قاعدته أنه لا يكرر الا لفائدة فمتى ضاق المخرج واشـتمل المتن على أحكام فاحتاج الى تكرير فانه يتصرف فى الاسناد بالاختصار خشيه التطويل لضيق المخرج واشتمال المتن على أحكام متعدده فاحتاج الى التكرير والتصرف فى الاسناد .

الثانى مالا يوجد فيه الا معلقا وها هى اغراضه فيما ذكره بصيغة الجزم وذلك على أقسام .

١ ـ لا يلتحق بشرطه والسبب فى عدم ايصاله اما الاستغناء بغيره عنه مع افادة الاشارة اليه وعدم اهماله بايراده معلقا اختصارا واما كونه لم يسمعه من شيخه أو سمعه مذاكرة أو شك فى سماعه فما رأى أنه يسوقه مساق الاصول .

مثاله : قوله فى الوكاله : قال عثمان بن الهيثم حدثنا عون حـدثنا محمد بن سيرين عن ابى هريره قال وكلنى رسول الله صـلى الله عليه وسلم بزكاة رمضان واورده فى (فضائل القرآن) وفى ذكر ابليس ولم يقل فى موضع منها حدثنا عثمان فالظاهر عدم سماعه له منه .

---

١ ـ المقدمة جـ ـ ص ١٢ .

قال شيخ الاسلام ابن حجر وقد استعمل الصيغة فيما لم يسمعه من مشايخه فى عدة أحاديث فيوردها عنهم بصيغة .

قال فلان ، ثم يوردها فى موضع آخر بواسطة بينه وبينهم كماقال فى التاريخ : وقال ابراهيم بن موسى نبأ هشام بن يوسف وذكر حديثا ثم يقول حدثونى بهذا عن ابراهيم .

وقال ولكن ليس مطردا فى كل ما أورده فى هذه الصيغة على أنه سمعه من شيوخه قال السيوطى : قولنا (يلتحق بشرطه) ولم نقل أنه على شرطه لانه وان صح فليس من نمط الصحيح المسند فيه نبه عليه ابن كثير .

٢ ـ مالا يلتحق بشرطه ولكنه صحيح على شرط غيره .

مثاله : قوله فى الطهاره وقالت عائشة : كان النبى صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه ـ فان مسلما قد اخرجه فى صحيحه

٣ ـ ماهو حسن صالح للحجية :

مثاله قوله : وقال بهز بن حكيم عن أبيه عن جده : الله أحق أن يستحى منه . فهو حديث حسن مشهور أخرجه اصحاب السنن .

٤ ـ ما هو ضعيف لا من جهة قدح برجاله ولكن من جهةانقطاع يسير فى اسناده .

قال الاسماعيلى : قد يضع البخارى ذلك اما لانه سمعه من ذلك الشيخ بواسطة من يثق به عنه وهو معروف مشهور عن ذلك الشيخ واما لأنه سمعه ممن ليس من شرط الكتاب فنبه على ذلك الحديث بتسميته من حدث به لا على التحديث به عنه .

مثاله قوله فى الزكاة وقال طاووس قال معاذ بن جبل لأهل اليمن أيتونى بعرض ثياب خميص أو لبيس فى الصدقة مكان الشعير والذرة اهون عليكم وخير لاصحاب محمد فاسناده الى طاووس صحيح الا ان طاووسا لم يسمع من معاذ فكل ما كان كذلك بصيغة الجزم فانه يفيد الصحة الى من علق عنه .

وقد قال الأمام ابن حجر (١) فاما ما اعترض به بعض المتــأخرين بنقضه هذا الحكم فى صيغة الجزم وانها لاتفيد الصحة الى من عــلق عنه بأن المصنف اخرج حديثا قال فيه قال عبد الله بن الفضل عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال لا تفاضــلوا بين الأنبياء الحديث فان ابا مسعود الدمشقى جــزم بأن هــذا ليس بصحيح لأن عبد الله بن الفضل انمــا رواه عن الأعرج عن أبى هريرة لا عن أبى سلمة ثم قوى ذلك بأن المصــنف أخرجه فى موضــع آخر موصولا فقال :

عن عبد الله بن الفضل عن الأعرج عن أبى هريرة :

فهذا اعتراض مردود والقاعدة صــحيحة لا تنتقض بهــذا الايراد الواهى وقد روى الحديث المذكور أبو داود الطيالسى فى مسنده عن عبد الله بن الفضل عن أبى سلمة عن أبى هريرة كما علقه البخــارى سواء،فبطل ما ادعاه ابو مسعود من ان عبد الله بن الفضل لم يروه الا عن الأعرج وثبت أن لعبد الله بن الفضل فيه شيخان ـــ فلا اعتــراض

الاعتبارات والمتابعات والشواهد

والاعتبار (١) هو سبر الحديث والنظر فيه وليس قسيما للمتابعات والشواهد بل هو الطريق الى معرفتها .

فاذا روى حماد مثلا حديثا عن أيوب عن ابن سيرين عن أبى هريرة رضى الله عنه فالاعتبار أن ينظر هل تابع حمادا ثقة فروى ذلك الحديث عن ايوب فان لم يجد الباحث نظر فيمن بعده هل تابع ايوب ثقــة عن ابن سيرين والا فثقة غير ابن سيرين عن أبى هريرة والا فصــحابى غير أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أو ينظر هل وجد حديث آخر بمعناه فاذا وجد ذلك علم ان له أصلا يرجع اليه والا فلا فهذا النظر هو الاعتبار ومنه يعلم المتابعات والشواهد .

---

١ ـ القــدمة ١/١٢ .

١ ـ مقدمة ابن الصلاح ص ٩٠ وشرح النووى والبخارى ص ١٣ والعينى ج ١ ص ٨ .

فالمتابعة بأن يروى هذا الحديث عن أيوب غير حماد أو عن ابن سيرين غير أيوب أو عن أبى هريرة غير ابن سيرين أو عن النبى غير ابى هريره فكل نوع من هذه يسمى متابعة وافضلها الأولى فتسمى المتابعة التامة ثم على الترتيب وسببه ان المتابعة تقوية والمتأخر الى التقوية أحوج .

والشاهد بأن يروى حديث آخر بمعنى ذلك الحديث .

ويسمى المتابع شاهدا ولا ينعكس ويدخل فى المتابعات والشواهد بعض من لا يحتج به ولا يصلح لذلك كل ضعيف ولهذا يقول الدارقطنى وغيره فى الضعفاء فلان يعتبر به وفلان لا يعتبر به والسبب فى أنه يدخل فيهما من لا يحتج به أنهما للتقوية فقط والاستئناس لا للتأسيس وان الأصل أغنى عنهما، فالبخارى يأتى بالمتابعة ظاهرة كقوله فيمن رواه حماد عن ايوب عن ابن سيرين تابعه مالك عن أيوب أى تابع مالك حماد فرواه عن ايوب كرواية حماد فالضمير فى تابعه يعود الى حماد وتارة يقول تابعه مالك ولا يزيد فيحتاج اذن الى معرفة طبقات الرواة ومراتبهم .

وقال شيخ الاسلام ابن حجر على ما فى التدريب (١) قد يسمى الشاهد متابعة أيضا، والأمر سهل مثال ما اجتمع فيه المتابعة التامة والقاصرة والشاهد ما رواه الشافعى فى الام عن مالك عن عبد لله بن دينار عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون فلا تصوموا حتى تروا الهلال فان غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين فهذا الحديث بهذا اللفظ ظن قوم ان الشافعى تفرد به عن مالك فعدوه من غرائبه لان اصحاب مالك رووه عنه بهذا الاسناد بلفظ فان غم عليكم فاقدروا له — لكن وجدنا للشافعى متابعا وهو عبدالله ابن مسلمة ، القعنبى، كذلك أخرجه البخارى عنه عن مالك وهذه متابعة تامة .

ووجدنا له متابعة قاصرة فى صحيح ابن خزيمه من رواية عاصم ابن

---

١ — التدريب ص ١٥٥ .

محمد عن أبيه محمد بن زيد عن جده عبدالله ابن‌عمر فأكملوا ثلاثين ورواه البخارى من رواية محمد بن زياد عن ابى هريره بلفظ فان‌أغمى عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين وذلك شاهد بالمعنى أهـ .

ومثال المتابعة من دراسة صحيح البخارى فى باب (١) أهل العلم والفضل أحق بالامامة حدثنا يحيى بن سليمان قال حدثنا ابن وهب قال حدثنى يونس عن ابن شهاب عن حمزه بن عبد الله انه اخبره عن أبيه قال لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه قيل له فى الصلاة فقال مروا ابا بكر فليصل بالناس قالت عائشة ان أبا بكر رجل رقيق اذا قرأ غلبه البكاء قال مروه فيصلى فعاودته قال مروه فيصلى انكن صواحب يوسف تابعه الزبيدى وابن اخى الزهيرى واسحاق بن‌يحيى الكلبى عن الزهرى وقال عقيل ومعمر عن الزهرى وعن حمزة عن النبى صلى الله عليه وسلم .

ومثال المتابعة أيضا (باب (٢) ماقيل فى شهادة الزور) يقول الله عز وجل (والذين لا يشهدون الزور) وكتمان الشهادة (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم) تلووا السنتكم بالشهادة حدثنا عبد الله بن منير سمع وهب بن جرير .

وعبد الملك بن ابراهيم قال حدثنا شعبه عن عبيد الله بن ابى‌بكر ابن انس عن أنس رضى الله عنه قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الكبائر قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وشهادة الزور تابعه غندر وأبو عامر وبهز وعبد الصمد عن شعبه .

عدد احاديث(٣) صحيح البخارى وابوابه

قال الحافظ بن حجر العسقلانى انى عددتها فبلغت بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعين حديثا قال وجملة ما فيه التعاليق الف وثلثمائة وواحدواربعون وأكثرها مخرج فى

---

١ ــ صحيح البخارى ص ١ ــ ١١٣ كتاب الجماعة والامام .
٢ ــ صحيح البخارى ٣ ــ ١٥٠ ــ كتاب الشهادات .
٣ ــ مقدمة الفتح جـ ٢ ص ١٨٣ .

أصول متونه والذى لم يخرجه مائة وستون قال وفيها من المتابعـات والتنبيهات على اختلاف الروايات ثلاثمائة وأربعة وثمـانون وقال فى المقدمة ان ما وقع فى صحيح البخارى من الاحاديث الموصولة بدون تكرار الفا حديث وأربع مائة وستون حديثا ومن المتون المعلقة المرفوعة التى يصلها فى موضع آخر من الجامع مائة وتسعة وخمسون حديثـا فجميع ذلك الفا حديث وستمائة وثلاثة وعشرون حديثا وقال التوقادى صاحب مفتاح الصحيحين جميع أبواب صحيح البخارى على ماأحرزته ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثون (١) . وقد أيد كـلام ابن حجر بعد أن ذكر فصلا عدد فيه ما لكل صاحبى فى صحيح البخارى فى الموصول بلا تكرير فوجدها ٢٦٠٢ كما قال ابن حجر .

وقد قال ابن حجر فى المقدمة فجميع ما فى الكتاب على هذا بالمكرر تسعة آلاف واثنان وثمانون حديثا وهذه العدة خارجة عن الموقوفات على الصحابة والمقطوعات عن التابعين فمن بعده وقد استوعبت وصل جميع ذلك فى كتاب تغليق التعليق وهذا ما حـررته من عدة أحاديث البخارى تحريرا بالغا فتح الله به لا أعلم من تقـدمنى اليه وأنا مقـر بعدم العصمة والسهو والخطأ والله المستعان .

آداب طالب(٢) الحديث عند البخارى

قال أبو العباس الوليد بن ابراهيم بن زايد الهمذانى لمابلغتمبلغ الرجال تاقت نفسى الى طلب الحديث فقصدت محمـد بن اسـماعيل البخارى واعلمته مرادى فقال لى يابنى لا تدخل فى أمر الا بعد معرفة حدوده والوقوف على مقـاديره ــ ثم بين له البخـارى آداب طالب الحديث وعدته فبين انه يحتاج الى كتابة اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وتشريعاته والصحابة ومقاديرهم والتابعين واحوالهم وسائرالعلماء وتواريخهم مع اسماء رجالها وكنـاهم وامكنتهم وازمنتهم ــ كمـا التحميد مع الخطيب والدعاء معالتوسل والبسمله معالصورة والتكبير

---

١ ــ مفتاح الصحيحين للتوقادى ص ٤ .

٢ ــ تدريب الراوى ص ٣٥٧ ومقدمة القسطلانى ص ٧ .

مع الصلوات مثل المسندات والمرسلات والموقوفات والمقطـوعات فى صغره وفى ادراكه وفى شبابه وفى كهولته عند شغله وعند فراغه وعند فقره وعند غناه بالجبال والبحار والبلدان والبـرارى على الاحجـار والاصداف والجلود والاكتاف الى الوقت الذى يمـكنه نقلـها الى الأوراق عمن هو فوقه وعمن هو مثله ومعن هو دونه وعن كتاب أبيه وتيقن أنه بخط أبيه دون غيره لوجه الله تعالى طالبا لمرضـــاته والعمل بما وافق كتــاب الله تعــالى منهـا ونشرها بين طالبيها والتـأليف فى احياء ذكره بعد ، ثم لا تتم هذه الأشياء الا بمعرفة الـكتابة واللغـة والصرف والنحو وهذه من كسب العبد ثم هو فى حاجة الى اعطـاء الله تعالى من الصحة والقدرة والحرص والحفظ فاذا صحت له هـذه الأشياء هان عليه الأهل والولد والمال والوطن وابتلى بشماتة الأعداء وملامة الأصدقاء وطعن الجهلاء وحسد العلماء فاذا صبر على هـذه المحن أكرمه الله تعالى فى الدنيا بعز القناعة وبهيبة اليقين وبلذة العلم وبحياة الأبد واثابه فى الآخرة بالشفاعة لمن أراد من اخوانه.

وبظل العرش حيث لاظل الا ظله وبسقى من أراد من حوض محمد صلى الله عليه وسلم وبجوار النبيين فى أعلى عليين فى الجنة فقد أعلنتك يا بنى بمجملات جميع ما كنت سمعت من مشايخى متفرقا فى هـذا الباب فأقبل الآن على ما قصدتنى له اودع .



الباب الرابع

فقه البخاري

محمد بن اسماعيل فقيه هذه الأمة
ابو نعيم بن حماد الخزاعي

المحدثون والفقه في عصر البخاري وشيوخه(١)

في ذلك العصر كثر تدوين الحديث والأثر في بلدان الاسلام وكتابة الصحف والنسخ حتى قل من يكون من أهل الرواية الا كان لهم تدوين أو صحيفة أو نسخة.

فطاف من أدرك من عظمائهم ذلك الزمان ــ بلاد الحجاز والشام والعراق ومصر واليمن وخراسان وجمعوا الكتب وتتبعوا النسخ وأمعنوا في غريب الحديث ونوادر الأثر فاجتمع باهتمام أولئك من الحديث والآثار مالم يجتمع لأحد قبلهم وخلص اليهم عن طرق الحديث شيء كثير حتى كان يكثر من الأحاديث عندهم مائة طريق فما فوقها.

فكشف بعض الطرق ما استتر في بعضها الآخر وعرفوا محل كل حديث من الغرابة والاستنباط وأمكن لهم النظر في المتابعات والشواهد وظهر عليهم أحاديث كثيرة لم تظهر على أهل الفتوى من قبل قال الشافعي لأحمد : أنتم أعلم بالأخبار الصحيحة منا فاذا كان خبر صحيح فأعلموني حتى أذهب اليه كوفيا كان أو بصريا أو شاميا ــ حكاه ابن الهمام. وذلك بأنه كم من حديث صحيح لا يرويه الا أهل بلد خاصة كأفراد الشاميين والعراقيين أو أهل بيت خاصة كنسخة بريد عن أبي برده عن ابي موسى : فمثل هذه الأحاديث يغفل عنها عامة أهل الفتوى

واجتمعت عندهم آثار فقهاء كل بلد من الصحابة والتابعين وكان الرجل فيما قبلهم لا يتمكن من جمع حديث بلده وأصحابه. وأمعنت

---

١ ــ مقتبس من كتاب حجة الله البالغة لولي الله الدهلوي ١٤٨/١ .

هذه الطبقة فى هذا الفن وجعلوه شيئا مستقلا بالتدوين والبحث وناظروا فى الحكم بالصحة والانقطاع على من سبقهم فقد كان سفيان ووكيع وأمثالهما يجتهدون غاية الاجتهاد فلا يتمكنون من الحديث المرفوع المتصل الا من دون ألف حديث كما ذكر أبو داود السجستانى فى رسالة الى أهل مكة.

وكان أهل هذه الطبقة يروون دون ألف حديث فما يقرب منها بل صح عن البخارى انه اختصر صحيحه من ستة آلاف حديث .

وعن أبى داوود أنه اختصر سننه من خمسة آلاف حديث .وجعل احمد مسنده ميزانا يعرف به حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فما وجد فيه ولو بطريق منه فله أصل والا فلا أصل له فكان رءوس هؤلاء عبد الرحمن بن مهدى ويحيى بن سعيد القطان ويزيد بن هارون وعبد الرزاق وأبو بكر بن أبى شيبه ومسدد وهناء وأحمد بن حنبل واسحاق بن راهوية والفضل بن دكين وعلى بن المدينى وأقرانهم وهذه الطبقة هى الطراز الأول من طبقات المحدثين فرجع المحققون منهم بعد أحكام فن الرواية ومعرفة مراتب الاحاديث الى الفقه وأحكامه .

منهج المحدثين فى استنباط الاحكام

لم يكن فى ذلك العصر من الرأى أن يجتمع على تقليد رجل ممن مضى : مع ما يرون من الأحاديث والآثار والمناقضة فى كل مذهب من تلك المذاهب فأخذوا يتتبعون أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة والتابعين والمجتهدين ــ على قواعد أحكموها فى نفوسهم .

قال الدهلوى : وأنا أبينها لك فى كلمات يسيرة ــ كان اذا وجد فى المسألة قرآن ناطق فلا يجوز التحول عنه الى غيره.

واذا كان القرآن محتملا لوجوه فالسنة قاضية عليه ــ فاذا لم يجدوا فى كتاب الله أخذوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء

كان مستفيضا دائرا بين الفقهاء . أو لم يعملوا به ومتى كان فى المسألة حديث فلا يتتبع فيها خلاف أثر من الآثار ولا اجتهاد احد من المجتهدين

واذا فرغوا جهدهم فى تتبع الأحاديث ولم يجدوا فى المسألة حديثا أخذوا بأقوال جماعة من الصحابة والتابعين ولا يتقيدون بقوم دون قوم ولا بلد دون بلد كما كان يفعل من قبلهم (١).

فأن اتفق جمهور الخلفاء والفقهاء على شيىء فهو المقنع وان اختلفوا أخذوا بحديث أعلمهم وأورعهم ورعا أو أكثرهم ضبطا او ما اشتهر عنهم فان وجدوا شيئا يستوى فيه قولان فهى مسألة ذات قولين فان عجزوا عن ذلك أيضا تأملوا فى عمومات الكتاب والسنة وايماآتهما وحملوا نظير المسألة عليها فى الجواب اذا كانتا متقاربتين بادى الرأى لا يعتمدون فى ذلك على قواعد الاصول ولكن على ما يخلص الى الفهم ويثلج به الصدر كما أنه ليس ميزان التواتر عدد الرواه ولا حالهم ولكن اليقين الذى يعقبه فى قلوب الناس — كما كان الحال عند الصحابة — وكانت هذه الأصول مستخرجة عن صنيع الأوائل وتصريحاتهم ، وعن ميمون بن مهران قال : كان أبو بكر اذا ورد عليه الخصم نظر فى كتاب الله فان وجد فيه ما يقضى بينهم قضى به وان لم يكن فى الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الأمر سنة قضى بها فان اعياه خرج فسأل المسلمين وقال : أتانى كذا وكذا فهل علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فى ذلك القضاء ؟ فربما اجتمع اليه النفر كلهم يذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قضاء فيقول ابو بكر : الحمد لله الذى جعل فينا من يحفظ سنة نبينا فان اعياه ان يجد فيه من سنة رسول اللى صلى الله عليه وسلم جمع رءوس الناس وخيارهم فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به وعن شريح أن عمر بن الخطاب كتب اليه ان جاء لك شيء فى كتاب الله فاقض به ولا يلفتك عنه الرجال فان جاءك ما ليس فى كتاب الله فانظر

---

١ — مقتبس من حجة الله البالغة ١/١٥١ .

سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقض به فان جاءك ما ليس فى كتاب الله ولم يكن فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به فان جاءك ماليس فى كتاب الله ولم يكن فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم فيه أحد قبلك فاختر أى الأمرين شئت أن شئت أن تجتهد برأيك ثم تقدم فتقدم وان شئت تتأخر فتأخر ولا أرى التأخير الا خيرا لك .

وبالجملة فلما مهدوا الفقه على هذه القواعد فلم تكن مسألة من المسائل التى تكلم فيها من قبلهم والتى وقعت فى زمانهم الا وجدوا فيها حديثا مرفوعا متصلا او مرسلا او موقوفا صحيحا أو حسنا أو صالحا للاعتبار أو وجدوا أثرا من آثار الشيخين — (ابى بكر وعمر) أو سائر الخلفاء وقضاة الانصار وفقهاء البلدان أو استنباطا من عموم أو ايماء أو اقتضاء فيسر الله لهم العمل بالسنة على هذا الوجه .. وكان أعظمهم شأنا وأوسعهم رواية واعرفهم للحديث مرتبة واعمقهم فقهما احمد بن محمد بن حنبل ثم اسحاق بن راهوية وهما من أساتذة البخارى ومعاصريه — وكان ترتيب الفقه على هذا الوجه يتوقف على جمع شيء كثير من الأحاديث والآثار حتى سئل احمد : يكفى الرجل مائة ألف حديث يفتى ؟

قال : لا — حتى خمسمائة ألف حديث . قال :

أرجو ، كذا فى غاية المنتهى ، مراده الافتاء على هذا الأصل ثم أنشأ الله تعالى قرنا آخر فرأوا أصحابهم قد كفوهم مؤونة جمع الأحداث وتمهيد الفقه على أصلهم فتفرغوا لفنون أخرى كتمييز الحديث الصحيح المجمع عليه بين كبراء أهل الحديث كزيد بن هرون ويحيى بن سعيد القطان وأحمد واسحق وأضرابهم :

وكجمع احاديث الفقه . التى بنى عليها فقهاء الأمصار وعلماء البلدان مذاهبهم .

وقد حكم على كل حديث بما يستحقه . وكالشاذة من الأحاديث

التى لم يرووها أو طرقها التى لم يخرج من جهتها الأوائل مما فيه اتصال أو علو سند أو رواية فقيه عن فقيه أو حافظ عن حافظ ونحو ذلك من المطالب العلمية وهؤلاء هم البخارى ومسلم وأبو داود وعبده ابن حميد والدارمى وابن ماجه وأبو يعلى والترمذى والنسائى والدارقطنى والحاكم والبيهقى والخطيب والديلمى وابن عبد البر وأمثالهم .

وكان أوسعهم علما عندى وأنعمهم تصنيفا وأوسعهم ذكرا رجال أربعة :

(البخارى ، مسلم ، أبو داود السجستانى ، أبو عيسى الترمذى) ــ أولهم ــ أبو عبد الله البخارى وكان غرضه تجريد الأحاديث الصحاح المستفيضة المتصلة من غيرها واستنباط الفقه والسيرة والتفسير منها فصنف .. جامعه الصحيح .. ووفى بما شرط قال الدهلوى : وبلغنا أن رجلا من الصالحين رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامه . وهو يقول :

مالك اشتغلت بفقه محمد بن ادريس وتركت كتابى ؟

قال : يا رسول الله وما كتابك ؟

قال : صحيح البخارى ــ ولعمرى انه نال من الشهرة والقبول درجة لا يرام فوقها .

منهج البخارى فى تدوين فقهه واثره

اما منهج البخارى . فهو وان اتفق بالنسبة لمصدره مع الأئمة فى الاستنباط من الكتاب والسنة .

الا انه يختلف عنهم من حيث طريقة تدوين الأحكام فلم ينهج نهجهم فى فرز الأحكام عن أصولها . ولكنه يترجم بها للحديث . ولذا قالوا : فقه البخارى فى تراجمه وقد يعلق على الأحاديث أحيانا فى عقبها بالرأى ويدعم الحكم بمعلقات الصحابة والتابعين وأقوالهم الفقهية . وقد يكتفى بها تعبيرا عن رأيه .

وهي طريقة لها مميزاتها ــ وهي الاطمئنان الى الأصل الذى أخذ منه الحكم والاطمئنان الى الحكم الذى أيده الصحابى أو التابعى أو قال به ــ وفتح الباب أمام المجتهد المؤهل : ليرى مدى علاقة الحكم وصلته بالحديث أو الآية ورأيه فى ذلك واذا امتازت طريقة البخارى فى تدوين فقهه بهذه المميزات فطريقة الفقهاء لها مميزاتها العظمى فهى تمتاز بكثرتها وتفصيلها للأحكام لتفرغهم لهذه الناحية واقتصارهم عليها بخلاف البخارى فأنه كما تعرض للفقه فى ابوابه تعرض ــ للعقيدة والسيرة والأدب وغير ذلك فلم يبلغ فى كثرة الأحكام وتعريفها مبلغهم.

وكلا الطريقتين تعاونتا على حفظ دين الله واحكامه فقد كان تدوين الحديث فى ذلك العصر الذهبى للسنة الذى كان البخارى هو رائد ازدهاره وجاء هذا العصر عقب عصر الفقهاء الأربعة فكان الهاما من الله وتدعيما لآراء الفقهاء وتثبيتا لها على مر الدهور بعرض أصول ما استنبطوا منه احكامهم حتى تعطى الأحكام صبغة الثبات والخلود هذا بالاضافة الى ما دون ذلك فى عصر الفقهاء فى كتبهم كالموطأ ومسند الامام أحمد وهكذا تحقق قول الله تعالى : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فحفظه كتابا يتلى وسنة موحاه ايضاحا له وتفصيلا لأحكامه ــ وقوانين مدونة من الوحى قرآنا وسنة ــ هى الفقه وتحقق قوله عليه السلام : « يحفظ هذا العلم فى كل زمن عدوله فحفظ الحديث بفرز ثماره فى عصر الفقهاء وفى بعض الاحيان مع بعض الأصول » . ثم حفظ بالاضافة الى ثماره كما هو فى صحيح البخارى وحفظ أصولا لم تستخرج أحكامها معها كما فى صحيح مسلم حيث ساق الحديث ولم يبوب له .

وشاء الله الذى وعد بحفظ دينه هذا النظام البديع ــ تحفظ السنة ويجمع الكثير منها فى عصر الصحابة والتابعين ثم تجمع الأحاديث وتبوب منها أبواب الفقه وقوانينه ثم تجمع الأصول مرة أخرى فى صورة زاهية مدعمة للأحكام السابقة مثمرة لأحكام الفقهاء مرجحة لبعض جوانب الخلاف الفرعى ومعروضة أمام المجتهد يقتبس منها

ويستخلص الحكم لما يجد فى فروع الحياة العامة من مسائل مطبقاعلى أصول الاسلام وروح الشريعة ويرجح ما شــاء من أحكام الخــلاف والرجل وذكاءه والرجل وفطنته .

وهذا مالم يتوفر لأى تراث أو قانون على الاطلاق .

هل البخارى منتسب لمذهب معين ؟

لقد تنازع أتباع الأئمة الأربعة نسبة مذهب البخارى اليهم .

فترجم له ابن السبكى فى طبقات الشافعية ترجمة ضافية (١) وروى انه سمع من الزعفرانى . وأبى ثور . والكرابيسى.وتفقه على الحميدى وكلهم من أصحاب الشافعى ولم يرو عن الشافعى فى الصحيح لأنه أدرك أقرانه ــ والشافعى مات مكتهلا فلا يرويه نازلا.

وروى عن الحسين وأبى ثور مسائل عن الشافعى . وذكرالشافعى فى موضعين فى جامعه الصحيح فى باب الركاز الخمس .

وفى باب العرايا والبيوع ــ ورقم شيخنا المزى فى التهذيب للشافعى بالتعليق وذكر هذين المكانين أ ــ هـ .

كما ترجم له الفرء فى طبقــات الحنــابلة (٢) . ومعــلوم بأن من أساتذته الامام احمد بن حنبل ، وقال المالكية:هو مالكىــروىالموطأ عن عبد الله بن يوســف التنيسى وسعيد بن عنبر وابن بكير . وقال الاحناف : ان استاذه الذى أشار عليه بجمع الصحيح اسحاق بنراهوية وهو حنفى ــ وقد تلقى عنه البخارى فهو حنفى .

وهذه أدلة لا ثبات لها ــ يشير الى وهنها . تعارضها .

فليست الرواية عن شخص تستلزم أن يكون الآخذ متبعا لمذهب من أخذ عنه ويكون غير مجتهد ــ ولو كان الأمر كذلك لــكان كل

١ ــ طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكى ٢/ ٤ .
٢ ــ طبقات الحنابلة ٢٧١/١ .

.مام من الأئمة على مذهب الســابق له مع أن الأمر ليس كذلك فمن المعلوم ان الشافعي رضي الله عنه تتلمذ على الامام مالك رضي الله عنه وحفظ موطأه وأخذ الامام أحمد عن الشافعي فقهه واخذ الشافعي عن الامام احمد الحديث وكان يقول للامام احمد : أنتم أعلم بالأخبــار الصحيحة منا فاذا كان خبر صحيح فأعلموني حتى أذهب اليه كوفيــا كان أو بصريا أو شاميا .

وأخذ الامام مالك أكثر فقهه عن ربيعة الرأى وحكى : ان ربيعة تعلم عن أبى حنيفة وأخذ أبو حنيفة عن ابراهيم النخعى ثم ان محمــد ابن الحسن أحد أركان المذهب الحنفى تفقه على أبى حنيفة وأبى يوسف ثم رجع الى نفسه فطبق مذهبه على الموطأ ثم خرج الى المدينــة فقرأ الموطأ على الامام مالك .

وكل هؤلاء من الأئمة الاعلام فقهاء مجتهدون واســتفادوا ممن سبقهم واجتهدوا فى استنباط الأحكام طبقا للكتاب والسنة ومايشيران به من أقوال الصحابة والتابعين والقياس والاجمــاع فابرزوا للعــلم ثروة فقهية قانونية مرجعا ومادة واسعة للتشريع الاسلامى وهكذا شأن البخارى حفظ الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين واقوالهمواطلع على الفقه عامة فأصبح صاحب ملكة صافية فى اســتنباط احكام من الحديث باجتهاده مستنيرا بثروته العلمية والفقهية .

يقول الكشميرى (١) : ان البخــارى مجتهــد لاريب فى ذلك وما أشتهر انه شافعى فلموافقته اياه فى المسائل المشهورة والا فموافقتــه للامام الأعظم أبى حنيفة ، ليس أقل مما وافق فيه الشافعى وكونه من تلامذة الحميدى . لا ينفع لأنه من تلامذة اسحاق بن راهوية أيضاوهو حنفى فعده شافعيا باعتبار الطبقــة ليس بأولى من عــده حنفيا واما الترمذى فهو شافعى المذهب لم يخالفه صراحة الا فى مســألة الأبراد والنسائى وأبو داود حنبليان صرح به الحــافظ ابن تيميــه ــ وزعم

---

١ ــ فيض البارى جـ ١ ص ٥٨.

آخرون انهما شافعيان واما مسلم وابن ماجه فلا يعلم مذهبهما وأما أبواب مسلم فليست مما وضعها المصنف رحمه الله تعالى بنفسه ليستدل منها على مذهبه .ا.هـ

ولا يصح أن يقال أن البخارى مجتهد مذهب بحجة أنه لم يؤثر عنه أنه أصل الأصول كالشافعى اذ لو صح هذا المقياس لما كان الامام مالك وابو حنيفة من المجتهدين على الاطلاق (١).

ومن الناحية التطبيقية فان الدارس لصحيح البخارى وتراجمه يجد أنه لم يلتزم مذهبا معينا بل هو دائر مع معنى الحديث يستنبط منه الحكم المناسب عنده وافق أى مذهب أو خالفه مستدلا على ايضاح معنى الحديث بما يرويه من المعلقات والآثار الموقوفة على الصحابه والتابعين ثم هو على معرفة واسعة بفقهاء الصحابة والتابعين وآرائهم — ويتضح ذلك من ذكر آرائهم يقول قال : ابن عمر — قال عثمان ابن عفان — قال الحسن — قال عطاء : قال ابن عباس وهذا النهج يدل على معرفته بفقه الصحابة والتابعين فهو يعطى للقارىء فى صحيحه صورة رائعة ومرآة مجلوة بها رأيه ورأى الفقهاء واصل الرأى وهو الحديث مثال ذلك من صحيحه قوله فى كتاب الوضوء (باب لا يجوز الوضوء بالنبيذ ولا المسكر) (٢) وكرهه الحسن وأبو العالية .

وقال عطاء التيمم أحب الى من الوضوء (ثم جاء بالحديث) الذى ترجم ما استنتجه فيه من الحكم بعدم الجواز — وذكر فيه كراهية الأئمة قال حدثنا على عن عبد الله قال حدثنا سفيان قال حدثناالزهرى عن ابى سلمة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كل شراب اسكر فهو حرام .

قال الكشميرى (٣) : اعلم أن محل الخلاف فيما ألقيت فى الماء

---

١ — مقدمة الشيخ عبد الغنى .
٢ — الجامع الصحيح ٤٨/١ .
٣ — فيض البارى ٣٤٠/١ .

تسيرات حتى صار حلوا رقيقا غير مطبوخ ولا مسكر فان أسكر أو طبخ فلا خلاف فى عدم الجواز كما فى المبسوط وفى البحر نقلا عن (قاضيخان) ان الامام أبا حنيفة رجع عنه الى مذهب الجمهور وهو عدم الجواز مطلقا والطحاوى أيضا تركه ولم ينتصر للمذهب المرجوع عنه ا.هـ .

وفى كتاب الاضاحى من الصحيح (باب سنة الأضحية) وقال ابن عمر هى سنة ومعروف ، وجاءالبخارى بالسند المتصل عنأنس رضىالله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : من ذبح قبل الصلاة فأنما ذبح لنفسه ومن ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه وأصابسنة المسلمين)

وفى كتاب الصيد « باب صيد المعراض » (١) وقال ابن عمر فى المقتولة بالبندقة تلك الموقوذة وكرهه سالم والقاسم ومجاهدوابراهيم وعطاء والحسن وكره الحسن رمي البندقية فى القرىوالأمصار ولا يرى بأسا فيما سواه وذكر الحديث بالاسناد المتصل منه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو هنا كما ترى لم يفصح برأى اكتفاء برأى الأئمة تعبيرا عما يهدف اليه الحديث .

وهكذا يجد من أقوال الصحابة والتابعين ومن اخذ عنهم الأئمة الأربعة ثروة طائلة قد يعبر بها عن فهمه للحديث فى كثير من الأحيان ويلاحظ انه لم ينص معتمدا على رأى امام من الأئمة الأربعة معتمدا عليه وحده فى فهم الحديث وان كان يتفق بطبيعة الحال مع أى مذهب منها فى كثير مما ذهب اليه فى اختيار للحكم كما يختلف معه ويتفق مع غيره حسبما يدل عليه الحديث كما هو الشأن فىالمذاهب الأربعةبعضها مع بعض اتفاقا واختلافا وقد أكسبه اطلاعه على آراء الصحابةوالتابعين والفقهاء عامة مقدرة فائقة وملكة وقادة فى استنباط الحكم من

---

١ ـ المعراض خشبة محدودة الطرف أو فى طرفها حديدة يرمى بها الصيد وقيل سهم لا ريش له ولا نصل ـ صحيح البخارى ٧/٧٤ .

الحديث وأمر اتفاقه فى كثير مما ذهب اليه أى امام من الأئمة الأربعة فى كثير من الأحيان أمر طبيعى كاتفاق الأئمة فى الاصول وكثير من الفروع فى كثير من الأحيان فمن المعلوم أن الأصل واحد فمصدر تشريع الأئمة باتفاق ــ الكتاب والسنة ــ والسنة مفسرة لمجمل القرآن ولا رأى مع وجود الحكم المصرح به فى الكتاب والسنة أو المستنبط من الكتاب والسنة وهذا هو نهج البخارى كما هو نهج جميع المجتهدين واذا وجد خلاف فى هذه الدائرة فانما هو فى النوع المستنبط من نص يحتمل الوجوه المختلفة ويتفاوت الرأى حسب اجتهاد المجتهد ومقدرته فى استنباط الحكم وقد بوب البخارى فى صحيحه فى الجزء التاسع كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة وبين فيه أن من السنة القدوة بالصحابة وروى عنه وراقه ما يفيد ان عنده المقدرة على تطبيق أحكام المسائل على الكتاب والسنة وما يشيران اليه قال وراقه سمعته يقول لا أعلم شيئا يحتاج اليه الا وهو فى الكتاب والسنة فقلت له يمكن معرفة ذلك ؟ قال نعم [1] فمذهب البخارى هو ما تضمنه الكتاب والسنة وما يشيران به وهو مذهب الأئمة عامة .

وقد روى عن الأئمة الأربعة اذا صح الحديث فهو مذهبى وقال الشافعى فى هذا المعنى اذا صح الحديث فاضربوا برأيى عرض الحائط فلو وجد امام من الأئمة حديثا صحيحا لم يكن معلوما له ينص على أمر مخالف لرأى من اجتهاده بقياس أو غيره لرجع اليه وهذا من أسباب رجوع الشافعى عن بعض ما دون فى مذهبه القديم الى مذهبه الجديد .

فلا رأى مع الكتاب والسنة عند الجميع وكلهم يقر ما قاله عمر بن عبد العزيز عن الأوزاعى قال كتب أنه لا رأى لأحد فى كتاب الله وانما رأى الأئمة فيما لم ينزل فيه الكتاب ولم تمض فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ولا رأى لأحد فى سنة سنها رسول الله صلى الله

---

١ ــ مقدمة الفتح ص ٢٠ .

عليه وسلم ، وهم فى ذلك ملتزمون للمنهج المعلوم الذى أقره النبى صلى الله عليه وسلم فى القضاء لمعاذ بن جبل ، على أنه قد ينتج خلاف يسير غير ذى بال فى الفروع المستنبطة من الكتاب والسنة حسب مقدرة المجتهد فى فهمه والمامه بالآيات والأحاديث التى تفسر بعضها بعضا فيما هو مبهم غير صريح فى النص على الحكم ونظرا لوجود ذلك فى الفروع واحتمال آخذه من النص كان الخلاف يسيرا فى كثير من الأحيان ومن الممكن أن يعتبر تعدد الأوجه فى كثير من المسائل آراء متعددة كلها محتملة ، وفى هذا المجال كان اجتهاد البخارى رضي الله عنه واختلافه واتفاقه مع الأئمة ، ويفيد تصريح الأئمة اذا صح الحديث فهو مذهبى وعملهم بذلك أنهم لو فرض أن امتد بهم الاجل وقد رأوا حديثا صحيحا من الأحاديث الصحيحة فى البخارى ومسلم وغيرهما لم يظفروا به لأصبح مذهبا لهم ذلك الحديث ، ومما يستحب التنبيه عليه حتى لا يكون أمر التزام البخارى بمذهب أمرا ضروريا شغل الكثير من الباحثين — أنه لم يكن حتى عصر البخارى بل حتى بعد المائة الرابعة أن يكون الناس مجمعين على التقليد (١) الخالص على مذهب واحد بعينه والتفقه به .

قال الدهلوى — اعلم أن الناس كانوا قبل المائة الرابعة غير مجمعين على التقليد الخاص لمذهب واحد بعينه قال ابو طالب المكى فى قوت القلوب ان الكتب والمجموعات محدثة والقول بمقالات الناس والفتيا بمذهب واحد من الناس واتخاذ قوله والحكاية له من كل شىء والتفقه على مذهبه لم يكن الناس قديما على ذلك فى القرنين الأول والثانى ا.هـ قال الدهلوى وبعد القرنين حدث فيهم شىء من التخريج غير أن أهل المائة الرابعة لم يكونوا مجتمعين على التقليد الخالص على مذهب واحد والتفقه له والحكاية لقوله كما يظهر من التتبع بل كان فيهم العلماء والعامة وكان من خبر العامة انهم كانوا فى المسائل الاجماعية التى لا اختلاف فيها بين المسلمين أو جمهور المجتهدين لا يقلدون الا

---

١ — حجة الله البالغة جـ ١ ص ١٥٠ و ص ١٥٣ باب حكاية حال الناس قبل المائة الرابعة .

صاحب الشرع ــ وكانوا يتعلمون صفة الوضوء والغسل والصلاة والزكاة ونحو ذلك من آبائهم أو معلمى بلدانهم فيمشون حسب ذلك واذا وقعت لهم واقعة استفتوا فيها أى مفت وجدوا من غير تعين مذهب وكان من خبر الخاصة انه كان أهل الحديث منهم يشتغلون بالحديث فيخلص اليهم من أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة مالا يحتاجون معه الى شىء آخر فى المسألة ، من حديث مستفيض أو صحيح قد عمل به بعض الفقهاء ولا عذر لتارك العمل به ، أو أقوال متظاهرة لجمهور الصحابة والتابعين مما لا يحسن مخالفتهم ، فأن لم يجد أحدهم فى المسألة ما يطمئن به قلبه لتعارض النقل وعدم وضوح الترجيح ونحو ذلك رجع الى كلام بعض من مضى من الفقهاء فان وجد قولين اختار أوثقهما سواء كان من أهل المدينة أو أهل الكوفة .

وكان أهل التخريج منهم يخرجون فيما لا يجدونه مصرحا به ويجتهدون ، وكان هؤلاء ينسبون الى مذهب اصحابهم فيقال فلان شافعى وفلان حنفى .

وكان صاحب الحديث أيضا ينسب الى أحد المذاهب لكثرة مرافقته له كالنسائى والبيهقى ينسبان الى الشافعى فكان لا يتولى القضاء ولا الافتاء الا مجتهد ولا يسمى الفقيه الا مجتهدا وقد قال الشافعى مهما قلت من قول أو اصلت من أصل فبلغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما قلت ، فالقول ما قاله صلى الله عليه وسلم وقال الامام أحمد ــ ليس لأحد مع الله رسوله كلام وقال أيضا لرجل لا تقلدنى ولا تقلدن مالكا ولا الأوزاعى ولا النخعى ولا غيرهم وخذ الأحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة .

البخارى مجتهد مطلق وفقيه

اذا كان الاجهاد هو بذل الوسع والجهد فى الدليل التفصيلى السمعى لاستنتاج حكم شرعى فان البخارى قد بلغ فى ذلك المكانة العليا ــ وقد تجلى ذلك فى صحيحه على أعظم وجه ــ ترجمة وتعليقا

على الحديث وله فى ذلك تصرف فريد لا يبارى فيه فهو مجتهدمطلق لا يشك فى ذلك من درس صحيحه .

واذا كان الفقه هو العلم أو الظن بالأحكام (النسبة التامةالشرعية العملية) باكتساب كما قال المتقدمون هو المستمد من الأدلة التفصيلية الجزئية أو بدون قيد الاكتساب كما عند المتأخرين سواء نظر فى الأدلة أم نشأ عن تقليد بعض الأئمة .

فان البخارى فقيه حصل الأدلة التفصيلية كتابا وسنة على أوسع نطاق واستنبط منها الأحكام مباشرة وحصل آراء الفقهاء عامة منأئمة الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة بما فيهم الأئمة الأربعة دون الاقتصار على امام معين .

فهو المجتهد المطلق والفقيه اكتسابا وتحصيلا أو قد فيه وأزهر فيه ملكة الاكتساب ـ اطلاعه الواسع على آراء الصحابة والتابعينوحديث رسول الله وعنايته بالقرآن الكريم وليس هذا القول بالأمرالمستكشف أو المستحدث بل هذه هي الحقيقة التى شهد له بها وقررها أئمة العلماء فى عصره وبعد عصره ولعمرى ماذا يكون المجتهد والفقيه اذ البخارى لم يكنه .

مكانة اجتهاده وفقهه فى عصره

يقول وراقة (١) سمعته يقول : ما جلست للتحـديث حتى عرفت الصحيح من السقيم وحتى نظرت فى كتب أهل الرأى وما تركتحديثا الا كتبته :

ويقول : سمعته يقول لا أعلم شيئا يحتاج اليه الا وهو فى الكتاب والسنة فقلت له يمكن معرفة ذلك ؟ قال نعم .

---

١ ـ المقدمة ٢٠١/٢ .

ويقول (١) فيه نعيم بن حماد الخزاعى « محمد بن اسماعيل فقيه هذه الأمة » .

ويقول بندار « محمد بن بشار » فى البخارى : هو أفقه أهل زماننا والدارمى (٢) يقول : انى رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراق فما رأيت فيهم أجمع من محمد بن اسماعيل هو أعلمنا وافقهنا وأكثرنا طلبا .

ويقول وراقه « محمد بن حاتم » (٣) سمعت محمد بن يوسف يقول كنت عند أبى رجاء « قتيبة بن سعيد » فسئل عن طلاق السكران فدخل محمد بن اسماعيل فقال قتيبة للسائل هذا أحمد بن حنبل وابن المدينى وابن راهويه قد ساقهم الله اليك.وأشار الى محمد بن اسماعيل وكان مذهب محمد انه اذا كان مغلوب العقل لا يذكر ما يحدث فى سكره انه لا يجوز عليه من أمره شىء .

وقال وراقه (٤) راويا عن البخارى قوله : كنت عند اسحاق بن راهوية فسئل عمن طلق ناسيا فسكت طويلا مفكرا : فقلت انا قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز عن أمته ما حدثت به نفسها مالم تعمل به او تكلم . وانما يراد مباشرة هؤلاء الثلاث العمل .والقلب أو الكلام والقلب وهذا لم يعتمد قلبه .

فقال اسحاق بن راهوية ــ وهو الامام الفقيه المحدث ــ قويتنى قواك الله وأفتى به وقال (٥) صالح بن محمد بن جزره : ما رأيت خراسانيا أفهم من محمد بن اسماعيل وقال (٦) سليم بن مجاهد : ما رأيت بعينى منذ ٦٠ سنة أفقه ولا أروع ولا أزهد من محمد بن اسماعيل .

---

١ ــ المقدمة ١٩٧/٢ .
٢ ــ تهذيب الاسماء واللغات .
٣ ــ طبقات الشافعية .
٤ ــ المقدمة ١٩٨/٢ .
٥ ــ مقدمة شرح النووى للبخارى ٤/١ .
٦ ــ طبقات السبكى ١١/٢ .

وقال (١) أبو سهل محمد بن النضر الشافعى :

دخلت البصره والشام والحجاز والكوفةورأيت علماءها فكلماجرى ذكر محمد بن اسماعيل فضلوه على أنفسهم .

ولما قدم (٢) البخـارى البصرة قال محمد بن بشار : قدم اليوم سيد الفقهاء .

وقال عبد الله بن محمد المسندى ــ محمد بن اسماعيل امام ومن لم يجعله اماما فاتهمه .

وقال (٣) فيه أبو الطيب حاتم بن منصور كان محمد بن اسماعيل آية الآيات فى بصره ونفاذه فى العلم .

ولم تكن هذه المكانة السامية التى تتراءى من شـهادة الأئمـة لاجتهاد البخارى وفقهه عن سطحية حتى تكون بالأمر الهـزيل الذى يستطيع الزمن أن يحد من قوته .

ولكنها حقيقة واضحة مرتبطة بصحيحه ومكانته الخالدة .

فاستمرت هذه المكانة على مر الأيام والقرون يزكيها الدارسـون لصحيحه من أقطاب العلم والسنة فى كل عصره كالامام النووى من أعلام القرن السابع المتوفى سنة ٦٧٦ هـ فقد وضع فى مقدمة شرحه للبخارى فى أسلوب علمى متين مكانة البخارى فى الاجتهاد فى صحيحه .

وكما بينها الحافظ ابن حجر من أعلام القرن التاسع المتوفى سنة ٨٥٢ هـ فى مقدمته فتح البارى وهو المتخصص والمـرجع فى تصرفات البخارى فى صحيحه وقد استغرق فى دراسته وتأليف مقدمته وشرحه فتح البارى ستة عشر عاما قدر المدة التى استغرقها البخارى فى تأليف صحيحه .

---

١ ــ تاريخ بغداد ١٩/٢ .
٢ ــ تهذيب التهذيب ٥/٩ .
٣ ــ تاريخ بغداد ٢٨/٢ .

واستمرت هذه المكانة حقيقة سافرة للعلماء فى كل عصر وزمن . يشهد بها كل دارس ومتصد لشرح الصحيح وقد تعرض لها وشهد بذلك المحدث الكبير محمد أنور الكشميرى الديوبندى المتوفى سنة ١٣٢٥ هـ وهو أحد أئمة الحديث فى الهند . ومرجع أيضا لدراسة البخارى وسأشير الى مزيد من آرائهم عند الكلام على تراجمه التى هى محل فقهه .

تراجم صحيح البخارى

ان تراجم الجامع الصحيح للبخارى تعطى صورة واضحة ان مصنفه صافى الذهن حاد الذكاء قوى الحفظ يمتاز بفهم عميق للكتاب والسنة وله المقدرة التامة على استنباط الأحكام منها وحسن التصرف فى ترجمته وكأن الكتاب والسنة صفحة مرسومة فى ذاكرته يقطف منها ما شاء استشهادا واستنباطا .

فحق لامام الحديث النووى (١) ان يقول : ان البخارى رحمه الله كانت له الغاية المرضية من التمكن فى أنواع العلوم واما دقائق الحديث واستنباط اللطائف منه فلا يكاد أحد يقاربه فيها . وقد شهد له اعلام المحدثين من شيوخه وغيرهم واذا نظرت فى كتابه جزمت بذلك لاشك ثم ليس مقصوده الاقتصار على الحديث وتكثير المتون بل مراده الاستنباط منها . والاستدلال لأبواب ارادها من الأصول والفروع والزهد والأدب والأمثال وغيرها من الفنون كما قال الاسماعيلى ان احدا من المحدثين لم يبلغ من التشدد مبلغ ابى عبد الله ولا تسبب الى استنباط المعانى واستخراج لطائف فقه الحديث وتراجم الأبواب الدالة على ماله وصلة بالحديث المروى فيه تسببه ولله الفضل يختص به من يشاء ، وقال الحافظ ابن حجر فى شأن صحيح البخارى ... ثم رأى ان لا يخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكيمة فاستخرج بفهمه من

---

١ ـ شرح البخارى للنووى جـ ١ صفحة ٦ .

المتون معاني كثيرة فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها واعتنى بآيات الاحكام فانتزع منها الدلالات البديعة وسلك في الاشارة الى تفسيرها السبل الوسيعة (١) .

ويقول الكشميري في تراجمه ان المصنف سباق غايات وصاحب آيات في وضع التراجم لم يسبق به احد من المتقدمين ولم يستطع أن يحاكيه أحد من المتأخرين فهو الفاتح لذلك الباب وصار الخاتم وضع في تراجمه آيات تناسبها مما يتعلق من هذا الباب ونبه على مسائل مظان الفقه في القرآن بل اقامها منه ودل على طرق التأنيس من القرآن وبه يتضح ربط الفقه والحديث بالقرآن بعضه مع بعض ومن رفعه اجتهاده ودقته في الاجتهاديات وبسطها في التراجم قيل ان فقه البخاري في تراجمه فكان في تراجم المصنف علوم متفرقة من الفقه وأصوله والكلام أومأ اليها بايجاز واختصار أ ـ هـ .

واذكر هنا انماطا من تصرفه في تراجمه لا على سبيل الاستيعاب محاولا قدر الجهد المحدود ان أدعمها بالأمثلة من صحيحه فيما لم اصادف التمثيل عليه من المتقدمين المتكلمين على تراجمه كابن حجر في مقدمته وولي الله الدهلوي في تراجم صحيح البخاري والنووي في مقدمة شرحه للبخاري والكشميري في مقدمة فيض الباري على صحيح البخاري .

منهجه في التراجم

قد يكون من تراجمه ما هو ظاهر والترجمة فيه دالة بالمطابقة لما ترجم له ولا فائدة لها سوى الاعلام بما ورد في ذلك الباب مثاله باب ذكر هند بنت (٢) عتبة بن ربيعة رضي الله عنها وجاء بالاسناد المتصل الى

---

١ ـ مقدمة فتح الباري ج ١ ص ٩ .
٢ ـ صحيح البخاري ٥٩ ص ٣٢ وفتح الباري ج ٧ ص ٦٧ والعيني ج ٨ ص ٣٤ .

عروه ان عائشة رضى الله عنها قالت جاءت هند بنت عتبه قالت يارسول الله ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء احب اليه ان يذلوا من أهل خبائك ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب اليه أن يعزوا من أهل خبائك .

فهذا وما ماثله ليس فيه اجتهاد انما هو مجرد عنوان لما ترجم له وقد يأتى بالترجمة بلفظ المترجم له مثال ذلك (باب قول النبى صلى الله عليه وسلم اللهم علمه الكتاب) وجاء بالحديث المتصل عن ابن عباس قال ضمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال «اللهم علمه الكتاب» (١) وقد يترجم ببعض المترجم له مثاله باب من يرد الله به خيرا يفقه فى الدين ــ وجاء بالاسناد المتصل قال حميد بن عبد الرحمن سمعت معاوية خطيبا يقول سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وانما انا قاسم والله يعطى ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله (٢) .

وقد يأتى بالترجمة تفسيرا للمعنى المراد من كلمة فى الحديث بها يتضح المعنى مثاله « باب الاغتباط فى العلم والحكمة » وقال عمر تفقهوا قبل أن تسودوا وجاء بالحديث المسند عن عبد الله بن مسعود قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم لا حسد الا فى اثنتين رجل أتاه الله مالا فسلط على هلكته فى الحق ورجل اتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها) فهو بهذه الترجمة بين ان المراد بالحسد انما هو الغبطة وهى تمنى مثل ما للمغبوط من غير زواله بخلاف أصل الحسد فانه مع تمنى الزوال عنه (٣) فالترجمة هنا بيان بتأويل ذلك الحديث معينة لمعناه .

وقد يأتى للحديث الخاص بترجمة عامة فتكون الترجمة كتأويل للحديث نائبة مناب قول الفقيه المراد

---

١ ــ كتاب العلم ج ١ ص ٢٢ .
٢ ــ كتاب العلم ص ٢١ .
٣ ــ القسطلانى ج ١ ص ١٧١ .

بهـذا الحـديث الخاص العموم اشعارا بالقياس لوجود العلة الجامعة مثال ذلك باب التسمية على كل حال وعند الوقاع (١) وجاء بالاسناد المتصل عن ابن عباس يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم قال (لو ان احدكم اذا اتى اهله قال باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضى بينهما ولد لم يضره) .

فمطابقة الحديث لأحد شقى الترجمة الذى هو الخاص وهو قوله (عند الوقاع وليس فيه ما يطابق الشق الآخر الذى هو العام وهوقوله على كل حال من ذكر اسم الله تعالى ومع ذلك تسن التسمية فيـه ففى سائر الاحوال بالطريق الأولى فلذلك أورده البخارى فى باب الوضوء وهو كما قال العينى للتنبيه على مشروعية التسمية عند الوضـوء ولم يذكر حيث لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه لانه ليس على شرطه وان كثرت طرقه وقد طعن فيه الحفاظ واستدركوا على الحاكم تصحيحه بانه انقلب عليه اسناده واشتبه (٢).

وقد يأتى للحديث العام بترجمة خاصة وذلك كقول الفقيه المراد بهذا الحديث العام الخصوص بمثاله من كتاب الصـلاة باب جهر الامام بالتأمين (٣) وقال عطاء أمين دعاء أمن ابن الزبير ومن وراءه حتى أن للمسجد للجه (ضجيجا) وكان أبو هريره ينادى الامام لا تفتنى بأمين قال نافع كان ابن عمر لا يدعه ويحضهم وسمعت منه فى ذلك خيرا ... وجاء بالحديث المسند عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالم اذا أمن الامام فأمنوا فانه من وافق تامينه تأمين الملائكـة غفر له ما تقدم من ذنبه فليس فى الحديث الجهر كما فى التـرجمة وانمـا فى التأمين فبين فى الترجمة بأن المراد ليس مطلق التأمين وانما هو التأمين فى الصلاة الجهرية بالجهر بها واخذه من قوله صلى الله عليه وسلم اذا

---

١ ـ العينى جـ ٢ طبع المنيرية ص ٢٦٦ .
٢ ـ العينى جـ ٢ ص ٢٦٦ طبع المنيرية .
٣ ـ صحيح البخارى جـ ١ ص ١٢٩ والفتح جـ ٢ ص ١٧٧ والعينى جـ ٣ ص ١٠٦ وفيض البارى جـ ٢ ص ٢٥٩ .

امن الامام فأمنوا فتوقيتها بحين تأمين الامام بعد جهر الامام لتمكين المقتدى أن يؤمن على تأمين امامه ويكون المأموم على شاكلة امامه .

وقد يأتى بلفظ الترجمة ثم يورد بعدها آية أو أثرا لا حديثامسندا فكأنه يقول لم يصح فى الباب شىء على شرطه مثاله . باب [1] عفو المظلوم (لقوله تعالى) (ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا)

(وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ان الله لا يحب الظالمين) (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب اليم) (ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور) (وترى الظالمين لما رأو العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل) وانتهى الباب على ذلك وكأنه يريد ان يبين آن دليل الحكم المستفاد من الترجمة ثابت بالكتاب لا بالسنة عنده .

وقد يترجم بحديث مرفوع ليس على شرطه ويذكر فى الباب حديثا شاهدا له على شرطه مثاله .

(باب [2] لا تقبل صلاة بغير طهور) وجاء بالسند المتصل عن أبى هريره يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقبل صلاة من احدث حتى يتوضأ قال رجل من حضرموت ما الحدث يا أبا هريره قال فساء أو ضراط) فهذه الترجمة لفظ حديث رواه مسلم وغيره من حديث ابن عمر رضى الله عنهما بزيادة قوله (ولا صدقة من غلول).

وأخرجه أبو داود والنسائى من طريق أبى المليح عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يقبل الله صدقه من غلول ولا صلاة بغير

---

١ – صحيح البخارى جـ ٣ ص ١١٣ وفتح البارى جـ ٥ ص ٦٢ والعينى جـ٦ ص ١١١ والقسطلانى جـ٤ ص ٥٢٧ والكرمانى جـ ١١ ص ٢٠ .

٢ – من كتاب الوضوء صحيح البخارى جـ ١ ص ٣٢ العينى جـ ١ ص ١٦٣ والفتح جـ ١ ص ١٦٦ والقسطلانى جـ ١ ص ٢٢٦ والكرمانى جـ ٢ ص ١٦٩ .

ظهور وله طرق كثيرة لكن ليس فيهاشيء على شرط البخاري فلهذا عدل عنه مع ان حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مطابقا لما ترجم له وحديث ابي هريره يقوم مقامه وقد قيل ان الحديث ليس بمطابق للترجمة لأن الترجمة عام والحديث خاص قال العيني والجواب انه وان كان خاصا ولكنه يستدل به على ان الأعم نحوه بل أولى ولما كانت الأحاديث التي تطابق الترجمة حسب الظاهر ليست على شرطه فلذلك لم يذكرها وذكر حديث ابي هريره هذا على شرطه عوضا عنها لأنه يقوم مقامها من الوجه المذكور ــ وكأنه أراد ان يتابع حديثه بحديث غيره.

وقد يترجم بآية ويأتي بعدها بالحديث مثاله من كتاب العلم (١) (باب قول الله تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا) وجاء بالسند المتصل عن علقمه عن عبد الله قال بينا أنا امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في طريق المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه فقال بعضهم لنسألن فقام رجل منهم فقال يا ابا القاسم ما الروح فسكت فقلت انه يوحى اليه وقمت فلما انجلى عنه فقال (يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما أوتوا من العلم الا قليلا) قال الأعمش هكذا قرأتها ، يريد البخاري أن يفيد اثبات الحكم بالمصدرين الكريمين الكتاب والسنة .

وقد يترجم بلفظ الاستفهام كقوله باب هل يكون كذا او من قال كذا او نحو ذلك حيث لا يتجه له الجزم باحد الاحتمالين وغرضه بيان هل يثبت ذلك الحكم أو لم يثبت فترجم على الحكم ومراده ما تفسر بعد من اثباته او نفيه أو انه محتمل لهما وربما كان احد المحتملين أظهر وغرضه أن يبقى للنظر مجالا مثاله (باب (٢) هل يدخل الجنب يده في الاناء قبل أن يغسلها ؟ اذا لم يكن على يده قذر غير الجنابة) وادخل

---

١ ــ صحيح البخاري جـ ١ ص ٣١ .

٢ ــ صحيح البخاري كتاب الغسل جـ ١ ص ٥١ القسطلاني جـ ١ ص ٣١٥ والعيني جـ ٣ ص ٣ والفتح جـ١ ص ٢٥٠ والكرماني جـ٣ ص ١١١ .

ابن عمر والبراء بن عازب يدهق الطهور ولم يغسلها ثم توضأ ولم ير ابن عمر وابن عباس بأسا بما ينتضح من غسل الجنابة حدثنا عبد الله ابن مسلمة أخبرنا أفلح بن حميد عن القاسم عن عائشــة قالت كنت أغتسل أنا والنبى صلى الله عليه وسلم من اناء واحد تختلف ايدينــا فيه وحدثنا مسدد قال حدثنا حماد عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اغتسل من الجنابة غسل يده.

قال القسطلانى ومطابقة هذا الحــديث للترجمــة من حيث جواز ادخال الجنب يده فى الاناء قبل أن يغسلها اذا لم يكن عليها قذر لقولها تختلف ايدينا فيه واختلافهما فيه لا يكون الا بعد الادخال فدل ذلك على انه غير مفسد للماء اذا لم يكن عليها ما ينجس يقينا .

ومما قاله ابن حجر (١) ومثل له قوله ــ وكثيرا ما يتــرجم بأمر ظاهره قليل الجدوى لكنه اذا حققه المتأمل أجدى كقــوله باب قول الرجل (٢) ما صلينا فأنه أشار به الى الرد على من كره ذلك ومنه قوله باب (٣) قول الرجل فاتتنا الصلاة وأشار بذلك الى الرد على من كــره اطلاق هذا اللفظ .

وكثــيرا ما يترجم بأمر مختص ببعض الوقائع لا يظهــر فى بادىء الرأى كقــوله باب اســتياك (٤) الامام بحضرة رعيتــه فانه لما كان الاستياك قد يظن انه من أفعال المهنة فلعل بعض الناس يتوهم ان اخفاءه أولى مراعاة للمروءه فلما وقع فى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم استاك بحضرة الناس دل انه من باب التطيب لا من الباب الآخر نبه على ذلك ابن دقيق العيد .

ومما ذكره ولى الله الدهلوى أحمد بن عبد الرحيم فى كتابه شرح تراجم أبواب صحيح البخارى ، وقد أتممت تمثيل ما ترك الدهلوى

---

١ ــ المقدمة جـ١ ص٩٠

٢ ــ كتاب الجماعة صحيح البخارى جـ ١ ص ١٠٩ .

٣ ــ صحيح البخارى جـ ١ ص ١٠٨ .

٤ ــ ذكره ابن حجر على سبيل المثال ولم اجده فى الصحيح لم وجدت الكشميرى نبه على انه غير موجود فى صحيح البخارى .

وغيره التمثيل له ومن ذلك أن يترجم بمسألة اختلف فيها الأحاديث فيأتي بتلك الأحاديث على اختلافها ليقرب الى الفقيه من بعده أمرها مثاله : باب خروج النساء الى البراز ، جمع فيه بين حديثين مختلفين .

وقد ذكر ذلك البخارى فى كتاب الوضوء (١) من صحيحه والحديث الأول عن عائشة قول عمر لسوده ألا قد عرفناك يا سوده ، حرصا على أن ينزل الحجاب فانزل الله آية الحجاب .

والحديث الثانى عن عائشة أيضا وفيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال . قد اذن ان تخرجن فى حاجتكن قال هشام يعنى البراز (وهو الفضاء تقضى فيه الحاجة) .

ويمكن أن يجمع بينهما بأنه لا تنافى فانها قد تخرج مغطاة محجبة لا تعرف والمنهى عنه السفور والتبرج .

ومنها انه قد تتعارض الأدلة ويكون عند البخارى وجه التطابق بينها بحمل كل واحد على محمل فيترجم بذلك المحمل اشارة الى وجه التطبيق مثاله باب خوف المؤمن ان يحبط عمله ومايحذر من الاصرار (٢) على التقاتل والعصيان ، ذكر فيه حديث سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وذكر حديث خرج النبى صلى الله عليه وسلم للاخبار بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال النبى صلى الله عليه وسلم خرجت لاخبركم بليلة القدر وانه قد تلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم ، الحديث .

فبين البخارى فى الترجمة الجمع بين الحديثين بان الكفر والفسوق فى التقاتل والعصيان حين الاصرار من غير توبة قال وما يحذر من الاصرار من غير توبة لقوله تعالى « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » .

---

١ ـ مقدمة فتح البارى جـ ٢ ص ١١٠ .
٢ ـ صحيح البخارى كتاب الايمان جـ ١ ص ١٥ .

ومنها أنه قد يجمع فى باب أحاديث كثيرة كل واحد منها يدل على الترجمة ثم يظهر له فى حديث واحد فائدة اخرى سوى الفائدةالمترجم بها ويعلم على ذلك الحديث بعلامة الباب وليس غرضه ان البـاب الأول قد انقضى بما فيه وجاءالباب الأخير برأسهولكن قوله بابهنالك بمنزلة ما يكتب أهل العلم على الفائدة المهمة لفظ تنبيه أو لفظ فائدة أو لفظ قف مثاله .

باب قوله تعالى (وبث فيها من كل دابة) ثم قال بعد اسـطر باب خير (١) مال المسلم غنم يتبع فيها شعب الجبال ثم ذكر حديث (والفخر والخيلاء فى أهل الخير ثم ما ليس فيه ذكر الغنم فكأنه اعلم على هذا الحديث بأنه مع دخوله فى الباب فيه فائدة أخرى مع حقيقة الغنم .

ومنهـا انه قـد يكتب (ح) حيث جاء حديث باسـنادين مثـاله باب ذكر المـلائكة (٢) وأطال فى الـكلام حتى اخرج حديث المـلائكة يتعـاقبون ملائكة بالليـل وملائكة بالنهـار رواية شـعيب عن أبى الزناد عن ابى هريره ثم كتب باب اذا قالأحدكم أمين والمـلائكة فى السـماء أمين فوافقت احدهمـا الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ثم اخرج حديث ان الملائكة لا تدخل بيتا فيـه صور ثم ما ليس فيه ذكر امين الا بعد كثير قال الاسماعيلى فى موضع (ح) وبهذا الاسناد وكأنه يشير الى لفـظ (ح) علامة لقـوله وبهـذا الاسناد أهـ .

وبهذه المناسبة اذكر ما قاله النووى فى مقدمة صـحيح مسلم ان حرف (ح) تستعمل اذا كان للحديث اسنادان أو أكثر فتكتب عنـد الانتقال من اسناد الى اسناد والمختار انها مأخوذة من التحول لتحوله من الاسناد الى اسناد وانه يقول القارىء اذا انتهى اليها (ح) ويستمر فى قراءة ما بعدها وقيـل أنها من احال بين الشيئين اذا حجز لكونهـا حالت بين الأسنادين وانه لا يلفظ عند الانتهاء اليها بشىء وليست من

---

١ ــ كتاب بدء الخلق صحيح البخارى جـ ٤ ص ٤ .
٢ ــ صحيح البخارى جـ ٤ ص ٨٩ .

الرواية وقيل أنها رمز الى قوله «الحديث» وان أهل المغرب كلهم يقولون اذا وصلوا اليها ـ الحديث . فقد كتب جماعه من الحفاظ موضعها صح فيشعر بأنها رمز صح وحسن ها هنا كتابة صح لئلا يتوهم أنه سقط من الاسناد الأول ثم هذه الحاء توجد فى كتب المتأخرين كثيرا وهى كثيرة فى صحيح مسلم [1] قليلة فى صحيح البخارى أهـ .

امثلة لبعض آراء البخارى الفقهية مع ذكر آراء الائمة فيها

مسح الرأس كله

قال البخارى باب مسح الرأس كله لقوله تعالى « وامسحوا برؤسكم » وسئل مالك عن عمرو بن يحيى المازنى عن أبيه ان رجلا قال لعبد الله بن يزيد وهو جد عمرو بن يحيى أتستطيع أن تريني كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ ؟ فقال عبد الله بن زيد : نعم فدعا بماء فأفرغ على يديه فغسل مرتين ثم مضمض واستنثر ثلاثا : ثم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل يديه مرتين الى المرفقين ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وادبر بدأ بمقدم رأسه حتى ذهب بهما الى قفاه . ثم ردهما الى المكان الذى بدأ منه ثم غسل رجليه . فاستدل البخارى على وجوب مسح الرأس بالآيه ووجهه ان الرأس اسم لجميع العضو فلا يكون المأمور بالمسح الا هو . وهو موافق لرأى الامام مالك ومخالف للشافعى والاحناف ورأيه انما هو اتباع لما استبان له من معنى الآيه فى ضوء الحديث فى قوله ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وادبر ، بدأ بمقدم رأسه حتى ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما الى المكان الذى بدأ منه .

فهذا يفيد استيعاب مسح الرأس كله فهو يسير تجاه الحديث حسب اجتهاده مدعما بأراء الصحابة وان خالف الشافعى والحنفى أو غيرهما واما وجهة نظر الشافعى وابى حنيفة فهى : ان الفعل اذا أمر

---

١ ـ مقدمة الامام مسلم جـ ١ ص ٣٨ .

بأيقاعه على محل فأنه يكفى فيه وقوعه على بعضه فالآيه فيها نوع اجمال يفصله ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على بعض رأسه يقول الكشميرى : فنحن معاشر الاحناف تفحصنا حال النبى صلى الله عليه وسلم فى المسح فلم نجد فيه أقل من الربع فقلنا به وعلمنا أن الايقاع على الربع يحكى الكل ويقوم مقامه فى نظر الشارع ويؤدى مؤداه عنده لحديث المغيرة رضى الله عنه فأنه لايدل الا على أنه مسح على بعض الرأس وعند أبى داود أنه مسح مقدم رأسه وفيه أبو معقل قيل أنه مجهول قال الكشميرى : وقد تبين لى اسمه وهو حسن عندى وهو عبد الله بن معقل كما فى الفتح جـ ١٤ صـ ٤ وفى تهذيب التهذيب .

وعن عطاء بن أبى رباح ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى سفر وكان على رأسه عمامه فوضعها على رقبته ثم مسح رأسه ، فلمثل هده الاحاديث قال الاحناف والشافعية أن الاستيعاب ليس بفرض وقدره الشافعية على ما يسمى مسحا فعلم بأن الاستيعاب لم يكن شرطا عند السلف « وقالوا فى الآية الباء للتبعيض وقالوا فى الحديث أنه ربما يكون ذلك قصد به الاكمل » .

فالشافعية وقد خالفهم البخارى قالوا يكفى مسح بعض الرأس ولو قليلا واستدلوا بما روى من فعل الرسول ولما لم يثبت حديثهم عند البخارى بشرطه لم يعتبره واقتصر على ما عنده من مسح الرأس كله والحنابلة قالوا (١) بمسح جميع الرأس ومنها الاذنان فيفرض مسحهما مع الرأس فالحنابلة متفقون مع المالكية الا انهم اعتبروا الاذنين جزءا من الرأس .

وانما أخذ البخارى بهذا المبدأ نظرا لأن الادلة الاخرى لم تقم عنده ومن هنا نستطيع أن نقول بأن البخارى لم يكن ملتزما بمذهب معين وانما مذهبه الحديث .

---

١ ـ الفقه على المذاهب الاربعة للجزيرى جـ ١ ص ٥٦ طبعة ثانية شركة فن الطباعة .

مسح الرأس مرة

قال البخارى : « باب (1) مسح الرأس مرة » حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا وهيب قال : حدثنا عمرو بن يحيى عن أبيه قال : شهدت عمرو بن ابى حسن سأل عبد الله بن زيد عن وضوء النبى صلى الله عليه وسلم فدعا بتور من ماء فتوضأ لهم فكفأ على يديه فغسلهما ثلاثا . ثم أدخل يده فى الاناء فمضمض واستنشق واستنثر ثلاثا بثلاث غرفات من ماء ثم أدخل يده فى الأناء فغسل يديه الى المرفقين مرتين مرتين ثم أدخل يده فى الأناء فمسح برأسه فأقبل بيديه وادبر بهما ثم أدخل يده فى الأناء فغسل رجليه فحدثنا موسى قال حدثنا وهيب قال فمسح رأسه مرة .

قال الكشميرى : جزم الامام البخارى بمذهب أبى حنيفه وترك مذهب الشافعية وقد قال الحنفية أن الاسباغ فى المسح هوالاستيعاب لأنه لا يناسبه التثليث وجاء بالرواية مسح برأسه مرة وفهم هذا الراوى عين ما فهمه الحنفية أن الاقبال والادبار حركتان والمسح واحد ولم يحملها على التكرار فى المسح كما فهمه الشافعية .

وقال القسطلانى : وهو الشافعى المذهب فى قوله مسح برأسه مرة أى واحدة وتمام الاسناد وهيب عن عمرو بن يحيى عن أبيه قال شهدت عمرو بن أبى الحسن سأل عبد الله بن زيد عن وضوء النبى صلى الله عليه وسلم الى أن قال مسح رأسه مرة قال القسطلانى واحاديث الصحيحين أى المسندة ليس فيها ذكر عدم المسح وبه استدل فى تدعيم رأى الشافعى قال أكثر العلماء : نعم . روى أبو داود وابن ماجه من وجهين صحح أحدهما ابن خزيمة وغيره من حديث عثمان فى تثليث مسح الرأس والزيادة من الثقة مقبولة وهو مذهب الشافعى ويحتج للتعدد

---

١ - صحيح البخارى جـ١ ص٤٢ .

أيضاً بظاهر رواية مسلم أنه صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثاً ثلاثاً وبالقياس على المغسول لأن الوضوء طهارة حكمية ولا فرق فى الطهارة الحكمية بين الغسل والمسح .

وأجيب بما يؤيد رأى البخارى بأن ثلاثا ثلاثا مجمل . قد بين فى الروايات الصحيحة أن المسح لا يتكرر فيحمل على الغالب ويختص بالمغسول وبأن ـ المسح مبنى على التخفيف فلا يقاس على الغسل الذى المراد منه المبالغة فى الاسباغ فثبت وجاهة رأى البخارى .

لا نقض للوضوء من مس المرأة

قال البخارى : « باب (١) من لم ير الوضوء الا من المخرجين القبل والدبر وقول الله تعالى أو جاء احد منكم من الغائط .

وقال أبو هريرة لا وضوء الا من حدث .

وقال ابن عباس لمستم وتمسوهن (٢) النكاح قال (٣) الكشميرى: شرع فى النواقض. ووافق أبا حنيفة فى مس الذكر والمرأة ولم يربهما وضوءا وخالف الشافعى فى ذلك ثم أن الآية عند الشافعى اقامت أصلين فى النواقض .

الأول الخارج من السبيلين وهو المشار اليه بقوله أو جاء احد منكم من الغائط فقال المراد به الخروج من السبيلين .

والثانى مس المرأة وألحق به مس الذكر أيضا لكونهما من باب الشهوة فى قوله أو لامستم النساء) فالملامسة عند الشافعية هى لمس المرأة وقد ثبت عنده حديث من مس ذكره فليتوضأ وتفسير الملامسة عند الاحناف هو الجماع .

---

١ ــ صحيح البخارى جـ١ ص٣٩ .
٢ ــ جـ ٦ ص ٤٢ من صحيح البخارى .
٣ ــ فيض البارى ص ٢٧٨ .

والملامسة كما ذهب اليه ابن عباس وعلى وغيرهما واختاره البخارى هى الجماع ولذا لم يوجب من مس المرأة والذكر وضوءا،فالمراد من الملامسة المباشرة بالجماع لأن لفظ الملامسة أصدق على الجماع والمباشرة باللمس وهكذا يجد الباحث أن البخارى يخالف ويوافق جريا وراء اجتهاده وفهمه من النصوص غير مقيد بامام بعينه .

جواز قراءة القرآن للجنب والحائض

قال البخارى : قال ابراهيم لا بأس أن يقرأ الجنب الآيةولم ير ابن عباس بالقراءة للجنب بأسا وكان النبى صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه .

وقال ابن عباس اخبرنى أبو سفيان أن هرقل دعا بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم « يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة » الآية :

فجوز البخارى قراءة القرآن للجنب وخالف فى ذلك جمهور الفقهاء فقد حرموا قراءة شىء من القرآن للجنب لحديث على رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يحجبه عن القرآن شىء ليس الجنابة ورواه أصحاب السنن وصححه الترمذى وغيره .

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح وضعف بعضهم بعض رواته وعن على رضى الله عنه أيضا قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم « توضأ ثم قرأ شيئا من القرآن » . ثم قال هكذا ليس الجنب . قال الشوكانى فان صح هذا صلح للاستدلال به على التحريم أما الحديث الأول فليس فيه ما يدل على التحريم لأن غايته أن النبى صلى الله عليه وسلم ترك القراءة على الجنابة ومثله يصلح متمسكا للكراهه فكيف يستدل به على التحريم .

وقال ابن حجر تعليقا على هذا لم يصح عند البخارى شىء من الأحاديث الواردة فى ذلك « منع الجنب والحائض من القراءة » .

فثبت بذلك أن البخارى لا يلتزم مذهب امام وانما يسير على ضوء فهمه فى الحديث الثابت على شرطه .

من جامع فى نهار رمضان فعليه الكفارة ولا قضاء عليه

قال البخارى (١) : اذا جامع فى رمضان ولم يكن له شيء فتصدق عليه فليكفر حدثنا ابو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال اخبرنى حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل فقال يا رسول الله هلكت قال مالك ؟ قال : وقعت على امرأتى وأنا صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تجد رقبة تعتقها قال : لا — قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال لا — فقال فهل تجد اطعام ستين مسكينا قال لا . فمكث النبى صلى الله عليه وسلم — فبينما نحن على ذلك أتى النبى صلى الله عليه وسلم بعرق فيها تمر « والعرق المكتل » قال : أين السائل ؟ فقال أنا . قال خذها فتصدق به فقال الرجل على أفقر منى يا رسول الله والله مابين لابتيها «يريد الحرتين» أهل بيت أفقر من أهل بيتى؟ فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه ثم قال اطعمه أهلك» فعند الحنفية والشافعية والحنابلة والمالكية (٢) أن الجماع يوجب القضاء والكفارة ودليلهم أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر المجامع فى نهار رمضان بالقضاء والكفارة .

قال الكشميرى : واختار البخارى أن لا قضاء وعليه الكفارة فلما لم يثبت أمر النبى صلى الله عليه وسلم عند البخارى بالقضاء اقتصر على الكفارة .

وقال ابن حجر (٣) والذى يظهر لى أن البخارى أشار بآثاره التى ذكرها الى أن ايجاب القضاء مختلف فيه بين السلف وان الفطر بالجماع

---

١ — صحيح البخارى جـ ٢ ص ٢٩ .
٢ — مذاهب الائمة الاربعة جـ ١ ص ٥٦٠ باب ما يوجب القضاء والكفارة .
٣ — فتح البارى جـ ٤ ص ١٣٠ .

لابد فيه من الكفارة فقال البخاري : باب اذا جامع فى رمضان ويذكر عن أبى هريره رفعه من أفطر يوما من رمضان من غير عذر ولا مرض لم يقضه صيام الدهر . وان صامه وبه قال ابن مسعود وقال سعيد بن المسيب والشعبى وقتاده يقضى يوما مكانه ثم قال البخارى اذا جامع فى رمضان فليكفر قال ابن حجر قول البخارى وبه قال ابن مسعود أى بما دل عليه حديث ابى هريره ، وأثر ابن مسعود وصله البيهقى قال : حدث عبد الله بن مسعود قال من أفطر يوما فى رمضان من غير علة لم يجبره صيام الدهر حتى يلقى الله فان شاء غفر له وان شاء عذبه .

وجاء البخارى مرجحا رأى من قال بالتشديد على من جامع حتى لا يقبل فيه القضاء وهكذا نجد أن البخارى له رأيه ترجيحا وتعليقا حسب فهمه بما ثبت عنده من الأحاديث وبين الكشميرى ان البخارى رجح التشديد فى ذلك استعظاما لحرمة نقض الصيام بالجماع متعمدا فلا ينجبر بالقضاء واما انتفاء الكفارة فلكونها تعذيرا وليس بدلا عن الصوم (١) .

وان الناظر الى ترجمة البخارى يحكم بمذهبه فى الحكم المبوب له .

البخارى وموقفه من الاحناف فى آرائه الفقهية .

والبخارى كما تبين يجتهد لاستنباط الحكم من الحديث وقد يستأنس لرأيه بأقوال الصحابة والتابعين بل يذكرها أحيانا مكتفيا بها ومقتنعا بالموافقة لفهمه من الحديث . ولم يذكر بعض الأئمة الأربعة فى صحيحه الا نادرا للغاية وافق رأيهم أو خالفهم . غير أنه نظرا لتوفر مادة الحديث عنده لم يضطر للاسراف فى الرأى ومن هنا يختلف أحيانا مع آراء أبى حنيفة فيقول عند ذلك « خلافا لبعض الناس » ولم يذكر اسم أبى حنيفة مطلقا فى صحيحه فظن بعض المتعصبين للامام ابى حنيفة أن هذا تجاهلا لأبى حنيفة وتنقيصا من شأن آرائه وليس الأمر كذلك ، وسيرةالبخارى كلها

---

١ ــ الفيض جـ ٢ ص ١٥٩ .

أدب ورقة واحترام لأبطال الاسلام ، وهل يعرف الفضل من الناس الا ذووه ؟ بل انه يفعل ذلك تأدبا وتقديرا لأبى حنيفة ولأن غيره قد يكون مشاركا له فى هذا الرأى الذى اعترض عليه البخارى فعبر بعبارة جامعة وهى « بعض الناس » وكلا الامامين حريص على نشر الاسلام وبث تعاليمه .

وقد كان من جراء ذلك أن ألف بعض الهنود (١) كتابا فى الرد على البخارى سماه «بعض الناس فى دفع الوسواس» وهو اعتراضات على البخارى فيما اعترض به على أبى حنيفة ، وكتاب آخر يسمى « كشف الالتباس عما أورده البخارى على بعض (٢) الناس» ورد على ذلك سلطان الفقهاء والمحدثين مولانا محمد نزير حسين الديلوى فى كتاب سماه « رفع الالتباس عن بعض الناس » (٣) قال فى مقدمته وبعد فقد وقفت فى جزء من هذا الزمان على رسالة وعنوانه « بعض الناس فى دفع الوسواس » وأجيب فيها عما وقع فى الصحيح للامام الهمام المجتهد المطلق محمد بن اسماعيل البخارى رحمه الله تعالى من بعض تعاريضه على الامام أبى حنيفة النعمان الكوفى رحمه الله تعالى بلفظ بعض الناس فنظرت فيها نظرة التأمل فوجدتها جامعة لشتات ما أجاب عنه بعض ناصرى ملة الأحناف من شراح الصحيح ونظاره ولم يأت جامع ذلك الشتات من عند نفسه بشىء يدافع عن مذهبه أو يدارى عن مسلكه غير أنه أفحش وذهب مذهب الاعتساف واعترض على مسلك الانصاف فأردت حسبة له تعالى وذبا عن أوليائه أن أزيل الالتباس عن بعض الناس كى لا يقعوا فى هذا الوسواس .

وجاء مولانا محمد نزير فى كتابه بما يقرب من ست وعشرين مسألة أورد منها بعض الأمثلة :

---

١ ــ موجود بالمكتبة الازهرية طبع الهند تحت رقم ٧٢٠ خصوصية حديث سنة ١٣١١ بالخط الحجرى .

٢ ــ مخطوط بدار الكتب المصرية ولم يعلم مؤلفه طبع الهند .

٣ ــ مخطوط بدار الكتب بالخزانة التيمورية .

الركاز دفن الجاهلية وليس المعدن بركاز

قال الامام البخاري رحمه الله تعالى فى باب الركاز من صحيحه قال مالك وابن ادريس : الركاز دفن الجاهلية فى قليله وكثيره الخمس ليس المعدن بركاز وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى المعدن (1) جبار وفى الركاز الخمس وأخذ عمر بن عبد العزيز رحمه الله من المعادن من كل مائتين خمسة ثم قال بعد ذلك وقال «بعض الناس» المعدن ركاز مثل دفن الجاهلية لانه يقال اركز المعدن اذا أخرج منه شيء قيل له فقد يقال لمن وهب له الشيء أو ربح ربحا كثيرا أو كثر ثمرة اركزت ، ثم ناقضه فقال لا بأس ان يكتمه ولا يؤدي الخمس أ ــ هـ .

وغرضه من كل ذلك ان الركاز هو دفن الجاهلية كما ذهب اليه الجمهور وليس المعدن ركازا فى ذلك الحكم الشرعى المذكور كما ذهب اليه بعض الناس واحتج على ذلك بحديث ابى سلمة عن أبى هريره رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم العجماء جبار والبئر جبار والمعدن جبار وفى الركاز الخمس،وذكر أن عمر بن عبدالعزيز أخذ من المعادن من كل مائتين خمسة تقوية لما ادعاه وتعيينا لما أراده النبى صلى لله عليه وسلم فى الحديث من لفظ الركاز وتأييدا لمذهبه بتعامل الفقهاء العرفاء باللسان العلماء بمراد النبى صلىاللهعليه وسلم،وتفصيله ان النبى قال المعدن جبار وفى الركاز الخمس عطف الركاز على المعدن وفرق بينهما فىالحكمفعلم منهأنالمعدن ليسبركازعند النبى صلى الله عليه وسلم بل هما شيئان متغايران .

ولو كان المعدن ركازا عنده لقال المعدن جبار وفيه الخمس ولما لم يقل ذلك ظهر انه غيره لأن العطف يدل على المغايرة قال الامام الحافظ ابن حجر فى فتح البارى والحجة للجمهور والبخارى التفرقة من النبى صلى الله عليه وسلم بين المعدن والركاز بواو العطف وتغاير الحكم فصح انه غيره ومن هنا تبين قوة حجة البخارى .

---

1 ــ ومعنى فى المعدن جبار يعنى اذا حفر معدنا فى ملكه او فى موات فوقع فيه شخص ومات او استاجره لعمل فى المعدن فهلك لا يضمنه بل دمه هدر وليس المراد انه لا زكاة فيه ، واستدل بفعل عمر بأن حكم هذه فى الزكاة ربع العشر وهو مخالف لحكم الركاز وهو الخمس فى دفن الجاهلية قسطلانى جـ ٣ ص ٨١ .

قبول شهادة القاذف والسارق والزانى بعد التوبة

قال الامام البخارى باب شهادة القاذف والسارق والزانى وقول الله تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا أولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا الآية وجلد عمر أبا بكرة وشبل بن معبد ونافعا بقذف المغيره ثم استتابهم وقال من تاب قبلت شهادته وأجازه عبد الله بن عتبه وعمر بن عبد العزيز وسعيد بن جبير وطاووس ومجاهد والشعبى وعكرمه والزهرى ومحارب ابن دثار ومعاوية بن قره وقال ابو الزناد والأمر عندنا بالمدينة اذا رجع القاذف عن قوله فاستغفر ربه قبلت شهادته وقال الثورى اذا جلد العبد ثم أعتق جازت شهادته واذا استقضى المحدود فقضاياه جائزة . وقال «بعض الناس» لا يجوز شهادة القاذف وان تاب ثم قال لا يجوز نكاح بغير شاهدين فان تزوج بشهادة محدودين جاز وان تزوج بشهادة عبدين لم يجز « وأجاز شهادة المحدود والعبد والأمة لرؤية هلال رمضان » أقول غرضه من ذلك أن شهادة القاذف مقبولة فى الشرع بعد ما تاب كما ذهب اليه الجمهور لا كما قال به «بعض الناس» انها لا تقبل بعد التوبة أيضا واستدل عليه بقوله تعالى : ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا أولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا الآية وبتعامل الفقهاء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مثل عمر رضى الله عنه وعمر بن عبد العزيز وغيرهم من الذين ذكرهم البخارى فانهم كانوا أعلم بكتاب الله وبمراده تعالى بذلك .

لا اسقاط للزكاة بالاحتيال

ومذهب البخارى رحمه الله عدم جواز اسقاط الزكاة قبل تمام الحول بالاحتيال واحتج فى ذلك بأحاديث منها حديث « لا يجمع بين المتفرقة ولا يفرق بين المجتمعةخشيةالصدقة»ومذهب الامام أبى حنيفة فى ذلك انه لا بأس به فلما ثبت عند البخارى أن هذا القول خلاف الأحاديث بينه فى كتاب الحيل فى باب الزكاة بقوله وقال «بعض الناس» فى عشرين ومائة بعير حقتان فان أهلكها متعمدا أو وهبها أو احتال فيها فرارا من الزكاة فلا شيء عليه أ هـ .

قال الامام البخاری فی صحیحه فی کتاب الحیل باب الزکاه وان لا یفرق بین مجتمع ولا یجمع بین متفرق خشیة الصدقة‌ثم قال بعد نقل الأحادیث الواردة فی هذا الباب وقال«بعض الناس»فی‌عشرین‌ومائة بعیر حقتان فان أهلکها متعمدا او وهبها او احتال فیها فرارا من الزکاة فلا شیء علیه أ ــ هـ .

وغرضه من ذلك التعریض بأبی حنیفة رحمه الله انه جوز اســقاط الفرض الذی هو من أرکان الدین بتجویز الحیلة لسقوطه،مع أن النبی صلی الله علیه وسلم صرح بالنهی بقوله لا یفرق بین مجتمع ولا یجمع بین متفرق خشیة الصدقة .

من غصب جاریة فهی حق لصاحبها وان دفع الغاصب قیمتها

قال الامام البخاری رحمه الله فی کتاب البیوع من الحیل باب اذا غصب جاریة رجل فزعم أنها ماتت فقضی بقیمة الجاریة المیتة ثم وجدها صاحبها فهی له . وترد القیمة ولا تکون القیمة ثمنا أ.هـ .

وقال أبو حنیفة : الجاریة للغاصب والقیمة ثمن لا ترد ، فعــرض الامام البخاری وقال : قال«بعض الناس»الجاریة للغاصب‌لاخذه‌القیمة منه وفی هذا احتیال لمن اشتهی جاریة رجل لا یبیعها فغصبها واعتــل بأنها ماتت حتی یأخذ ربها قیمتها فتطیب للغاصب جاریة غیره وحکم النبی یخالف ذلك . قال النبی صلی الله علیه وسلم : أموالکم علیکم حرام ولکل غادر لواء یوم القیامة .

لا ينعقد النكاح بشهادة الزور

قال الامام البخارى فى كتاب الحيل من صحيحه فى باب النكـاح تحت حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسـلم لا تنكح البكر حتى تستأذن ولا الثيب حتى تستأمر فقيل يا رسـول الله كيف اذنها قال اذا سكتت وقال«بعض الناس» ان لم تستأذن البكر ولم تتزوج فاحتال رجل فأقام شاهدين زورا انه تزوجها برضاها وأثبت القاضى نكاحها والزوج يعلم ان الشهادة باطلة فلا بأس أن يطأها وهو تزويج صحيح أ • هـ .

ثم قال بعد ذلك تحت حديث ابى سلمه عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتنكح الايم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن قالوا كيف اذنها قال ان تسكت وقال «بعض الناس» ان احتال انسان بشاهدى زور على تزويج امرأة ثيب بامرها فأثبت القاضى نكاحها اياه والزوج يعلم انه لم يتزوجها قط فانه يسعه هذا النكاح ولا بأس بالمقام له معها أ • هـ .

ثم قال بعد ذلك تحت حديث عائشة رضى الله عنها وقال « بعض الناس»ان هوى انسان جارية ثيبة أو بكرا فأبت فاحتال فجاء بشاهدى زور على أنه تزوجها فأدركت فرضيت اليتيمة فقبل القاضى بشـهادة الزور والزوج يعلم ببطلان ذلك حل له الوطء أ • هـ .

وقال الجميع التعريض على ابى حنيفة رحمه الله بتجويزه النكاح بشهادة الزور وحل الوطء بها مع علم الزوج ببطلانها والاذن لم يثبت والرضا لم يوجد والنصوص ناطقة باشتراط الاستئذان فظهر بهذا وجاهة رأى البخارى . .

جواز انفراد الترجمان الواحد للحاكم

قال البخاري « باب ترجمة الحكام وهل يجوز ترجمان واحد » وذكر حديث زيد بن ثابت رضى الله عنه ثم قال : وقال «بعض الناس» لابد للحاكم من مترجمين واستدل البخارى على مذهبه من جواز ترجمان واحد بترجمة زيد بن ثابت رضى الله عنه وحده للنبى صلى الله عليه وسلم وابى حمزة لابن عباس واعترض على من لم يجوز الاكتفاء على واحد لمخالفته الحديث فقال بعضهم المراد به هو محمد بن الحسن وأبو يوسف وزفر ولم يرد بذلك أبا حنيفة لأن أبا حنيفة يجوز الاكتفاء على واحد وقال الحافظ فى الفتح ونقل الكرابسى عن مالك والشافعى رحمهما الله الاكتفاء بترجمان واحد وعن أبى حنيفة رحمه الله الاكتفاء بواحد وعن أبى يوسف رحمه الله اثنين ونزلهما منزلة الشهادة أ ه .

وهذا يدل على أن الخلاف فى هذه المسألة مع محمد وأبى يوسف وزفر ولم يختلف مع أبى حنيفة فى هذه المسألة .

وقال الدهلوى لاننكر فضائل ابى حنيفة ، كيف وقد أقر الشافعى رحمه الله بنفسه أن الناس فى الفقه عيال لأبى حنيفة وأحاط صيت فضائله المشارق والمغارب ولكن كل ذلك لا يثبت منه العصمة وكما أن وجود فضائله الجمة لا يستلزم عصمته كذلك بعض زلاته لا يجوز اساءة الأدب فى حضرته فانه مجتهد والمجتهد يخطىء ويصيب وقد سلك البخارى مسلك الأدب معه حيث لم يصرح باسمه الشريف وقد قال أبو حنيفة اذا صح الحديث فهو مذهبى ولا شبهة أن الأحاديث لم تدون وتجمع التدوين الكامل والجمع الكامل فى عصره فاحتمل عدم وجدان الحديث وعدم ظهوره للامام حتى خالفه وهذا عذره ولو وقفه على هذه الأحاديث لاتبعها فرضى الله عن الامامين الجليلين .

اعادة البخارى الحديث فى مواضع كتابه

يكرر البخارى الحديث فى مواضعه اللائقة به لأمور هامة تتعلق بالاسناد أو المتن أو هما معا .

من ذلك انه يخرج الحديث عن صحابى ثم يورده عن صحابى آخر ليخرج به عن حد التفرد والغرابة وكذلك يفعل فى أهل الطبقة التالية للصحابة فمن بعدهم الى مشايخه كما يتضح ذلك فى المتابعات .

ومن ذلك أحاديث يرويها بعض الرواة تامة ويرويها بعضهم مختصرة فيوردها كما جاءت تحريا للدقة وليزيل الشبهة عن ناقليها . وليصل المنقطع منها على أصله فيقوى بعضها بعضا ومثال ذلك فى صحيحه .

باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب قاله ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم وهذا تعليق .

ولكنه أسنده فى كتاب الحج فى باب الخطبة أيام منى عن على بن يحيى بن سعيد عن سعيد بن غزوان عن عكرمه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر فقال : أيها الناس أى يوم هذا قالوا يوم حرام وفى آخره «اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت» . قال ابن عباس فوالذى نفسى بيده انها لوصية الى أمتى فليبلغ الشاهد الغائب وذكر الحديث (١) .

وأورد فى هذا الباب حدثنا عبد الله بن يوسف قال حدثنى الليث قال حدثنى سعيد عن ابى شريح انه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث الى مكة ائذن لى أيها الأمير أحدثك قولا قام به النبى صلى الله عليه وسلم .. الخ .. الحديث ذكره مطولا ثم ذكر فى كتاب الحج (٢) باب فضل الحرم باسناد مغاير ومتن مختصر قال حدثنا على بن عبد الله حدثنا جرير بن عبد الحميد عن منصور عن مجاهد

---

١ — كتاب العينى جـ٢ ص ١٣٨ ط المنيرية شرح صحيح البخارى .
٢ — صحيح البخارى جـ ٢ ص ١٢٢ .

عن طاووس عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكه ان هذا البلد حرمه الله لا يعضدشوكهولا ينفر صيده ولا تلتقط لقطته الا من عرفها ، وليس فى هذا الحديثالجزء الذى بوب له فى الباب السابق .

ويشير البخارى بذلك الى أن ترك بعض السند أو المتن اختصارا لا يضر فيزيل الشبهة عن ناقله بذكر الروايتين .

ومنها أحاديث تعارض فيها الوصل والارسال ورجح عنده الوصل واعتمدت وأورد الارسال منبها على أنه لا تأثير له لأنهعندهفىالموصول مثال ذلك ما رواه عن مالك عن يزيد بن رومان (١) .

عن صالح بن خوات عمن صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف وأخرجه من حديث شعبه عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن صالح بن خوات عن سهل بن ابى حشمة وأخرجه من حديث يحيى ابن سعيد عن القاسم عن صالح عن سهل موقوفا قال ابن حجر تعارض الرفع والارسال فى حديث سهل والرفع مشهور عنه .

ومنها أحاديث ذاد فيها بعض الرواة رجلا فى الاسناد ونقصه بعضهم فيوردها على الوجهين حيث يصح عنده أن الراوى سمعه من شيخ حدثه به عن آخر ثم لقى الآخر فحدثه به فكان يرويه على الوجهين مثال ذلك .

حدثنا يحيى بن سليمان قال حدثنا ابن وهب قال حدثنا يونس عن ابن شهاب عن حمزه بن عبد الله انه أخبره عن أبيه قال لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه قيل فى الصلاة فقال مروا أبابكرفليصل بالناس قالت عائشة ان أبا بكر رجل رقيق اذا قرأ غلبه البكاء قال مروه

---

١ ــ مقدمة الفتح جـ ٢ ص ١١٠ .

فيصلى فعاودته قال مروه فيصلى انكن صواحب يوسف،تابعه الزبيدى وابن أخى الزهرى واسحاق بن يحيى الكلبى عن الزهرى وقال عقيل ومعمر عن الزهرى عن حمزة عن النبى صلى الله عليم وسلم .

وقد يورد الحديث لتسمية راو أو التنبيه على زياده فى الرواية ويراعى تقديم الحديث الأولى .

وفى باب هل يجعل للنساء يوم على حدة فى العلم (١) .

قال : « حدثنا آدم قال حدثنا شعبه قال حدثنى ابن الاصبهانى قال سمعت أبا صالح ذكوان يحدث عن ابى سعيد الخدرى قالت النساء للنبى صلى الله عليه وسلم غلبنا عليك الرجال فاجعل لنايومامن نفسك فوعدهن يومالقيهن فيه فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال لهن : ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها الا كان لها حجاب من النار فقالت امرأة واثنين قال واثنين » .

ثم قال حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا غندر عن شعبة عن عبد الرحمن بن الاصبهانى عن ذكوان عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم بهذا (٢) وعن عبد الرحمن بن الاصبهانى قال سمعت أبا حازم عن أبى هريرة قال ثلاثة لم يبلغوا الحنث .

وقصد من هذه الاعادة فائدتين أحدهما تسمية ابن الاصبهانى لأنه كان مبهما فى الحديث الأول وهذه الرواية فسرته وانمالم يصرح باسمه هناك محافظة على لفظ الشيخ وهو من غاية احتياطه حيث وضعه كما سمعه عن شيخه .

والفائدة الثانية التنبيه على زيادة فى طريق أبى هريرة وهى قوله «لم يبلغوا الحنث» .

وقدم الحديث الأول على الثانى لأنه أعلى درجة من الثانى اذ فيه

---

١ ـ العينى جـ ٢ ص ١٢٥ .
٢ ـ العينى جـ ٢ ص ١٢٥ ط المنيرية .

بين شعبة والبخاری رجل واحد وهو آدم بخلاف الثانى فان بينهما رجلين وهما محمد بن بشار وغندر .

وحديث ابی هريرة هذا موصول وليس بتعليق من البخاری كما فهم الكرمانى وقد بين ذلك العينى قال :

وذلك لأن شعبة يرويه عن عبد الرحمن باسنادين :

الاسناد الأول حدثنى محمد بن بشار قال حدثنا غندر قال حدثنا شعبة عن عبد الرحمن بن الاصبهانى عن ذكوان عن ابى سعيد عن النبى عليه السلام . « ما منكن امرأة .. الخ الحديث » أشار الى هذا بقوله بهذا الحديث المذكور .. وتقدير الاسناد الثانى حدثنى محمد بن بشار قال حدثنا غندر قال حدثنا شعبة عن عبد الرحمن بن الاصبهانى قال سمعت ابا حازم عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الحديث بزيادة ثلاثة لم يبلغوا الحلم .

والبخاری لا يعتمد أن يخرج فى كتابه حديثا معادا لجميع الاسناد ومتنه وان كان قد وقع له من ذلك شیء فهو قليل جدا عن غير قصد كما نبه عليه ابن حجر .

وقال النووی رحمه الله (1) لم يقصد البخاری فى كتابه اخراج المسانيد فقط بل أراد التنبيه على المسائل أيضا فلزمه أن يخرجها مكررا فى الأبواب وقلما يورد حديثا فى موضوعين باسناد واحد فمن أراد أن يأخذ حديثا بريئا عن العلل فليأخذه عن البخاری .

وفى مقدمة شرح القسطلانى قال القسطلانى وقد وجدت ورقة بخط الحافظ ابن حجر تعليقا احضرها الى المحدث البدر المشهدى نصها نبذة من الأحاديث التى ذكرها البخار فى موضوعين سندا ومتنا حديث عبد الله بن مغفل رمى انسان بجراب فيه شحم فى آخر الخمس وفى الصيد والذبائح .

---

١ — فيض البارى جـ ١ ص ٤٢ .

حديث فى نحر البدن فى الحج عن سهل بن بكار عن وهب ذكره فى موضوعين متقاربين . وأورد بقية الأحاديث وهى ثلاثة وعشرون بزيادة حديث من ذكر القسطلانى وجده زيادة على ما ذكره ابن حجر .

وأما اقتصار البخارى على بعض المتن فى بعض الأحيان مع عدم ذكر الباقى فى موضوع آخر لا يقع له ذلك فى الغالب الا حيث يكون المحذوف موقوفا على الصحابى وفيه شىء قد يحكم برفعه فيقتصر على الجملة التى يحكم لها بالرفع ويحذف الباقى لأنه لا تعلق له بموضوع كتابه كما وقع له فى حديث هزيل بن شرحبيل عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : ان أهل الاسلام لا يسيبون وان أهل الجاهلية كانوا يسيبون ، هكذا أورده وهو مختصر ، جاء مطولا فى حديث موقوف أوله جاء رجل الى عبد الله بن مسعود فقال انى أعتقت عبدا لى سائبة فمات وترك مالا ولم يدع وارثا . فقال عبد الله ان أهل الاسلام لا يسيبون وان أهل الجاهلية كانوا يسيبون فأنت ولى نعمته فلك ميراثه فان تأثمت وتحرجت فى شىء فنحن نقبله منك ونجعله فى بيت المال فاقتصر البخارى على ما يعطى حكم الرفع من هذا الحديث الموقوف وهو قوله : ان أهل الاسلام لا يسيبون لانه يستدعى بعمومه النقل عن صاحب الشرع لذلك .

واختصر الباقى لأنه ليس من موضوع كتابه .

وهذا كما قال ابن حجر من أخفى المواضع التى وقعت له فى هذا الجنس وبذلك يعلم أن البخارى لا يعيد الا هادفا للفائدة حتى لو لم تظهر لاعادته فائدة من جهة الاسناد ولا من جهة المتن لكانت الفائدة لاعادته من أجل مغايرة الحكم الذى تشتمل عليه الترجمة الثانية موجبا أنه لا يعد مكررا بلا فائدة مع أنه على أى حال هو لا يخلو من الفائدة الاسنادية وهى تعدد الطرق فضلا عن ابراز الأحكام المتعددة .

الدافع للبخارى على التزامه هذا المسلك فى التراجم

ان البخارى رحمه الله قد أورد فى كتابه من الأحاديث الجامعة لجل مقاصد العلم ومن ذلك العقيدة المتمثلة فى الوحى وكتاب الايمان فى أول كتابه وكتاب التوحيد فى آخره والتفسير الرائع بالمأثور من صحاح الأحاديث وفتاوى الصحابة والتابعين المتمثل فى كثير من أبوابه وخاصة فى كتاب التفسير فى صحيحه .

ومن السيرة العطرة الممثلة فى كتاب المغازى ومن الأدب النبوى الرائع الممثل فى كتاب الأدب ومن تعرضه لطرق التلقى فى كتاب العلم وفضله واصلاحات المحدثين الممثلة فى كتاب العلم وفيه جاء بصيغ الأداء مثل باب قول المحدث حدثنا أوأخبرنا وأنبأنا وباب مايذكر فى المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم وباب كتابة العلم ، ويقيمها على أدلة ثابتة من السنة وتعرض لمسائل أصولية يقيمها على أساس متين ميسر من السنة ككتاب ما جاء فى اجازة خبر الواحد ، والى علاقة الكتاب بالسنة والدعوة الى التزامها وأن على موائدهما كل خير كما يتمثل ذلك فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ومن مقاصد الفقه وفروعه وغير ذلك من الأبواب المنبثة فى صحيحه متفرقة متعددة عدد فروع العلم الاسلامى .

واستطاع بمهارته أن ينظمها فى دقة وافية ويبرهن على أن المحدث المتمكن من سنة رسول الله يجد فيها كل درر العلم ويمكن أن يكون من أقصر الطرق وأوفاها — مفسرا لكتاب الله ومؤرخا اسلاميا لسيرة رسول الله ومتكلما عن هدى وبصيرة فى العقيدة وفقيها قانونيا فى أحكام الدين وأخلاقيا مؤدبا بآداب النبوة وأخلاقها .

وغير ذلك من فروع العلم التى تشهد أن من الجهل الصريح أن يفهم المحدث المتمكن أنه بمعزل عن فروع العلم خاصة عن التفسير الذى هو أساس بيانه ، وكيف تقتصر همته فى شىء وهوالمتتبع هدى الرسول الداعى الى الله باذنه والسراج المنير . ومن أجل هذا العموم الجامع فى

صحيح البخارى كان من شروحه ما وصل الى أكثر من أربع وعشرين مجلدا كالكرمانى ومع ذلك سمى البخارى صحيحه مختصرا .

والواقع انه اختصار العارف الموجز فى دقة من غير اخلال وان اختصاره انما هو بالنسبة الى كثرة مقاصده وكيف أورده فى هذا الحجم مع أنه موسوعة علمية جامعة مستوفاة .

ان الذى ساعده على ذلك مقدرته وتفننه بسلكه فى تراجمه فى اعادة الحديث واختصاره وتقطيعه والا لما كفى هذا العدد من الأحاديث التى فيه على كثرتها لأن يوفى هذه الثروة الفريدة العامة الشاملة.

ولو لم ينهج هذا النهج لاحتاج الى مجلدات لا نهاية لها حتى يوفى هذه الكتب والأبواب .

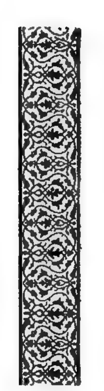
وقد ألزم نفسه باخراج الحديث الصحيح لذاته فى مسنده بل ألزم نفسه ألا يخرج كل صحيح عنده أو عند القوم فى صحيحه فالتزم بخالص الصحيح لذاته وصفوته مشددا على نفسه بالشروط وهذا ما جعله امام المحدثين والمجتهد الفقيه ..

يقول صاحب الفيض (١) ثم ان المصنف رحمه الله العلام لما شدد فى شروط الأحاديث حتى أغمض عما حسبه حسنا بل صحيحا أيضا قلت ذخيرة الحديث فى كتابه ثم لما أراد أن يتمسك منها على جملة أبواب الفقه اضطر الى التكرار والتوسع فى وجوه الاستدلال وذلك من كمال بداعته ومن لا دراية له بغوامضه ولا ذوق له فى علومه فيتعجب من صحيحه ولا يدرى أن التوسع فيه من أجل تضييقه على نفسه فى مادة الأحاديث فيستدل بالايماءات ويكتفى بالايماضات .

أعيا فحول العلم حل رموز ما   أبداه فى الأبواب من أسرار

---

١ - فيض البارى جـ ١ ص ٤٠ .



الباب الخامس

نقد المتقدمين لحديث البخاري

نقد المتقدمين لبعض أحاديث صحيح البخارى

ومنذ أن ألف الجامع الصحيح للبخارى اتجهت الهمم اليه وأصبح قبلة المحدثين وأئمتهم وقد شهد له فى عصره بالصحة .

وحسبك شهادة الأئمة على بن المدينى واحمد بن حنبل ويحيى بن معين وتقدير أئمة العلماء له كما تقدم ، وأصبح كتابه قبلتهم ووردهم المورود،ومن الأئمة من دعتهم همتهم العالية وعنايتهم به بعد وفاة البخارى الى تطبيق أحاديثه على ما التزمه البخارى فى صحيحه وما بدا لهم فى أحاديثه انه لم يوافق شرطه تناولوه بالنقد .

وكان من أعلام هذا الميدان الامام الحافظ ابو الحسين على بن عمر بن احمد الدارقطنى المتوفى سنة ٣٨٥ هـ .

ووجه نقده الى أحاديث انفرد بها البخارى وبعضها اتفق فيها معه الامام مسلم بن الحجاج .

وكذلك كان من النقاد أبو مسعود الدمشقى وأبو على الغسانى قال الامـــام النووى محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى الخزامى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ فى مقدمة (١) شرحه للامام مسلم .

قد استدرك على البخـــارى ومسلم أحاديث أخلا بشرطهما فيها ونزلت عن درجة ما التزماه ،فقد ألف الامام الحافظ أبو الحسن على بن عمر الدارقطنى فى بيان ذلك كتابه المسمى بالاستدراكات والتتبع وذلك فى مائتى حديث مما فى الكتابين .

---

١ ــ شرح النووى جـ١ صفحة٢٧ .

ولأبى مسعود الدمشقى أيضا عليهما استدراك ولأبى على الغسانى الجيانى فى كتابه تقييد المهمل فى جزء العلل منه استدراك أكثره على الرواة عندهما قال النووى وقد أجيب عن كل ذلك أو أكثره.وفى مقدمة شرحه للبخارى (١) قال قد استدرك الدارقطنى على البخارى أحاديث وطعن فى بعضها وذلك الطعن الذى ذكره فاسد مبنى على قواعد لبعض المحدثين ضعيفة جدا مخالفة لما عليه الجمهور من أهل الفقه والأصول ولقواعد الأدلة فلا تغتر بذلك . ا . هـ

وهذه شهادة الامام النووى رجل السنة وأصولها شارح صحيح مسلم والبخارى وصاحب كتاب التقريب فى أصول قواعد الحديث ، وقد وضع ابن حجر قاعدة أصلية عامة فى الرد على النقاد اعتبرها الجواب الاجمالى المقنع فى الرد على كل ما انتقد على البخارى ومسلم . ومن الأئمة المذكورين الدارقطنى وأبو مسعود الغسانى وغيرهم .

ولا يوفق المجيب .

وفى جواب ابن حجر الاجمالى يتوفر الرد على نقد كل معترض مع ملاحظة أن عدم التوفيق فى الاجابة فرضا . فى بعض نقاط الاعتراض لا يكون مسوغا للتسليم بالنقد لأنه من الممكن أن يخطىء المعترض ولا يوفق المجيب .

ولو كان الاعتراض فى حال حياة البخارى ووجه اليه لكان ملزما عند عدم الاجابة عليه وأنت ترى أنه لو لم يوفق الله ابن حجر وأمثاله فى قوتهم العلمية لما كان من المعلوم الاجابة على نقد النقاد رغم عدم وجاهتها وعدم ثبوتها فى الواقع .

على ان ابن حجر قد وفى ووفق فى الاجابة وأنصف فى تقديم الدليل الاجمالى ردا على كل نقد موجه للشيخين ثم أعقب ذلك تأكيدا وتبيانا بالأدلة التفصيلية ، ثم تتبع الأحاديث حديثا حديثا بالرد عليه وهى مائة وعشرة .

---

١ ــ شرح النووى جـ ١ ص ١١ .

على انه من الطريف الذى لا يدع مجالا لمعترض أنه قد أثبت ابن حجر أن جميع ما اعترض على البخارى به قدحاء وورد من طرق أخرى صحيحة غير معترض عليها وبذلك قد بين أن قيمة هذا النقد لا تمس صحة المتن حيث أنه قد ورد بأسانيد أخرى صحيحة .

وقال الحافظ ابن حجر فى الكلام فيما أعل من الأحاديث المسندات.

وعدة ما اجتمع لنا من ذلك مما فى كتاب البخارى وأن شاركه مسلم فى بعضها مائة وعشرة أحاديث منها ما وافقه مسلم على تخريجه وهو اثنان وثلاثون حديثا .

ومنها ما انفرد بتخريجه وهو ثمانية وسبعون حديثا .

الجواب الاجمالى

والجواب عنه على سبيل الاجمال أن نقول لا ريب فى تقديم البخارى ثم مسلم على أهل عصرهما ومن بعده من أئمة هذا الفن فى معرفة الصحيح والعلل فانهم لا يختلفون فى أن على بن المدينى كان أعلم أقرانه بعلل الحديث . وعنه أخذ البخارى ذلك حتى كان يقول ما استصغرت نفسى عند أحد الا عند على بن المدينى . ومع ذلك فكان على بن المدينى اذا بلغه ذلك عن البخارى يقول دعوا قوله فانه ما رأى مثل نفسه . وكان محمد بن يحيى الذهلى أعلم أهل عصره بعلل حديث الزهرى وقد استفاد منه ذلك الشيخان جميعا .

وروى الفربرى عن البخارى قال ما أدخلت فى الصحيح حديثا الا بعد أن استخرت الله تعالى وتيقنت صحته .

وقال مكى بن عبد الله سمعت مسلم بن الحجاج يقول عرضت كتابى هذا على ابى زرعة الرازى فكل ما أشار أن له علة تركته .

فاذا عرف وتقرر أنهما لا يخرجان من الحديث الا مالا علة له أو له عله الا أنها غير مؤثرة عندهما .

فبقدير توجيه كلام من انتقد عليهما يكون قوله معارضا

لتصحيحهما . ولا ريب فى تقديمهما فى ذلك على غيرهما فيندفع الاعتراض من حيث الجملة .

الاجابة التفصيلية وامثلتها

وأما من حيث الاجابة التفصيلية فيحتاج الأمر الى تقسيم الأحاديث المنتقدة أقساما حسب مقاييس المنتقدين فقسمها الى ستة أقسام ثم تتبع الأحاديث حديثا حديثا بالرد عليه وسأكتفى بالتقسيم التفصيلى مع استخلاص التمثيل لكل قسم من الأحاديث المنتقدة .

القسم الأول :

أ ــ (١) ما يختلف الرواة فيه بالزيادة والنقص من رجال الاسناد ، فان خرج صاحب الصحيح الطريق المزيدة وعلله الناقد بالطريق الناقصة فهو تعليل مردود كما صرح به الدارقطنى .

مثاله (٢) :

قال الدارقطنى : واخرجا جميعا حديث ابن جريج عن الزهرى عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه وعمه عبيد الله بن كعب عن كعب بأن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قدم من سفر ضحى بدأ بالمسجد ، الحديث وقد خالفه معمر فقال عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه وقال عقيل عن الزهرى عن ابر كعب عن أبيه وهو يشبه رواية معمر . قال : الدارقطنى ورواية ابن جريج أصح ولا يضره من خالفه قال ابن حجر قول معمر وغيره عن عبد الرحمن بن كعب يحمل على أنه نسبة الى جده فتكون روايتهم منقطعة ، وهذا الجواب صحيح من الدارقطنى فى أن الاختلاف فى مثل هذا لا يضر كما قرر .

لأن الراوى (٣) ان كان سمعه فالزيادة لا تضر لأنه قد يكون سمعه

١ ــ المقدمة صفحة ٨١ من كتاب الجهاد .
٢ ــ المقدمة صفحة ٩٥ من كتاب الجهاد .
٣ ــ المقدمة صفحة ٨١ من كتاب الجهاد .

بواسطة عن شيخه فى الطريق الزائدة ثم لقيه فسمعه منه مباشرة. وان كان لم يسمعه فى الطريق الناقصة فهو منقطع والمنقطع من قسم الضعيف لا يعل الصحيح مثاله :

قال الدارقطنى وأخرجا جميعا حديث يحيى بن سعيد القطان عن عبيد الله بن عمر عن سعيد المقبرى عن أبيه عن ابى هريرة رضى الله عنه فى قصة المسىء صلاته وقول النبى صلى الله عليه وسلم له ارجع فصل فانك لم تصل ، وقد خالفه يحيى القطان أصحاب عبيد الله كلهم منهم أبو أسامة وعبد الله بن نمير وعيسى بن يونس وغيرهم فرووه عن عبيد الله عن سعيد عن أبى هريرة لم يذكروا اباه . ويحيى حافظ ويشبه أن يكون عبيد الله حدث به على الوجهين والله أعلم . قال ابن حجر ورجح الترمذى رواية يحيى القطان .

وان أخرج صاحب الصحيح الطريق الناقصة وعلله الناقد بالطريق المزيدة تضمن اعتراضه دعوى انقطاع فيما صححه المصنف .

فينظر ـــ ان كان ذلك الراوى صحابيا ـــ أو ثقة غير مدلس قد أدرك من روى عنه ادراكا بينا او صرح بالسماع ان كان مدلسا من طريق اخرى فان وجد ذلك اندفع الاعتراض بذلك، وان لم يوجد وكان الانقطاع فيه ظاهرا فمحصل الجواب عن صاحب الصحيح انه انما أخرج مثل ذلك فى باب ماله متابع وعاضد أو ما حفته قرينة فى الجملة تقويه ويكون التصحيح وقع من حيث المجموع .

مثال ذلك (1) :

قال الدارقطنى : أخرج البخارى حديث ابى مروان عن هشام بن عروة عن أبيه عن أم سلمه : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لها اذا صليت الصبح فطوفى على بعيرك والناس يصلون الحديث ، هذا منقطع وقد وصله حفص بن غياث عن هشام عن أبيه عن زينب عن أم سلمة ،

1 ـــ المقدمة صفحة 91 من كتاب الجهاد .

ووصله مالك عن أبى الأسود عن عروة كذلك فى الموطأ قال ابن حجر حديث مالك عند البخارى فى هذا المكان مقرون بحديث ابى مروان . وقد وقع فى بعض النسخ وهى رواية الاصيلى فى هذا عن هشام عن أبيه عن زينب عن ام سلمة موصولا وعلى هذا اعتمد المزى فى الأطراف ولكن معظم الروايات على اسقاط زينب قال ابو على الجيانى وهو الصحيح ، ثم ساقه من ريق ابى على بن السكن عن على بن عبد اللهبن مبشر عن محمد بن حرب شيخالبخارى فيه على الموافقة وليس فيهزينب وكذا أخرجه الاسماعيلى من حديث عبده بن سليمان . ومحاضر وحسان ابن ابراهيم كلهم عن هشام ليس فيه زينب وهو المحفوظ من حديث هشام وانما اعتمد البخارى فيه رواية مالك التى أثبت فيها ذكر زينب ثم ساق معها رواية هشام التى سقطت منها ، حاكيا للخلاف فيه على عروة كعادته مع أن سماع عروة من أم سلمة ليس بمستبعد .

(ب) وربما علل بعض النقاد أحاديث ادعى فيها الانقطاع لكونها غير مسموعة . كما فى الأحاديث المروية بالمكاتبة والاجازة وهذا لا يلزم منه الانقطاع عند من يسوغ الرواية بالاجازة بل تخريج صاحب الصحيح لمثل ذلك دليل على صحة الرواية بالاجازة عنده .

مثاله (١) :

قال الدارقطنى : واخرجا جميعا حديث موسى بن عقبة عن أبى النضر مولى عمر بن عبد الله قال كتب اليه عبد اللهبن أبى أوفى ، فقرأته أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تمنوالقاء العدوواذا لقيتموه فاصبروا « الحديث » قال وابو النضر لم يسمع من ابن أبى أوفى وانما رواه عن كتابه فهو حجة فى رواية المكاتبة .

قال ابن حجر فلا علة فيه لكنه ينبىء على أن شرط المكاتبة هل هو من الكاتب الى المكتوب فقط أم كل من عرف الخط روى به وان لم يكن مقصودا بالكتابة اليه .

---

١ ــ صفحة ٩٣ من كتاب الجهاد .

الأول هو المتبادر الى الفهم من المصطلح .. واما الثانى فهوعندهم من صور الوجادة،لكن يمكن ان يقال هنا ان رواية ابىالنضرهنا تكون من مولاه عمر بن عبيد الله عن كتاب ابن أبي أوفى اليه.ويكون أخذه كذلك عن مولاه عرضا لأنه قرأه عليه لأنه كان كاتبه فتصير والحالة هذه. من الرواية بالمكاتبة كما قال الدارقطني والله أعلم .

القسم الثانى :

ما تختلف الرواية فيه بتغيير رجال بعض الاسناد . فالجواب عنه ان أمكن الجمع بأن يكون الحديث عند ذلك الراوى على الوجهين جميعا فاخرجهما المنصف ولميقتصر على احداهماحيث يكون المختلفون فى ذلك متعادلين فى الحفظ والعدد مثاله (١) .

قال الدارقطنى أخرج البخارى من حديث اسرائيل عن الأعمش ومنصور جميعا عن ابراهيم عن علقمه عن عبد الله قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غار فنزلت والمرسلات الحديث ولم يتابع اسرائيل عن الأعمش عن علقمه أما منصور فتابعه شيبان عنهوكذا رواه مغيرةعن ابراهيم .

قال ابن حجر وقد حكى البخارى الخلاف فيه وهو تعليل لا يضر. ا هـ .

ويجمل أن أبين ما حكاه البخارى قال حدثنى محمود حدثنا عبيد الله عن اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبيد الله رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزلت عليه والمرسلات وانا لنتلقاها من فيه فخرجت حية فابتدرناها فسبقتنا فدخلت جحرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيت شركم كما وقيتم شرها حدثنا عبده بن عبدالله أخبرنايحيىبن آدم عن اسرائيلعنمنصور بهذا وعن اسرائيل عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله مثله وتابعه أسود بن عامر عن اسرائيل وقال حفص أبو معاوية وسليمان بن قرم عن الأعمش عن ابراهيم عن الأسود قال يحيى بن حماد أخبرنا

---

١ ــ المقدمة ص ٩٦ .

أبو عوانه عن مغيرة عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله وقالبن اسحاق عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عبد الله حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن ابراهيم عن الأسود قال . قال عبد الله بينما نحن مع النبي الحديث .

وان امتنع بأن يكـــون المختـــلفون غير متعـــادلين بل متقاربين في الحفظ والعدد فيخرج المصنف الطريق الراجحة ويعرض عن الطريق المرجوحة أو يشير اليها فالتعليل بجميع ذلك من أجل مجرد الاختلاف غير قادح اذ لا يلزمه من مجرد الاخلاف اضطراب يوجب الضعف فينبغي الاعلام أيضا فيما هذا سبيله .

مثـــاله (١) قال الدارقطني أخرج مســـلم حديث الأشـــج عن أبي خالد عن الأعمش عن الحـــكم ومســـلم البطـــين وسـلمه ابن كهيل عن سعيد وعطاء ومجاهد عن أبن عباس أن امــرأة زعمت أن أختها ماتت وعليها صوم الحديث قال . وقال البخاري ويذكر عن ابي خالد فذكره قال الدارقطني وخالفه جماعة منهم شعبة وزائده وابن نمير وابو معاوية وجرير وغير واحد عن الأعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير عن بن عباس وبين زائده في روايته من أين دخل الوهم على أبي خالد فقال في آخر الحديث فقال الحكم ومسلمه بن كهيل وكانا عند مسلم حين حدث بهذا الحديث ونحن سمعناه من مجاهد عن ابن عباس قال ابن حجر قلت قد أوضحت هذه الطريق في كتابي تغليق التعـليق وتبينت أنه لا يلحق الشيخين في ذكرها لطريق أبي خالد لوم لأن البخاري علقه بصيغة يشير الى وهمه فيه واما مسلم فأخرجه مقتصرا على اسناده دون سياق متنه .

القسم الثالث(٢) :

ما تفرد بعض الرواة فيه دون من هو أكثر عددا أو أضبط ممن لم يذكرها فهذا لا يؤثر التعليل به الا ان كانت الزيادة منافية بحيث يتعذر

---

١ ــ المقدمة ص ٩١ .

٢ ــ مقدمة فتح الباري جـ ٢ ص ٨٢ .

الجمــع اما ان كانت الزيادة لا منــافاة فيها بحيث تكون كالحديث المستقل فلا .

اللهم الا ان وضح بالدلائل القوية أن تلك الزيادة مدرجة فى المتن من كلام بعض رواته فما كان من هذا القسم فهو مؤثر مثاله (١) قال الدارقطنى واخرجا جميعا حديث قتادة عن النضربن أنس عن بشير بن نهيك عن أبى هريرة من أعتق شقيصا (٢) وذكر فيه الاســتسعاء من حديث بن ابى عروبة وجرير بن حازم وقد روى هذا الحديث شــعبة وهشام وهما أثبت الناس فى قتادة فلم يذكرا فى الحديث الاستسعاء ووافقهما همام وفصل الاستسعاء من الحديث فجعله من رأى قتــادة لا من رواية أبى هريرة قال المقبرى عن همام وقال أبو مسعود حديث همام عندى حسن وعندى انه لم يقع للشيخين ولو وقع لهما لحكم بقبوله وتابعه معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة وكذا رواه ابو عامر عن هشام قال الدارقطنى وهذا أولى بالصواب من حديث أبى عروبة وجرير بن حازم قال ابن حجر وقد اختلفت فيه على همام وعلى هشام ولم يفصح بالاجابة ابن حجر وجاء بها العينى وحكى العينى (٣) احتجاج أبى حنيفة بما رواه البخارى من الاستسعاء قال احتج ابو حنيفة بما رواه البخارى من أعتق شقصا له فى مملوك فخلاصه عليه فى ماله ان كان له مال والا قوم عليه واستسعى به غير مشقوق أى لا يشدد عليه ورواه مســلم أيضا وقال ابن حزم على ثبوت الاستسعاء ثلاثون صحابيا .

وقد رواه البخارى عن مسدد عن يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة وتابعه حجاج بن حجاج وابان وموسى بن خلف عن قتادة أى تابع سعيد ابن أبى عروبة فى روايته عن قتادة حجاج .

قال العينى : أراد البخارى بذكر متابعة هؤلاء الرد على من زعم ان الاستسعاء فى هذا الحديث غير محفوظ بل مدرج وان سعيد بن ابى

---

١ ــ الحديث رقم ٢٤ من ٩٣ من الشرب فى كتاب البيوع من مقدمة الفتح .

٢ ــ شقيصا ــ نصيبا .

٣ ــ شرح البخارى للعينى جـ ٥ ص ١٧٥ .

عروبة تفرد به فاستظهر له بمتابعته هؤلاء المـذكورين وكذلك رواه حجاج بن ارطاة عن قتـادة كما أخرجها الطحاوى وأخرج رواية ابان أبو داود ورواهالنسائى برواية الطحاوى وبرواية موسىبنخلفأخرجه الخطيب فى كتاب الفصل والوصل وكل ذلك بذكر الاستسماع فلا وجه للاعتراض .

القسم الرابع :

ما تفرد به بعض الرواة ممن ضعف من الرواة وليس فى الجـامع الصحيح للبخارى من هذا القبيل غير حديثين وتبين أن كلا منهما قد توبع وهما .

الأول ، قال الدارقطنى (١) وأخرج البخـــارى حديث أبى بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال : كان للنبى صلى الله عليه وسلم فرس يقال له اللحيف قال وابى هذا ضعيف وترجم له ابن حجر فى الرجال(٢)قال ابى بنعباس بنسهل بنسعدالساعدى الانصارى المدنى ضعفه احمد وابن نعيم وقال النسائى ليس بالقوى قال ابن حجر له عند البخارى حديث واحد فى ذكر خيل النبى صلى الله عليه وسلم وهو الحديث المذكور الذى معنا وقد تابعه عليه أخوه عبد المهيمن بن العباس وروى له الترمذى وابن ماجه فاندفع الاعتراض عليه .

الحديث الثانى :

قال الدارقطنى (٣) ووجده ابن حجر بخطه أخرج البخارى حديث اسماعيل بن أبى اويس عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيـه ان عمر رضى الله عنه استعمل مولى يدعى هنيا . على الخمس الحديث بطوله قال واسماعيل ضعيف قال ابن حجر (٤) وروينا فى مناقب البخـارى بسند صحيح ان اسماعيل أخرج للبخارى أصوله وأذن له أن ينتقى منها وأن يعلم ما يحدث به ليحدث به ويعرض عما سواه وهو مشعر

١ ـ شرح البخارى للعينى جـ ٥ ص ١٧٥ .
٢ ـ العينى جـ ٥ ص ٢١٠ .
٣ ـ المقدمة ص ٩٤ كتاب الجهاد .
٤ ـ ص ١١٥ من المقدمة .

بأن ما خرجه البخاری عنه هو من صحيح حديثه لأنه كتب من أصوله وعلى هذا لا يحتج بشيء من حديثه غير ما فى الصحيح من أجل ماقدح فيه النسائی وغيره الا أن يشاركه فيه غيره فيعتبر به ، على انه لم ينفرد بهذا الحديث كما ظن الداقطنى بل تابعه عليه معن بن عيسى فراوه عن مالك كرواية اسماعيل سواء فاندفع به الاعتراض .

وبهذا ثبت أن كل ما انتقد على البخارى فضلا عن رده انه ما من حديث الا وقد ورد من طريق آخر فثبتت صحة المتون كلها .

القسم الخامس :

ما اختلف فيه بتغيير بعض ألفاظ المتن فهذا أكثره لا يترتب عليه قدح لأمكان الجمع فيما اختلف من ذلك أو الترجيح . مثاله[1] حدثنا ابو نعيم حدثنا زكريا قال سمعت عامرا يقول:حدثنى جابر انه كان يسير على جمل له قد اعيا فمر النبى صلى الله عليه وسلم فضربه فدعا له فسار سيرا ليس يسير مثله ثم قال بعنيه باوقيه قلت لاثم قال بعنيه باوقيه فاستثنيت حملانه الى أهلى فلما قدمنا أتيته بالجمل ونقدنى ثمنه ثم انصرفت فأرسل على أثرى . وقال عبيد الله وابن اسحاق عن وهب عن جابر اشتراه النبى صلى الله عليه وسلم باوقيه وتابعه زيد بن أسلم عن جابر وقال ابن جريج عن عطاء وغيره عن جابر أخذته بأربعة دنانير وهذا يكون باوقيه على حساب الدينار بعشرة دراهم ، ولم يبين الثمن مغيره عن الشعبى عن جابر وابن المنكدر وابو الزبير عن جابر وقال الأعمش عن سالم عن جابر اوقيه ذهب وقال اسحاق عن سالم عن جابر بمائتى درهم وقال داود بن قيس عن عبد الله بن مقسم عن جابر اشتراه بطريق تبوك احسبه قال بأربع اواق عن جابر اشتراه بعشرين دينارا وقال الشعبى باوقيه أكثر،والاشتراط أكثر وأصح عندى قال «أبو عبد الله» وهذا تعبير البخارى يريد نفسه أو حكاية عنه من الراوى وقال ابن

---

١ ــ شرح فتح البارى جـ٥ ص١٦٨ باب اذا اشترط البائع ظهر الدابة الى مكان مسمى جاز .

حجر فى شرحه (1) قوله قال أبو عبد الله هو المصنف الاشتراط أكثر وأصح عندى أى أكثر طرقا وأصح مخرجا وأشار بذلك الى أن الرواة اختلفوا عن جابر فى هذه الواقعة هل وقع الشرط فى العقد عند البيع أو كان ركوبه للجمل بعد بيعه اباحة من النبى صلى الله عليه وسلم بعد شرائه عن طريق العارية .

والحاصل أن الذين ذكروه بصيغة الاشتراط أكثر عددا من الذين خالفوه وهذا وجه من وجوه الترجيح فيكون أصح ويترجح أيضا بأن الذين رووه بصيغة الاشتراط معهم زيادة وهم حفاظ فتكون حجة وليست رواية من لم يذكر الاشتراط منافية لرواية من ذكر لأن قوله لك ظهره وأفقرناك ظهره وتبلغ عليه لا يمنعه وقوع الاشتراء قبل ذلك وقد رواه عن جابر بمعنى الاشتراط ايضا أبو المتوكل عند احمد ولفظه بمعنى ولك ظهره الى المدينة ولكن أخرجه المصنف فى الجهاد من طريق أخرى عن ابى المتوكل فلم يتعرض للشرط اثباتا ولا نفيا ورواه احمد من هذا الوجه بلفظ أتبيعنى جملك قلت نعم قال أقدم عليه المدينة .

قوله وقول الشعبى باوقية أكثر أى موافقة لغيره من الأقوال وقد جمع عياض وغيره بين هذه الروايات فقال سبب الاختلاف انهم رووا بالمعنى والمراد اوقيه الذهب والاربع اواق والخمس بقدر ثمن الاوقية الذهب والاربعة دنانير مع العشرين دينار محمولة على اختلاف الوزن والعدد وكذلك رواية الاربعين درهما مع المائتى درهم قال وكان الاخبار بالفضة عن ما وقع عليه العقد وبالذهب عما حصل به الوفاء أو بالعكس أ ه .

قال القرطبى اختلفوا فى ثمن الجمل اختلافا لا يقبله التلفيق وتكلف ذلك بعيد عن التحقيق وهو مبنى على أمر لم يصح نقله ولا استقام ضبطه مع انه لا يتعلق بتحقيق ذلك حكم وانما تحصل من مجموع الروايات انه باعه البعير بثمن معلوم بينهما وزاده عند الوفاء زيادة معلومة ولا يضر عدم العلم بتحقيق ذلك .

---

1 ـ فتح البارى .

قال الاسماعيلى ليس اختلافهم فى قدر الثمن بضار ، لأن الغرض الذى سبق الحديث لأجله بيان كرمه صلى الله عليه وسلم وتواضعه وحنوه على أصحابه وبركة دعائه وغير ذلك ولا يلزم من وهم بعضهم فى قدر الثمن توهينه لأصل الحديث قال الحافظ ابن حجر وما جنح اليه البخارى من الترجيح أقعد وبالرجوع الى التحقيق أسعد فليعتمد ذلك وبالله التوفيق .

فالبخارى هنا قد عرض الروايات وبين قيمتها وصرح برأيه فأى ضير فى ذلك ؟.

وفى هذا ومثله فقط وقع النقد فى المتن عند المتقدمين ولهذا القدر فقط كان القول بعدم لزوم حجة الاسناد لصحة المتن ومقياسهم فى ذلك مخالفة اللفظ لما رواه الثقات فأخذ من هنا نقاد العصر الحديث نقد المتن فى أصل الحديث مع صحة السند وقاسوه على مقاييسهم الزائفة ورموا المتقدمين بعدم نقد المتن .

وهكذا نجد أنه لم يثبت الضعيف الفرد فى صحيح البخارى وأن وجد فيه المضعف الذى انتقد عليه وقد رد هذا النقد وظهر صحة الحديث فى طريقه المنتقد وتعضيده بطريق آخر صحيح لا نقد فيه وأن ما وجه اليه من ناحية النقد فى المتن من حيث الادراج من الرواه وعدمه قد بينه البخارى وذكر رأيه فيه فلا اعتراض عليه فثبت بذلك صحة متونه .

وقد انتهى ابن حجر بعد الدراسة والتحليل منبها فى الفصل الثامن فى المقدمة على ما بدأ به من أن ما انتقد عليه وان لم يقدح فى أصل موضوع الكتاب فان جميعها ورد من جهة أخرى صحيحة لا نقد عليها

ومما يؤيد صحة متن البخارى وأن عدم نقدمتنه انما هو لعدم وجود ما ينقد فيه من المتن قول الكشميرى (١) :

---

١ ــ فيض البارى جـ١ ص٣٤ .

ثم ان الدارقطنى تتبع على البخارى فى آزيد من مائة موضوع لم يستطع أن يتكلم الا فى الأسانيد بالوصل والارسال غير موضع واحد وهو اذا جاء أحدكم والامام يخطب فليصل ركعتين وليتجوز فيهما فأنه تكلم فيه مما يتعلق بحال المتن .

ووجهه ان الدارقطنى يمشى على القواقد الممهدة عندهم فينازعه من القواعد . وشأن البخارى أرفع من ذلك فانه يمشى على اجتهاده وينظر الى خصوص المقام وشهادة الوجدان وانما القواعد لغير الممارس على حد التحديد للعوام فيما لم يرد به التحديد من الشارع ، أ . هـ . ولما كان هذا الحديث الوحيد الذى تصدر له الدارقطنى بالنقد من حيث المتن فأبين موضع نقده وانه لا يتصل بأصل الحديث كما جاء به ورد نقده ابن حجر .

قال الدارقطنى (٢) وآخرجا جميعا البخارى ومسلم حديث شعبة عن عمرو عن جابر اذا جاء أحدكم والامام يخطب فليصل ركعتين وقد رواه ابن جريج وابن عينية وحماد بن زيد وأيوب وورقاء وحبيب بن يحيى كلهم عن عمرو بأن رجلا دخل المسجد فقال له : صليت الحديث .

وقد رد ابن حجر قال : هذا يوهم أن هؤلاء أرسلوه وليس كذلك فقد أخرجه الشيخان من رواية حماد بن زيد وسفيان بن عيينه،ومسلم من حديث أيوب وابن جريج كلهم عن عمرو بن دينار موصولا وانما أراد الدارقطنى أن شعبة خالف هؤلاء الجماعة فى سياق المتن واختصره وهم انما أوردوه على حكاية قصة الداخل وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بصلاة ركعتين والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب وهى قصة محتملة للخصوص .

وسياق شعبه يقتضى العموم فى حق كل داخل فهى مع اختصارها أزيد من رواياتهم وليست بشاذة فقد تابعه على ذلك روح بن القاسم

---

٢ ـ المقدمة جـ٢ ص٨٨ .

عن عمرو بن دينار أخرجه الداقطنى فى السنن فهذا يدل على أن عمرو ابن دينار حدث به على الوجهين والله أعلم .

نقد الرجال وقيمته

وقد توجه النقد الى ما حكم فيه بالوهم (١) على بعض الرجال ، وهذا منه ما يؤثر ذلك الوهم قدحا ومنه مالا يؤثر .

والمرادبالتأثير انماهوفىقيمة الرجالوالحكمعليهموان كانذلكلا يؤثر فى متن الحديث كما تقدم بالنسبة للامثلة التى ذكرت فى القسم الرابع وقد علمنا انه لم ينفرد الرواه الضعفاء بالحديث فى صحيح البخارى الا فى حديثين .

وقد تبين أن كلا منهما قد توبع ومعنى ذلك انه ثبت انه لم ينفرد ضعيف بالحديث فعلى فرض ثبوت ضعف الراوى لم يتأثر المتن الذى ثبت انه قد روى من طرق أخرى صحيحة غير الطريق الذى توهم فيه الضعيف لمتابعته من طريق صحيح وهذا ما بينه ابن حجر . فقال : بعد أو أورد الرجال الذين ورد فيهم طعن (٢) : فجميع من ذكر فى هـذين الفصلين ممن احتج به البخارى لا يلحقه فى ذلك عيب لما فسرناه واما من عدا من ذكر فيهما ممن وصف بسوء الضبط أو الوهم أو الغلط ونحو ذلك وهو القسم الثالث فبين أيضا أنه لم يلحقه عيب قال : فلم يخرج لهم الا ما توبعوا عليه عنده أو عند غيره وقد شرحنا من ذلك ما فيه كفاية والله الموفق الى سبيل الرشاد ونفع الله بجميع ذلك بمنه وكرمه .

وبذلك فقد أصبحت قيمة النقد فى الرجال انما هى بالنســبة الى الحكم عليهم والتعريف بهم وسلم المتن لمجيئه من طريق آخر صحيح وان قيمة السند كما هى لصحة الحديث .

---

١ ــ المقدمة جـ ٢ ص ٨٢ .

٢ ــ المقدمة جـ ٢ ص ١٨٣ .

هى أيضا للبركة بالاسناد المتصل الى صاحب السنة حتى تتصل الروحانية النبوية فى سلسلة كريمة عاطرة الى راوى الحديث وقارئه وهذا مما اختصت به الأمة الاسلامية فى حفظ تراثها حيا نابضا بالحياة وهى احدى الحكم التى عدت فى اعجام أوائل السور حتى لا يستطيع انسان أن يقرأها بدون شيخ حتى يتأكد المتلقى أن النقل من شيخ الى ما فوقه كان بالمشافهة باتصال روحى تلقاه مقرىء عن مقرىء حتى فم النبى صلى الله عليه وسلم المعطر الذى تلقاه من جبريل عن رب العزة سلسلة مباركة مطهرة يتجلى فيها الروحانية والبركة .

مقاييس الطعن فى الرجال

ونرتاد الى رياض ابن حجر فى مقاييس نقد الرجال ومدارها وقيمة رجال الصحيح .

قال ابن حجر (١) لا يقبل الطعن فى أحد منهم « أى من رجال الصحيحين » الا بقادح واضح لأن أسباب الجرح مختلفة .

ومدارها على خمسة أشياء :

١ ــ البدعة .

٢ ــ المخالفة .

٣ ــ الغلط .

٤ ــ جهالة الحال .

٥ ــ دعوى الانقطاع فى السند بأن يدعى فى الراوى أنه كان يدلس أو يرسل .

فأما جهالة الحال فمندفعة عن جميع من أخرج لهم فى الصحيح لأن شرط الصحيح أن يكون روايه معروفا بالعدالة فمن زعم أن أحدا منهم مجهول فكأنه نازع المصنف فى دعواه انه معروف ولا شك أن المدعى لمعرفته مقدم على من يدعى عدم معرفته لما مع المثبت من زيادة العلم

---

١ ــ المقدمة جـ ٢ ص ١١١ .

ومع ذلك فلا تجد فى رجال الصحيح أحدا يسوغ اطلاق اسم الجهالة عليه أصلا .

واما الغلط فتارة يكثر من الراوى وتارة يقل .

فحيث يوصف بكونه كثير الغلط فيما أخرج له ان وجد مرويا عنده أو عند غيره من رواية غيره غير هذا الموصوف بالغلط علم أن المعتمد أصل الحديث لا خصوص هذه الطريقة وان لم يوجد الا من طريقه فهذا قادح يوجب التوقف عن الحكم بصحة ما هذا سبيله وليس فى الصحيح بحمد الله من ذلك شىء .

وحيث يوصف بقلة الغلط كما يقال سىء الحفظ أوله أوهام أوله مناكير وغير ذلك من العبارات والحكم فيه كالحكم فى الذى قبله .

فتارة يكثر وتارة يقل وينظر فيما اخرج له .. الخ .. وليس فى الصحيح بحمد الله شىء من ذلك .

الا أن الرواية عن هؤلاء فى المتابعات أكثر منها عند المصنف من الرواية عن أولئك مع عدم التفرد فلا طعن . (أى هى للاستئناس والشواهد وتكثير الطرق فهى معادة .)

وقد نص ابن حجر على ذلك فى باب ما طعن عليه من رجال المعلقات أذكره لأهميته فهو خير دليل لسلامة متن ونصوص المعلقات وبذلك يسلم كل ما جاء بالصحيح من المعلقات كما سلم ما جاء من الأصول وقد عقد ابن حجر فصلا فى سياق من علق البخارى (1) شيئا من أحاديثهم ممن تكلم فيه قال وما يعلقه البخارى من أحاديث هؤلاء انما يورده فى مقام الاستشهاد وتكثير الطرق ومعنى ذلك أنه معاد فى صورة غير معترض عليها فى الكتاب ولذا رتب النتيجة المنطقية قائلا فلو كان ما قيل فيهم قادحا ما ضر ذلك ثم أورد الأسماء على التفصيل .

---

1 ــ المقدمة ص ١٧٦ .

والأمر الثالث (١) : المخالفة ويثبت بها الشذوذ والنكاره فاذا روى الضابط والصدوق شيئا فرواه من هو أحفظ منه أو أكثر عددا بخلاف ما روى بحيث يتعذر الجمع على قواعد المحدثين فهذا شاذ وقد تشتد المخالفة بأن يضعف الحفظ فيحكم على من يخالف فيه بكونه منكرا وهذا ليس فى الصحيح منه الا نذر يسير .

كما تقدم فى نقد المتن فى قصة جمل جابر والروايات الضعيفة فى مقابل الروايات القوية والأكثر عددا التى رجحها البخارى بعد ذكر الجميع وقد علمت أن البخارى ينبه عليه ويذكر فيه رأيه . فلا اعتراض عليه.

(٤) قال ابن حجر : وأما دعوى الانقطاع فمدفوعة عمن أخرج لهم البخارى كما علم من شرطه ومع ذلك فحكم من ذكر من رجاله بتدليس أو ارسال أن تسير أحاديثهم الموجودة عنده بالعنعنة فان وجد التصريح بالسماع فيها اندفع الاعتراض والا فلا . وقد ثبت السماع فى المعنعن فلا وجه للاعتراض .

والأمر الخامس : البدعة والموصوف بها أما أن يكون ممن يكفر بها أو يفسق . فالمكفر بها لابد وأن يكون ذلك التكفير متفقا عليه من قواعد جميع الأئمة كما فى غلاة الروافض من دعوى بعضهم حلول الالوهية فى على أو غيره أو الايمان برجوعه الى الدنيا قبل يوم القيامة أو غير ذلك وليس فى الصحيح من حديث هؤلاء شىء البتة والمفسق بها كبدع الخوارج والروافض الذين لا يغلون ذلك الغلو وغير هؤلاء من الطوائف المخالفين لأصول السنة خلافا ظاهرا لكنه مستند الى تأويل ظاهره سائغ فقد اختلف أهل السنة فى قبول حديث ما هذا سبيله اذا كان معروفاً بالتحرز من الكذب مشهورا بالسلامة من خوارم المروءة موصوفا بالديانة والعبادة فقيل يقبل مطلقا وقيل يرد مطلقا والثالث التفصيل بين أن يكون داعية لبدعته أو غير داعية فيقبل غير الداعية ويرد حديث الداعية وهذا المذهب هو الأعدل وصارت اليه

---

١ ـ المقدمة ص ١١١ .

الطوائف من الأئمة وادعى ابن حبان اجماع أهل النقل عليه لكن فى دعوى ذلك نظر ثم اختلف القائلون بهذا التفصيل فبعضهم أطلق وبعضهم زاده تفصيلا فقال ان اشتملت رواية غير الداعية على ما يشيد ببدعته ويزينه ويحسنه ظاهرا فلا تقبل وان لم تشتمل فتقبل وطرد بعضهم هذا التفصيل بعينه فى عكسه فى حق الداعية فقال ان اشتملت روايته على ما يرد ببدعته قبل والا فلا وعلى هذا اذا شتملت رواية المبتدع سواء كان داعية أم لم يكن على مالا تعلق له ببدعته أصلا هل ترد مطلقا أو تقبل مطلقا مال ابو الفتح القشيرى الى تفصيل آخر فيه فقال ان وافقه غيره فلا يلتفت اليه هو اخماد لبدعته واطفاء لناره وان لم يوافقه أحد ولم يوجد ذلك الحديث الا عنده مع ما وصفنا من صدقه وتحرزه عن الكذب واشتهاره بالدين وعدم تعلق ذلك الحديث ببدعته فينبغى أن تقدم مصلحة تحصيل ذلك الحديث ونشر تلك السنة على مصلحة اهانته واطفاء بدعته والله أعلم .

واعلم انه قد وقع من جماعة الطعن فى جماعة بسبب اختلافهم فى العقائد فينبغى التنبه لذلك وعدم الاعتداد به الا بحق وكذا عاب جماعة من الورعين جماعة دخلوا فى أمر الدنيا فضعفوهم لذلك ولا أثر لذلك التضعيف مع الصدق والضبط والله الموفق .

وأبعد من ذلك كله من الاعتبار تضعيف من ضعف بعض الرواة بأمر يكون الحمل فيه على غيره أو للتحامل بين الأقران ، وأشد من ذلك تضعيف من ضعف من هو أوثق منه أو أعلى قدرا أو أعرف بالحديث وقد بين ابن حجر القطع بعدالتهم وحفظهم .

قال : ينبغى لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأى راو كان . مقتض لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته ولاسيما ما انضاف الى ذلك من اطباق جمهور الأئمة على تسمية الكتابين بالصحيحين وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنه فى الصحيح فهو بمثابة أطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما هذا اذا خرج له فى الأصول فأما أن خرجا له فى المتابعات

والشواهد والتعاليق فهذا تتفاوت درجات من أخرج له منهم فى الضبط وغيره من حصول اسم الصدق لهم وحينئذ اذا وجدنا لغيره فى أحد منهم طعنا فذلك الطعن مقابل لتعديل الامام فلا يقبل الا مبين السبب مفسرا بقادح يقدح فى عدالة هذا الراوى وفى ضبطه مطلقا أو فى ضبطه الخبر بعينه لأن الأسباب الحاملة للأئمة على الجرح متفاوتة منها ما يقدح ومنها مالا يقدح وقد كان الشيخ أبو الحسن المقدسى يقول فى الرجل الذى يخرج عنه فى الصحيح هذا جاز القنطرة يعنى بذلك أنه لا يلتفت الى ماقيل فيه .

قال الشيخ أبو الفتح القشيرى فى مختصره وهكذا نعتقد وبه نقول ولا نخرج عنه الا بحجة ظاهرة وبيان شاف يزيد فى غلبة الظن على المعنى الذى قدمناه من اتفاق الناس بعد الشيخين على تسمية كتابيهما بالصحيحين ومن لوازم ذلك تعديل رواتهما وبهذا فقد اندفع الاعتراض عن نقد رجال البخارى وبالتالى ثبت المتن سليما ، المسند منه والمعلق .

ويؤكد ذلك المعنى وصل ابن حجر لما لم يوصل فيه .

وقول البخارى ولست أروى حديثا من حديث الصحابة والتابعين الا ولى فى ذلك أصل أحفظه من كتاب أو سنة (١) .

وهذه نتيجة يعتز بها المسلمون وحق لهم أن يباهوا بها تراث الانسانية جمعاء .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله،وصدق الله العظيم الذى قال : انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون . والقائل فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال .

---

١ ــ الطبقات جـ ٢ ص ٨



الباب السادس

النقد الحديث في صحيح البخاري

لقد كانت الحرب الصليبية الأوربية فى بلاد الاسلام تابعة بدافعين أساسيين :

الدافع الأول :

العصبية العمياء من رجال الكنيسة محرضين على تخليص مهد المسيح من أيدى المسلمين مفترين بالتشويش على عقائد الاسلام ومقاييسه .

الدافع الثانى :

وهو استغلال ثروات المسلمين وكانت النتيجة أن هزمت الجيوش الصليبية وأخفقت عسكريا فرأوا أن يتجهوا الى دراسة عقائد المسلمين لغزوهم ثقافيا والفت الجمعيات المسيحية واليهودية لهذا الغرض وهؤلاء هم المبشرون من رجال الدين الذين عنوا بدراستهم لأصول الاسلام وقواعده لبلبلة هذه الثقافة الحيوية الاسلامية وكان منهم من يتسم فى الظاهر بانصاف الاسلام والاشادة به . لا لشىء الا ليطمئن الباحث الى أفكاره ثم يأتى بجزئية صغيرة فى حروفها خطيرة فى سمومها بالنسبة الى الاسلام وأصوله وسواء أكان ذلك عن جهل بطبيعة الاسلام أم عن سوء النية فقد كان خطرا على قواعد الاسلام والتهوين من شأن مصادره الصافية ورجاله المعنيين به وكان لهم مدرسة فتن بها بعض الباحثين الاسلاميين الذين يطربون لكل جديد شعورا ساذجا منهم الى أن ذلك يعلى قدرهم عن صفوف رجال الدين وكان من أشد هؤلاء المستشرقين

خطرا المستشرق اليهودى المجرى (1) جولد تسيهر . وحسبك أن ترى افتراء هذا المستشرق فى آرائه .

فى كتابه مذاهب التفسير الاســلامي ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار .

وفى كتابه العقيدة والشريعة فى الاســلام الذى ترجمه الأســاتذة الدكتور محمد يوسف موسى والدكتور على حسن عبد القادر والأستاذ عبد العزيز عبد الحق وكان من قواعد هذا المستشرق ما هو هدم لكيان السنة بصفة عامة .

مثــال ذلك دعواه أن الحديث نتيجــة لتطور المسلمين يقول جلد تسيهر ، ان القسم الأكبر من الحديث ليس الا نتيجة للتطور الدينى والسياسة والاجتماع للاسلام فى القرنين الأول والثانى ، وهذه دعوة خطيرة للغاية ومنهارة أمام المقاييس الثابتة من الكتاب والسنة ، فمن أواخر ما نزل على النبى صلى الله عليه وسلم « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » ولم يتوف الرسول الا وقد أكمل الشرائع وترك فينا ســبيل الهداية ممثلا فى الــكتاب والسنة « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما .. كتاب الله وسنتى » .

وأما من السنة فقد روى البخارى قال « الرســول صلى الله عليه وسلم » : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله . »

والعناية بالسنة ووضع المقاييس الثابتة لحفظها والمنهج المســتقيم الذى لم يتوفر لأى ثقافة كان شغل المسلمين يتلقاها خير خلف عن خير سلف الى أن أوصلوها الينا صحيحة ثابتة كما قالها الرسول ويعلم ذلك من درس منهجهم القويم فى كتب المصطلح وما كان هجوم « أبو ريه »

---

1 ــ انظر السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى للسباعى .

وأمثاله من التشكيك بالسنة الا ترديدا لقضايا هذا المستشرق وأمثاله « سبرنجر » ودائرة المعارف الاسلامية البريطانية وما ماثلهم .

آراء المستشرقين

وقد وضع جولد تسيهر أيضا قاعدةخطيرة رددهامن بعدهالمفتونون بكل جديد المغرورون بعقولهم أو تبريزهم فى ميادين أخرى غيرميدان الحديث.وهذه القاعدة هى لن الاعتراف بصحة الحديث امر شكلى قال جولد تسيهر .. وقد شعر المسلمون فى القرن الثانى بأن الاعتراف بصحة الأحاديث يجب أن يرجع الى « الشكلى فقط لأنه يوجد بين الأحاديث الجيدة الاسناد كثير من الأحاديث الموضوعة وساعدهم على هذا ما ورد من الحديث « سيكثر التحديث عنى فمن حدثكم بحديث فطبقوه على كتاب الله فما وافق فهو منى قلته أو لم أقله هذا هو المبدأ الذى حدث بعد قليل عند انتشار الوضع أ ـ هـ .

الرد على المستشرقين

وقد رد الدكتور السباعى فى كتابه « السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى » على هذه الفرية فقال :

افترى المستشرقون هنا على علماء الاسلام فى موضوعين :

الأول ـ زعمه بأن الاعتراف لصحة الحديث شكلى فقط وانه يوجد بين الأحاديث الجيدة الاسناد كثير من الأحاديث الموضوعة وهذا افتراء منه عليهم وهم لم يقولوا بذلك قطعا وكيف يقرون بأن هنالك كثيرا من الأحاديث الموضوعة هى جيدة الاسناد ؟ .

وانما الذى قاله العلماء حين بحثوا مسألة العمل بخبر الواحد . هل يفيد القطع أو الظن ؟ فذهب بعضهم الى انه يفيد القطع وذهب الجمهور الى أنه يفيد الظن لأنه وان كان صحيحا بحسب الشروط والقواعد العامة الا انه يحتمل ألا يكون صحيحا « فى الواقع » وهذا منهم مجرد احتمال عقلى دعاهم اليه الاحتياط فى دين الله والتثبت فى الأحكام فأين هذا مما ينقله عنهم هذا المستشرق ..

الثانى ــ زعمه أن المبدأ الذى حدث بعد قليل هو حديث سيكثر التحديث عنى .. الخ .. وهذا افتراء محض اذ آن هذا الحديث نقده الأئمة وحكموا بوضعه كما قال الشافعى وابن حزم ويحيى بن معين وعبد الرحمن بن مهدى فكيف يكون هذا الحديث الذى حكموا بوضعه هو القاعدة التى ساروا عليها والمبدأ الذى قالوا به ؟ .. أ ــ هـ .

وهذا شأن المستشرقين وأتباعهم يشككون فى الأدلة الصحيحة . ومن الغريب أنهم يتشبثون لتقويض الصحيح بكل ضعيف وأى مكذوب فيأخذونه قاعدة مسلمة وهم بذلك يناقضون أنفسهم اذ الوضع لو صح فى الحديث الصحيح كما يدعون على مذهبهم لألزمهم مذهبهم بالوضع من باب أولى فيما يستدلون به من الضعيف الواهى أو على الأقل يتطرق الاحتمال اليه فلا يستدل به وكأنهم ما علموا أن الاعتناء بالسند انما هو من أجل العناية بالمتن وان المحدثين يقولون السند للخبر كالنسب للمرء يقول محمد بن سيرين عن ذلك : لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر الى أهل السنة فيأخذ حديثهم « وهم الذين لا يكذبون وأصحاب المقاييس الصحيحة » وينظر الى أهل البدع « ممن يظن فيهم الكذب أو الضعف » فلا يأخذ حديثهم (١) وقال سيفان « لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ » (٢) .

وقال الامام مالك « لا يأخذ العلم عن أربعة ويؤخذ ممن سوى ذلك لا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس الى هواه ، ولا من سفيه يعلن بالسفه وان كان من أروى الناس، ولا من رجل يكذب فى أحاديث الناس وان كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة اذا كان لا يعرف مايحدث به » وهذا هو نهج المحدثين والبخارى وكان نهجا عمليا تطبيقيا فمايزوا بين الصالحين للرواية وغير الصالحين كما يتضح ذلك فى كتاب التاريخ الكبير

---

١ ــ صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١ ص ٨٤ .
٢ ــ الكامل لابن عدى جـ ٣ ص ٤ .

وكتاب الضعفاء للبخارى ووضح الأمر وأشرق اليقين،على أنهم وضعوا قواعد للمتن على خلاف ما زعم «جولد تسيهر» وما ردده بعده المستشرق «غاستون ويت» كاتب مقال الحديث فى التاريخ العام للديانات (١) .

وقد قال : لقد درس رجال الحديث السنة باتقان الا أن تلك الدراسة كانت موجهة الى السند ومعرفة الرجال والتقائهم وسماع بعضهم من بعض الا أن هؤلاء لم ينقدوا المتن . «ورتب النتيجة الخبيثة لهـــذه الفكرة الخطيرة بقوله ولذلك فلسنا متأكدين من ان الحديث قد وصلنا كما هو عن رسول الله من غير ان يضيف اليه الرواه شيئا عن حسن نية فى أثناء روايتهم الحديث ، ومن الطبيعى أن يكونوا قد زادوا شيئا فى أثناء روايتهم مشافهة ومهما كان هذا الرأى صحيحا فان المسلمين يقبلون الحديث على أنه كلام صحيح » أ ـ هـ .

وهكذا يرمون القضايا جزافا حتى غير مشـــيرين الى أن هنـــاك مصادر للصحيح معلومة وأخرى جمع فيها كلام الوضاعيين وأصـــبح الأمر معلوما ، والحق أن المسلمين يتقبلون الحديث الصحيح على أنه صحيح لأنهم أعلم بمقاييسهم وأفهم بمصطلحاتهم واصدق جهدا بالعناية بتراثهم لا كما فهم المستشرق وهـــذه الدعوى بهـــرت بعض الباحثين الاسلاميين من اتباع المستشرقين فقد رددها،الأستاذ أحمد أمين فقال(٢) وقد وضع العلماء للجرح والتعديل قواعد ليس هنا محل ذكرها ولكنهم والحق يقال ـ عنوا بنقد الأسناد أكثر مما عنوا بنقد المتن فقل أن يظفر منهم بنقد من ناحية أن مانسب الى النبى صلى الله عليه وسلم لايتفق والظروف التى قيلت فيه أو أن الحوادث التاريخية الثابتة تناقضه أو أن عبارة الحديث نوع من التعبير الفلسفى يخالف المألوف فى تعبـــير النبى أو أن الحديث أشبه فى شروطه وقيوده بمتون الفقه وهكذا لم نظفر منهم فى هذا الباب بعشر معشار ماعنوا به من جـــرح الرجـــال وتعديلهم أ هـ .

---

١ ـ Histoire générale ces (Islam (P 366)

٢ ـ فجر الاسلام ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

وهذه الدعوة من حيث السنة العامة بما فيهم الشيخان وغيرهما .

بل انما تطرق هـذا التطبيق وتعدى الى البخـارى نفسه فيقول الاستاذ أحمد أمين حتى أن البخارى نفسه على جليل قدره ودقيق بحثه يثبت احاديث دلت الحوادث الزمنيه والمشاهدة التجريبية على أنها غير صحيحه لاقتصاره على نقد الرجال .

وأقول لمثل هؤلاء أن العناية بالسند انما هى من أجـل المتن كما أشرت من قبل ثم ان عدم معرفتكم لمقاييس النقد فى المتن لا يعنى عدم وجودها والمحدثون نقدوا المتن كما نقدوا السند الا ان هذا النقد لم تهتدوا الى مظان بحثه حيث بحثتم عليه فى الأحاديث الصحيحة السند وهو انما يظهر لكم بوضوح عند عدم التأكد من صحة السند لأن السند الذى فرض عليه الاتصال للثقات العادلين الحافظين المستمين من الصعب ان نجد فيه الموضوع ــ لا كما يدعى هؤلاء وكما يقول أبو ريه وهو من أتباع أتباع المستشرقين أو من أتبـاع المغرورين من أن المحـدثين لا يعنون بغلط المتن ؟

ونقل أبو ريه الاتفـاق (١) على أنه ليس كل ما صـح سنده من الاحاديث المرفوعه يصـح متنه لجواز ان يكـون فى بعض الرواه من أخطأ فى الروايه عمدا أو سهوا .

وما كل ما لم يصح سنده يكون متنه باطلا بل قالوا ان الموضوع من حيث الروايه يكون صحيحا فى الواقـع وان الصحيح السند قد يكون موضوعا فى الواقع وانما علينا ان نأخذ الظواهر) أ هـ وأقول قد وضع المحدثون المتقدمون قواعد لمعرفة المتون الموضوعة وهى تظهر بوضوح فى غير صحيح الاسناد .

قال الامام ابن قيم الجوزيه (٢).

(وسئلت هل يمكن معرفة الموضوع بضابط من غير أن ينظر فى سنده) فهذا سؤال عظيم القدر وانما يعلم ذلك من تضـلع فى معرفة

---

١ ــ اضواء على السنة ص ٢٠٢ لابى رية .

٢ ــ المنار لابن قيم الجوزيه ص ١٥ ــ وأنظر قواعد الحديث ص ١٤٨ .

السنن الصحيحة واختلط بدمه ولحمه وصار له فيها ملكة وحاله . له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار ومعرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه فيما يأمر به وينهى عنه ويخبر عنه ويدعو اليه ويحبه ويكرهه ويشرعه للامة بحيث كأنه مخالط للرسول صلى الله عليه وسلم كواحد من أصحابه ومثل هذا يعرف من احوال الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه وكلامه ومايجوز أن يخبر عنه ومالا يجوز، مالا يعرفه غيره وهذا شأن كل متبع مع متبوعه فالاخص به الحريص على تتبع أقواله وافعاله فى العلم بها والتميز بين ما يصح ان ينسب اليه ومالا يصح ما ليس لمن لا يكون كذلك .

وقال ابن دقيق العيد (١) فان معرفة الوضع من قرينة حال المروى أكثر من قرينة حال الراوى .

ومن القرائن التى تدل على الوضع فى المتن على سبيل الاجمال ركاكة اللفظ المروى بحيث يدرك من له المام باللغه أن هذا ليس من فصاحة النبى صلى الله عليه وسلم وقد وضعت احاديث ركيكه تشهد الفاظها ومعانيها لوضعها قال الحافظ المدار فى الركه على ركة المعنى فحينما وجدت دلت على الوضع وان لم ينضم اليها ركاكة اللفظ لأن الدين كله محاسن والركة ترجع الى الرواية .

أما ركاكة اللفظ فقط فلا تدل على ذلك لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى وغير الفاظه بغير لفظ فصيح ، نعم أن صرح بأنه من لفظ النبى صلى الله عليه وسلم فكاذب .

فساد المعنى كالأحاديث التى يكذبها الحس نحو حديث الباذنجان لما أكل له ومن الموضوعات كل حديث تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه وكل ما يشتمل على سخافات لا تصدر عن العقلاء كحديث المجره التى فى السماء من عرق الافعى التى تحت العرش .

---

١ ـ توضيح الافكار ص ٩٤ .

وما يناقض نص الكتاب والسنه المتواتره أو الاجماع القطعى(١) .

قال ابن قيم الجوزية ومنها مخالفة الحديث صريح القرآن كحديث مقدار الدنيا وانها سبعة الاف سنه ويجىء فى الالف السابعه وهذا من أبين الكذب فهو مخالف لقوله تعالى (يسألونك عن الساعه أيان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم الا بغته) .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا يعلم متى تقوم الساعة الا الله(٢) وكل ما يخالف الحقائق التاريخية ، وتكونت من الدراسه ملكات خاصه عند المحدثين وفى هذا يقول ابن الجوزى « الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم وينفر منه قلبه فى الغالب (٣) » .

ويقول الربيع بن خيثم التابعى الجليل أحد أصحاب ابن مسعود « أن من الحديث حديثا له ظلمة كظلمة الليل نعرفه بها (٤) » (وان من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار نعرفه به) ، ولم تكن هذه المقاييس بخافيه على أصحاب الصحاح بل هم فرسان حلبتها لذا لم يوجد الموضوع عندهم ، أفبعد كل هذا مع جمع الاحاديث الموضوعة فى قائمة والصحيحة فى قائمة والتعاون من أبطال المحدثين فى المجتمع الاسلامى تصح دعوى المستشرقين ومن نهج نهجهم فى عدم الاعتناء لنقد المتن الذى من أجله كان السند ومع كل اعتناء بالسند انما هو اعتناء بالمتن فوق ما تقدم من قواعد المتن الخاصة، والواقع ان سبب عدم وجود نقد المتن فى صحيح البخارى أنه انما لما صدق السند صدق المتن فلم توجد فيه متون مخالفة لقواعد نقد المتن — وان قواعد نقد المتن تظهر فى غير ماسنده يكون صحيحا وقد جهلتم يا هؤلاء مظان أماكن البحث فابحثوا عنها تجدوها فى كتب الموضوعات فلو لم يكن الاهتمام بالمتن لما حصرت

---

١ — الباعث الحثيث ص ٩ والنار لابن قيم الجوزية ص٢٠ والسنة قبل التدوين ص٢٤٤.
٢ — المنار لابن قيم الجوزية ص ٢١ .
٣ — الباعث الحثيث ص ٩٠ .
٤ — معرفة علوم الحديث ص ٩٢ والمحدث الفاصل ص ٦٣ .

الموضوعات والا على أى أساس حصرت غير نقد المتن لأنه من المعلوم ان ضعف السند لا يقتضى ضعف المتن بل يتوقف عن قبوله ولا يحكم بوضعه ويقال فيه لم يثبت فاذا أتى من طريق صحيح صح المتن وقبل فاعلموا مظان نقاط البحث تهتدوا سواء السبيل .

ونظرا لهذا اللبس والخطأ فى معرفة نقاط البحث فى السنة قال «أبو ريه» فى كتابه «آضواءعلىالسنة المحمدية»المحدثونلايعنونبغلط المتون وفى معرض عدم العناية بنقد المتون .

قال آبو ريه : فان الدارقطنى وغيره من أئمة النقد لم يتعرضوا لاستيفاء النقد فيما يتعلق بالمتن كما تعرضوا لذلك فى الاسناد وذلك لأن النقد المتعلق بالاسناد دقيق غامض لا يدركه الا أفراد من أئمة الحديث المعروفين بمعرفة علله ، بخلاف النقد المتعلق (بالمتن) فأنه يدركه كثير من العلماء الاعلام المشتغلين بالعلوم الشرعيه والباحثين عن مسائلها الاصلية والفرعية ككثير من المفسرين والفقهاء وأهل أصول الفقه واصول الدين .

وكأنه يعنى بذلك نفسه وأمثاله غرورا وبهتانا وكأن الدارقطنى ، وهو من أئمة النقاد لم يصل الى مقاييس ابى ريه وأتباعه ، ثم بعد ذلك ناقض نفسه فبعد أن قرر أن أئمة الحديث انما يعنون بالسند رجع مباشرة بعد هذا الكلام بدون فاصل فقرر بأن كثيرا من أئمة الحديث تعرضوا لنقد المتن وان كان قليلا بالنسبة للسند وجاء بالمثال الذى جاء به ابن حجر فى المقدمة ورد عليه ابن حجر حيث لم يجد أبو ريه غيره .

قال أبو ريه :

وقد تعرض كثير من أئمة الحديث للنقد من جهة المتن الا أن ذلك قليل جدا بالنسبه لما تعرضوا له من النقد من جهة الاسناد فمن ذلك يقول الاسماعيلى بعد أن اورد الحديث الذى رواه البخارى عن ابن ابى أويس عن أخيه عن ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريره قال : يلقى ابراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة الحديث هذا

خبر فى صحته نظر من جهة ان ابراهيم عالم بأن الله لا يخلف الميعاد فكيف يجعل ما بأبيه خزيا له مع أخباره ان الله قد وعده ان لا يخزيه يوم يبعثون ، واعلمه أنه لا خلف لوعده وقد اعل الدارقطنى هذا الحديث من جهة الاسناد فقال هذا رواه ابراهيم بن طهمان عن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة ، واجيب عن ذلك بأن البخارى قد علق حديث ابراهيم بن طهمان فى التفسير فلم يهمل حكاية الخلاف فيه وينبغى للناظر فى الصحيحين أن يبحث عما انتقد عليهما من الجهتين فبذلك تتم له الدلالة فيما يتعلق بالرواية أ هـ أبو ريه .

وقد تبين أن البخارى كما ذكر ، حكى الخلاف فيه وبينه ، فلا نقد عليه هذا فضلا على أن مثل هذا من ناحية المعنى هو ماحكاه القرآن مع نبى آخر هو الأب الثانى للانبياء نوح عليه السلام حينما قال (ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق) فبين الله بأنه ليس من أهله حتى يكون قد أخلف الوعد (ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ــ قال يانوح انه ليس من أهلك أنه عمل غير صالح) .

وفى هذا الحديث عندما يقول ابراهيم يارب انك وعدتنى الاتخذينى يوم يبعثون فيقول الله تعالى انى حرمت الجنة على الكافرين والمعنى ان ذلك ليس بخزى وليس بأخلاف للوعد كما قال لنوح عليه السلام، ولو أطلقت العقول المغرورة فى مثل هذه الأمور المتشابهة لطعنت فى القرآن بما لايوافق هواها كما طعنت فى السنة وقد بنى هؤلاء النقاد قاعدتهم هذه على ماصرح به المحدثون من أنه لا يلزم حتما من صحة المتن صحة السند كما لايلزم العكس قالوا ذلك من أجل الاحتياط التام ومن حيث الجواز العقلى ومرادهم ان المتن قد يزاد فيه لفظ مدرج أو قد يسهو الراوى على سبيل الندره ، على لفظ لايسترعى اهتمامه لعدم تعلقه بأصل الحديث والا لما قبل أن ينقله ، على أنه فى حالة نقله يبين عدم تمكنه أو تردده فى هذه اللفظة ووضع المحدثون لمعرفة ذلك مقياسا واستوعبوا مثل هذه الالفاظ النادرة وذلك انها تعرف بمخالفة الثقات حيث وردت بطريق آخر ومثل ذلك فى البخارى الاختلاف فى

ثمن جمل جابر رضى الله عنه وقدين البخارى مع عدم تعلق ذلك بالحكم الأصلى الروايات ونص على الأصح منها ومثل ذلك حديث ذى اليدين رواه البخارى عن ابن عمر قال النبى يوم الاحزاب ان لا يصلين أحدكم العصر الا فى بنى قريظة ووقع فى رواية أخرى ان لايصلين أحدكم الظهر وجمع بين الروايتين بأن النبى قال ذلك لقوم ثم قال لفرقة أخرى بعدهم رواية العصر أو بجولز خطأ الراوى لعدم تعلق حكم هام باختلاف العصر او الظهر وقد نص المحدثون كل ذلك وما ماثله وأصبح الأمر واضحا لا لبس فيه .

الأحاديث التي انتقدها أحمد أمين

وعلى المقاييس المهتزة نهج أحمد أمين فقال ان البخارى يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنها غير صحيحة لاقتصاره على نقد الرجال من ذلك مثلا حديث من اصطبح كل يوم سبعة ثمرات لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم الى الليل قد اخرجه الامام البخارى فى كتاب الطب، (١) كما أخرجه الامام مسلم والامام أحمد (٢) وقد بين العلماء هذا الحديث فمنهم من خصصه بتمر المدينة اعتمادا على الأحاديث المقيدة بذلك، ومنهم من أطلقه (والذى ارتضاه الأكثرون تخصيصه بعجوة المدينة قال ابن القيم فى زاد المعاد « والتمر غذاء فاضل حافظ للصحة ولاسيما لمن اعتاد الغذاء به ونفع هذا العدد من التمر من هذا البلد من هذه البقعة بعينها ــ من السم والسحر بحيث تمنع اصابته من الخواص التى لو قالها بقراط وجالينوس وغيرهما من الأطباء لتلقاها عنهم الأطباء بالقبول والاذعان والانقياد مع أن القائل انما معه الحدس والتخمين والظن . فمن كلامه كله يقين وقطع وبرهان ووحى أولى بأن تتلقى أقواله بالقبول وترك الاعتراض هذا خلاصة ماذكروه فى هذا المقال واذا كان السحر نوعا من الأمراض النفسية وللايحاء بالنفس أثر كبير فى شفاء المرضى أو أن أثر الصحة نافع فى الحالة النفسية كما يقرر العلم الحديث فان أثر هذا الغذاء النافع يقى الجسم من الحالة النفسية

---

١ ــ صحيح البخارى بشرح السندى ص ٢٠ جـ ٤ .
٢ ــ صحيح مسلم ص ١٦١٨ جـ ٣ .

ويكون له أثر طيب فى حالة المسحور كما قال النبى صلى الله عليه وسلم قال الدكتور السباعى (1) انك لاتشك معى فى أن اقدام مؤلف فجر الاسلام على القطع بتكذيب هذا الحديث جرأة بالغةمنه لايمكن أن تقبل فى المحيط العلمى بأى حال مادام سنده صحيحا بلا نزاع ومادام متنه صحيحا على وجه الاجمال ولايضره بعد ذلك أن الطب لم يكتشف حتى الآن بقية ، مادل عليه من خواص العجوة ويقينى انه لو كان فى الحجاز معاهد طبية راقية أو لو كان ثمر العالية موجودا عند الغربيين لاستطاع التحليل الطبى الحديث أن يكتشف فيه خواص كثيرة ولعله يستطيع أن يكتشف هذه الخاصة العجيبة أن لم يكن اليوم ففى المستقبل ان شاء الله أ . هـ .

ويحقق الزمن صدق المدافع عن السنة ويثبت صحة مقاييسه ويبطل مقاييس النقد الحديث فقد كتب الأهرام تحت عنوان (2) «البلحعلاج لأمراضالعيون والجلد والانيمياوالنزيفولين العظام والبواسيرويساعد علىالولادة بسهولة» أثبتت الأبحاث العلمية التى أجريت أخيرا بالمركز القومى للبحوث أن البلح غذاء كامل ويفيد فى وقاية الجسم وعلاجه من أمراض العيون وضعف البصر وعلاج الأمراض الجلدية كالبلاجرة وأمراض الانيميا وحالات النزيف ولين العظام والبواسير ويساعد المرأة الحامل بسهولة على الولادة صرح بذلك الدكتور عزيز شرف المشرف على وحدة بحوث الأدوية بالمركز القومى للبحوث واضاف قائلا ان الأبحاث أثبتت كذلك أن البلح يعادل اللحم فى قيمته الغذائية ويتفوق عليه بما يعطيه من سعرات حرارية ومواد معدنية وسكرية وذلك بالاضافة الى أنه غنى بالكالسيوم والفسفور والحديد ويحتوى على غالبية الفيتامينات المعروفة .

وبهذا قد ثبت أن المشاهدة والعلم يكذب نقدهم ويثبت صحة

---

١ ــ السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ص ٢٦٥ .

٢ ــ جريدة الأهرام يوم الاثنين ١٢ ذو الحجة ١٣٨٢ الموافق ٢٦ مايو ١٩٦٣ لسنة ٨٩ العدد ٢٧٩٠٥ ص ٤ .

الأحاديث التى لم ترق فى نظرهم وهكذا يخطىء النقاد من المحدثين ويكذبهم العلم .

ومثال ما نقدوه أيضا فى صحيح البخارى نتيجة عدم الدقة فى البحث ما نقده الأستاذ أحمد أمين مما رواه البخارى « لايبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة » هذا الحديث أخرجه الامام البخارى ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث وفهم منه مؤلف فجر الاسلام أن مراد الرسول صلى الله عليه وسلم الأخبار بانتهاء الدنيا بعد مائة سنة ومن هنا حكم عليه بالوضع لمخالفته للحوادث التاريخية والحس والمشاهدة .

ولكن هذا الحديث الذى ذكر هو جزء من حديث كامل أخرجه البخارى فى باب السمر فى الفقه والخير بعد العشاء من كتاب الصلاة وهو أن عبد الله بن عمر قال . قام صلى الله عليه وسلم فى صلاة العشاء فى آخر حياته فلما سلم قال أرأيتكم ليلتكم هذه فان على رأس مائة لايبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد فوهل الناس فى مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مايتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة وانما قال النبى لايبقى ممن هو « اليوم » على ظهر الأرض يريد بذلك أنها تخرم ذلك القرن فهذا نص الحديث واضح فى أن الرسول أخبر صحابته فى آخر حياته وجاء فى رواية جابر قبل وفاته بشهرين حين قال الرسول تلك المقالة لا يعمر أكثر من مائة سنة ولم يفطن بعض الصحابة الى تقييد الرسول بمن هو على ظهرها اليوم فظنوه على اطلاقه وان الدنيا تنتهى بعد مائة سنة فنبههم ابن عمر الى القيد فى لفظ الرسول وبين لهم المراد منه وكذلك فعل على بن أبى طالب فى رواية الطبرانى .

وقد استقصى العلماء من كان آخر الصحابة موتا فوجدوه أبا الطفيل عامر بن واثلة وقد مات سنة عشر ومائة وهى رأس مائة سنة من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون الحديث معجزة من معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام حيث أخبر بأمر مغيب فوقع كما أخبر

---

* ـ مقتبس من السنة ومكانتها للدكتور السباعى .

قال الدكتور السباعى فانت ترى انهذا الحديث الذى كان فى الواقع معجزة من معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام ينقلب فى منطق النقد الجديد الذى دعا اليه صاحب فجر الاسلام الى أن يكـون مكذوبا مفتــرى .

وان تعجب فعجبك من الاستاذ مؤلف فجر الاســلام ذكر فى اخر فصله أهم مراجع بحثه وفى مقدمتها فتحالبارىعلى البخارى والقسطلانى على البخارى وشرح النووى على مســلم وهؤلاء الشراح نبهوا على معنى الحديث وبينوا تقسيم البخارى له فى موضعين واشاروا عنــد الجزء المختصر الى موضع الحديث الكامل فان كان الاستاذ أطلع على روايات الحديث واقوال الشراح فكيف حكم بعد ذلك بكذبه ؟ وان لم يطلع عليها فكيف عد تلك الشروح من مرجع بحثه بل كيف استباح الخوض فى هذا الموضوع على غير هدى ؟

نقد الدكتور محمد توفيق صدقى

وحديث الذباب رواه البخارى فى باب اذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه فان فى أحد جناحيه داء والأخرى شفاء عن أبىهريرة رضى الله عنه ويقول النبى صلى الله عليه وسلم اذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فان فى احد جناحيه داء وفى الأخرى شفاء انكره الدكتور محمد توفيق صدقى (١) وطعن فيه لأنه لا يوافقالعقل والعرف وثار علماء الازهر فى وجهه لتوهينه حديثا فى صحيح البخارى ثار علماء الأزهر فى وجهه ووقف بجانبه الاستاذ محمد رشيد رضــا ونعى على الازهريين هذا التعصب ضــد مسلم من خيار المسلمين علما وعملاو دفاعا عن الاسلام وقال وكيف يحصل منهم ذلك بمجرد شبهه على صحة حديث رواه البخارى عن رجل يكاد أن يكون مجهولا واسمه يدل على أنه لم يكن أصيلا فى الاسلام وهو عبيد الله بن حنين وموضع ضعفه ليس من عقائد الاسلام ولا من عباداته ولا من شرائعه ولا الزم المسلمون العمل به : ما أســهل التكفير على مقلدى أقوال المتاخرين وحسبنا الله ونعم الوكيل اهـ .

١ ــ السنة قبل التدوين ص ٢٨٧ .

ونقل هذه الآراء فى موضع الاستشهاد بها أبو ريه ، ثم بعد ذلك فى عهد التقدم العلمى والمعامل والتحليل نستمع الى أنصاف صحة الحديث وتأكيد صحته كمعجزة للنبى الأمى حيث صرح به فى عهد لم يعلم فيه التحليل وها هو التحليل العلمى يكذب النقاد ويصدق ما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم وانقل هنا كلمة الطب فيما قاله العلماء فى العصر الحديث .

كلمة الطب فى حديث الذباب(١)

البحوث والمراجع العلميه تؤيد الحديث الشريف اذا وقع الذباب فى أناء أحدكم فليغمسه كله فان فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء . تحقيق علمى للدكتور محمود كمال والدكتور محمد عبد المنعم حسين

كثر التعرض لهذا الحديث وخصوصا من جانب أطباء مكذبين للحديث لعلمهم بأن الذباب ينقل العدوى والجراثيم الحاملة للمرض ونحن نعلم أن من بين الاحاديث التى رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم ما هو صحيح وما هو مكذوب وكان على فقهاء الحديث أن يبينوا الصحيح ويستبعدوا المكذوب ، وتمسك رجال الحديث والفقهاء الاعلام بصحة الحديث لاستناده لثقة من الرواة ، وتمسك بعض الأطباء بالناحية الصحية وكذبوا الحديث وكنا نود أن يفهم الحديث على أسس ثلاثة :

١ ــ عدم التعرض لصحة الحديث فهذا من اختصاص فقهاء الحديث والعلماء الذين درسوا العلم والحديث وكيف يستبعدون الاحاديث المكذوبه .

٢ ــ محاولة البحث العلمى بافتراض صحة الحديث للوصول الى حقائق أنبأنا عنها النبى عليه الصلاة والسلام (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (٢)) .

---

١ ــ مجلة الأزهر رجب ١٣٧٨ ص ٥٧٨ .

٢ ــ سورة النجم .

٣ ــ عدم الخوض فى موضوع مادة الحديث قبــل الرجوع الى المراجع العلمية الكافية عن الحشرات وعن طفيليات الحشرات . ولهذا وجدنا بعد قراءة الموضوع والمجادلات المتبادلة بين الفريقين فى الصحف والمجلات منذ مدة طويلة ان نحاول ان نرد الحق الى نصابه ذلك أن بعضنا بعد قراءة اراء فقهاء الحديث عن صحة الحــديث لم يتردد فى تصديقه وحاول أن يرجع الى المراجع العلمية التى تؤيد صحة الحديث وقد جاء فى المراجع العلمية ان الاستاذ الالمانى بريفلد من جامعة هال بالمانيا وجد فى عام ١٨٧١ ان الذبابه المنزلية مصابة بطفيلى من جنس الفطريات ســماها امبوزا موسكى من عائلة انتوموفتر الى من تحت فصيلة سيجومايسيس من فصيلة فيكوميسيس ويقضى هذا الفطرحياته فى الطبقة الدهنية داخل بطن الذبابه على شكل خلايا خميرة مستديرة ثم يستطيل ويخرج على نطاق البطن بواسطة الفتحات التنفسية أو بين المفاصل البطنية وفى هذه الحالة يصبح خارج جسم الذبابه وهذا الشكل يمثل الدور التناسلى لهذا الفطر وتتجمع بذور الفطر فى داخل الخليه الى قوة معينه تمكن الخلية من الانفجار واطلاق البذور خارجها ولهذا سيكون بقوة دفع شديدة لدرجة تطلق البذور الى مسافة حوالى ٢ سم من الخلية بواسطة انفجار الخلية واندفاع الســائل على هيئة رشاش ويوجد دائما حول الذبابة الميته والمتروكة على الزجاج مجال من البذور لهذا الفطر ورؤوس الخليه المستطيلة التى يخرج منها البذور حــول القسم الثالث والاخير من الذبابه على بطنها وظهرها وهذا القسم الثالث أو الأخير دائما يكون مرتفعا عندما تقف الذبابة على أى مسند لتحفظ توازنها واستعدادها للطيران والانفجار كما ذكرنا يحدث بعد ارتفاع ضغط السائل داخل البناء الى قوة معينة وهذا قد يكون مسببا من وجود نقطة زائدة من السائل حول الخلية المستطيلة وفى وقت الانفجار يخرج من السائل والبذور جــزء من السيتوبلازم من الفطــر كما ذكر الاستاذ لنجيرون (أكبر الاساتذه فى علم الفطريات) فى عام ١٩٤٥ ان هــذه الفطريات كما ذكرنا تعيش فى شكل خمــيرة مستديرة داخل انسجة

الذبابة وهى تفرز انزيمات قوية تحلل وتزيد أجزاء الحشرة الحاملة للمرض .

ومن جهة أخرى تم فى سنة ١٩٤٧ عزل مادة مضادة للحيوية (بواسطة ارنش تين وكوك من انجلترا وبوروليوس من سويسرا فى سنة ١٩٥٠) تسمى جافاسين من فطر من نفس الفصيلة التى ذكرناها والتى تعيش فى الذبابه وهذه المادة المضادة للحيوية تقتل جراثيم مختلفة من بينها جراثيم السالبة والموجبة لصبغة جرام وجراثيم الدوسنتاريا والتيفود وفى سنة ١٩٤٨ عزل بريان وقوروتيس وهيمانج وجيفيريس وماكجوان من بريطانيا مادة مضادة للحيوية . تسمى كلوتينيزين من فقريات من نفس فصيلة الفطر الذى يعيش فى الذبابة وتؤثرعلىجراثيم السالبة لصبغة جرام من بينها جراثيم الدوسنترياوالتيفود وفى سنة ١٩٤٩ عزل كوكس وافارمر من انجلترا وجرمان وروس واتلنجر وبلاتنر من سويسرا مادة مضادة للحيوية تسمى انياتين منفطريات من نفس صنف الفطر الذى يعيش فى الذبابه تؤثر بقوه شديدة على جراثيم جرام موجب وجرام سالب وعلى بعض فطريات أخرى ومن بينها جراثيم الدوسنتاريا والتيفود والكلوريا . ولم تدخل هذه المواد المضادة للحيوية بعد الاستعمال الطبى ولكنها فقط من العجائب العملية لسبب واحد وانها بدخولها فى كميات كبيرة فى الجسم قد تؤدى الى حدوث بعض المضاعفات بينما قوتها شديدة جدا وتفوق جميع مضادات الحيوية المستعمله فى علاج الأمراض المختلفة وتكفى كمية قليله جدا لمنع معيشة أو نمو جراثيم التيفود والدوسنتاريا والكوليرا وما يشبهها وفى سنة ١٩٤٧ عزل مفتيش مواد مضادة للحيوية من مزرعة الفطريات الموجودة على جسم الذبابه ووجد انها زات مفعول قوى فى بعض الجراثيم السالبه لصبغة جرام مثل جراثيم التيفود والدوسنتاريا وما يشبهها . وبالبحث عن فائدة هذه الفطريات لمقاومة الجراثيم التى تسبب أمراض الحميات التى يلزمها وقت قصير للحضانه وجد أن واحد جرام من هذه المواد المضادة للحيويه يمكن أن يحفظ أكثر من الف لتر لبن من التلوث من الجراثيم المرضيه المذكوره .

وهذا أكبر دليل على القوه الشديدة لمفعول هذه المواد .

أما بخصوص تلوث الذباب بالجراثيم المرضـيه كجراثيم الكليره التيفود والدوسنتاريا وغيرها التي ينقلها الذباب من المجارى والفضلات أو البراز من المرضى وهى الأماكن التي يرتادها الذباب بكثرةفى مكان هذه الجراثيم يكون فقط على أطراف أرجل الذبابة أو فى برازها وهذا ثابت فى جميع المراجع البكتولوجية وليس من الضرورى ذكر أسـماء المؤلفين أو المراجع لهذه الحقيقة المعلومة .

ويستدل من كل هذا على انه اذا وقعت الذبابة على الأكل فستلزم الغذاء بأرجلها الحاملة للميكروبات المرضية التيفـود والكلـيرة أو الدوسنتاريا أو غيرها . واذا تبرزت على الغذاء كما ذكرنا بأرجلها التى تفرز المواد المضادة للحيوية والتى تقتل الجراثيم المرضية الموجودة فى براز الذبابة وفى أرجلها توجد على بطن الذبابة ولا تنطلق مع سـائل الخلية المستطيلة من الفطريات والمحتوى على المواد المضادة للحيوية الا بعد أن يلمسها السائل الذى يزيد الضغط الداخلى لسائل الخلية ويسبب انفجار الخلية المستطيلة واندفاع البذور والسائل .

وبذلك يحقق العلماء بأبحاثهم تفسير الحديث النبوى الذى يؤكد ضرورة غمس الذبابة كلها فى السائل أو الغذاء اذا وقعت عليه لافساد أثر الجراثيم المرضيةالتى تنقلها بأرجلهاأو ببرازهاوكذلك يؤكدالحقيقة التى أشار اليها الحديث وهى ان فى أحد جناحيها داء (أى فى أحد أجزاء جسمها الامراض المنقولة بالجراثيم المرضية التى حملتها) وفى الآخر شفاء وهو المواد المضادة للحيوية التى تفرزها الفطريات الموجودة على بطنها والتى تخرج وتنطلق بوجود سـائل حـول الخـلايا المستطيلة للفطريات ..

امثلة من اهتزاز مقاييس النقد الحديث

وهذه أمثلة تبين اهتزاز مقـاييس العصر الحـديث وعدم دقتهم فى نقدهم وتسرعهم .

وعلى سبيل أمثلة السرعة فى بحثهم : مثلا نرى الأستاذ أحمد أمين

يزعم آن ماجمعه البخارى فى حديث الجامع الصحيح وهو أربعة آلاف من غير المكرر هو كل ما صح عنده من عدد الأحاديث التى كانت متداولة فى عصره وبلغت ستمائة ألف . .

وهـذه دعوى لهـا خطـرها اذ معنى ذلك ان غير تلك الأحاديث قـد حكم البخـارى على عـدم صـحتها وليتهم كـما ذكرت قـد سـلموا بمـا جمعـه البخـارى بل يتعقبـونه بمقاييسهم المنهـارة وفى ذلك خطر على السنة ولم يكلفوا أنفسهم أو لم يثقوا بما سـجله الحفاظ من ان البخارى ، كما تقدم صرح بأنه ليس كل صحيح عنـده جمعه فى كتابه وثبت أيضا مثل ذلك عن الامام مسلم وقال ابن الصلاح فى مقدمته وهى من أصول الحديث المتداولة (لم يسـتوعبا البخارى ومسلم) الصحيح فى صحيحهما و لاالتزم ذلك أى الاستيعاب وقد صرح بذلك الشيخان .

ومن أمثلة السرعة فى البحث أيضا جزم الأستاذ أبو رية بأن أول من ألف فى الحسن الترمذى وكأن هذا هو القول الوحيد الذى لا غبار عليه وهذه دعوى ابن تيمية قال ان تقسيم الحديث عند قدمائهم كان على قسمين فقط صحيح وضعيف والحسن لذاته كان عندهم داخلا فى الصحيح ونقل الاجماع على ذلك ، التمحيص نجد أن هـذه الدعوى غير صحيحة قال الكشميرى (1) :

دعوى الاجماع غير صحيح لان البخـارى وعلى بن المدينى ممن يفرقان بينهما حتى جاء الترمذى وتبع فى ذلك شيخه البخارى فشـهره ونوه بذكره وعليه مشى فى جميع كتابه آ هـ .

والسر فى ان البخارى لم يتعرض له فى صحيحه للتزامه الصحيح لذاته فى أصل موضوع كتابه .

وهـكذا كان منهـج النقـد الحـديث الارتجـال فى الحـكم وعدم القداسـة الى الحـديث النبـوى وعـدم البحث المستفيض

---

1 ـ فيض البارى جـ 1 ص 57 .

والتقديس لكل غربي براق وأعمال المقاييس العقلية الفردية المتغيرة خاصة وانها قد تكون مشغولة بفروع أخرى فى بعض الأحيان ومتخصصة فيها ولا علاقة لها بالسنةوتقحم نفسها فى ميدان السنةمن غير معرفة به وبعضهم مريض بحب الظهور ولذا كانت مقاييسهم كما ترى مهزوزة غير ثابتة ينكرون الثابت ويستدلون بكل واه ضعيف ويهولون فى أمر الوضع والوضاعيين علما بأن الوضع فى الحديث ولد ميتا حيث لم يسر على منهج يحميه وقدعاش له الجهابذة فردوه ووأدوه جميعا قبل أن يشعر بالحياة قيل لابن المبارك هذه الأحاديث الموضوعة ؟ فأجاب :

بنظرة الواثق المطمئن بكل بساطة قال تعيش لها الجهـابذة ويقول الدكتور السباعي (١) فى هؤلاء وأمثالهم وأساتذهم من المستشرقين .

أما المستشرقون فلم يقفوا من رسول الله الموقف الكريم بل نقدوا أحاديثه على وفق ما يعرفون من أصول النقد العام لأخبار الناس العاديين ذلك لانهم ينظرون الى الرسول كرجل عادى لم يتصل بوحى ولم يطلعه الله على مغيات ولم يميزه عن بني الانسان بأنواع من المعارف والكرامات واذا روى لهم حديث عليه صبغة القانون قالوا ان هذا موضوع لانه يمثل الفقه الاسلامى بعد نضوجه ولا يمثل سناجته وبساطته فى عصر النبى والصحابة واذا رويت لهم بشارة من الرسول وأخبار عن أمريقع للمسلمين فى المستقبل قالوا ان ظروف النبى لم تكن تسمح له أن يقول هذا القول .

وهكذا وقفوا من رسولنا عليه الصلاة والسلام موقف المنـــكر لرسالته المتشكك فى صدق ما بلغ به عن الله الهادى فىسمو روحه التى اتصلت بالملأ الأعلى ففاض منها النور والحكمة والمعرفة ولم يكتفوا بذلك بل حملوا على علمائنا لانهم لم يقفوا منه هذا الموقف وعلماؤنا معذورون اذ لم يتجهوا مع المستشرقين فى هذا الاتجاه الخاطىء لانهم

---

١ ـ السنة ومكانتها ص ٢٥٧ .

مؤمنون بمحمد بن عبد الله رسولا كريما أرسله الله الى الناس اجمعين بشرع محكم وسعادة شاملة للناس فى دنياهم وآخرتهم أما أتباع المستشرقين من المسلمين كمؤلف (فجر الاسلام . فمن المؤسف انهم انساقوا فى ذلك الاتجاه ولم يفطنوا الى خطأ تلك الطريقة فأخذوا ينعون على علمائنا تقصيرهم فى نقد المتن غير مستمسكين من الحجج الا بما أتى به المستشرقون .

وها أنا لم أعثر فى كل ما كتبه أحمد أمين فى هذا الموضوع على رأى طريف لم يأخذه عن المستشرقين ثم آخذ يضرب هو وأمثاله على وتيرة تحكيم العقل فى نقد الأحاديث ولا أدرى أى عقل يريدون أن يحكموه ويعطوه السلطة أكثر مما أعطاه علماؤنا فى قواعدهم الدقيقة . ليس عندنا عقل واحد نقيس به الأمور بل عقول متفاوتة والمقاييس مختلفة والمواهب متباينة فما لا يعقله فلان ولا يفهمه قد يراه آخر معقولا مفهوما كما أن ما يخفى على الناس فى بعض العصور حكمته وسر تشريعه قد يتجلى فى عصر آخر معقول الحكمة واضح المعنى حين تتقدم العلوم وتكتشف أسرار الحياة ففتح الباب فى نقد المتن بناء على حكم العقل الذى لا نعرف له ضابطا .

والسير فى ذلك بخطا واسعة على حسب رأى الناقد وهواه أو اشتباهه الناشىء فى الغالب عن قلة الاطلاع أو قصر نظره أو عقله عن حقائق أخرى :

ان فتح الباب على مصراعيه لمثل هؤلاء الناقدين يؤدى الى فوضى لا يعلم الا الله منتهاها والى أن تكون السنة الصحيحة غير مستقرة البنيان ولا ثابتة الدعائم ففلان ينفى هذا الحديث وفلان يثبته وفلان يتوقف فيه ، كل ذلك لأن عقولهم كانت مختلفة فى الحكم والرأى والثقافة والعمق فكيف يجوز هذا؟ ثم أليس لنا أكبر عبرة فيما وقع عليه مؤلف فجر الاسلام من أخطاء بشعة حين أراد أن يسير فى هذا الاتجاه فكذب ما لا مجال لتكذيبه وحكم بوضع ما قامت الأدلة والشواهد على صحته أ ـ هـ .

وهكذا أوقع هؤلاء النقاد جهلهم بمظان البحث وغرورهم العقلي في هذه الأخطاء حينما حسبوا أن نقد المتن مكانه كتب الصحيح ، ولم يعلموا أن مكان نقد المتن انما هو متوفر فى كتب الموضوعات وفيها عشرات الكتب من نقد المتن ولم يكن النقد فى صحيح البخارى فى المتن على ماتصوروه بل قد صح المتن بصحة الاسانيد ولذلك كان الكشميرى دقيقا حينما قال لم يستطع الدارقطنى نقد متن حديث البخارى وان يوجه اليه هـذا النقد الا فى حديث واحد ، ـ وقد بينته فيما سبق ووضحت الرد عليه ـ وذلك لأن مقاييس نقد المتن لم تنطبق عليه لمتانة مقاييس البخارى فعلى هؤلاء أن يبحثوا عن نقد المتن فى كتب الموضوعات وقد جمع صاحب السنة قبل التدوين (١) أربعين مؤلفا من أشهرها تذكرة الموضوعات لأبى الفضل محمد بن طاهر المقدسى (٤٤٨ ــ ٥٠٧) هـ (٢) .

ومنها الموضوعات فى الأحاديث المرفوعات لأبى عبد الله الحسن ابن ابراهيم الهمدانى المتوفى سنة ٥٤٣ هـ . ومنها (الموضوعات الكبرى لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى « ٥٠٨×٥٩٧ هـ » أربع مجلدات) وغير ذلك .

واذا كانت هذه مقاييس النقد الحديث ونظراته القصيرة فخير لهؤلاء وأمثالهم الا يتكلموا فى السنة الا بعد دراسة مقاييسها وكتبها .

---

١ ـ السنة قبل التدوين ص ٢٨٧ .

٢ ـ وتوجد الموضوعات الكبرى لابن الجوزى فى دار الكتب تحت رقم ١٤٧ م وتحت رقم ٤٨٨ حديث وكلاهما مخطوط .



الباب السابع

البخاري والمنهج الأوربي التاريخي الحديث

أثر منهج البخارى والمحدثين فى المنهج التاريخى الاوربى الحديث مع المقارنة

وبعد أن وصل تدوين الحديث الى أوج العظمة والدقة فى القـرن الثالث « العصر الذهبى » لتدوين السنة الذى حمل لواء نهضته الامام البخارى بمنهجه القويم ومقاييسه الدقيقة وساعده على ثبات منهجـه ماكان قبله من عناية المحدثين بالسنة ومناهجهم الدقيقة فوجد الثقـات المحافظين على تراث نبيهم فى القرون الخيرة الأولى .

وكان الزمن بين اشتغال البخارى بالعلم وبين وفاة النبى صلى الله عليه وسلم قرنين فقط بالنسبة للمقياس الزمنى وثلاثة أشخاص بالنسبة للاسناد العالى وبينه وبين وفاة الصحابة قرن واحد ـ والثقافة ثقـافة وحى ونبوة وسعادة دنيا وأخرى والرواة هم الأخيار الأطهار الثقـات وضعوا لحراسة السنة المناهج المنظمة الدقيقة المعلومة فى كتب أصـول الحديث وقد تقدم منهج البخارى الدقيق .

وابين هنا أثر منهج البخارى والمحدثين فى المنهج الأوربى الحديث وحقيقة هذا المنهج الحديث وهل بلغ مبلغ منهج البخارىوالمحدثين؟!

وبعد وفاة البخارى بحوالى عشرة قرون بدأت فكرة تحديد منهج للتاريخ تظهر فى أوربا وقوبل هذا المنهجبالحفاوةالبالغة والتقديرالكبير ونقله الشرقيون على أنه أمر حدث جديد والحق أنه مأخوذ من حيث الجملة من منهج المحدثين وشيخهم البخارى .

تأثر المنهج الأوربى الحديث بمنهج البخارى والمحدثين

يقول الدكتور محمود قاسم رئيس قسم الفلسفة بدار العلوم وعميدها تحت عنوان مراحل البحث التاريخى الأوربى (١) لم يتتبع القدماء « الأوربيون » منهجا سليما فى دراسة التاريخ فكانوا يخلطون بينه وبين فن القصص وكانوا يجمعون الوثائق والروايات كيفما اتفق ثم يصهرونها ويصبونها فى قالب أدبى جذاب .

لكن علماء المسلمين عنوا عناية كبرى بنقد الرواة وبتمحيص طرقهم فى النقل ولاسيما فيما يتعلق بدراسة أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وقد حدد ابن خلدون المؤرخ للبخارى وغيره من المحدثين العالم بمنهجهم ، قواعد البحث فى التاريخ الى مستوى العلم الجديد بهذا الاسم ثم اتجه الأوربيون الى العناية بالدراسات التاريخية وبينوا القواعد التى يجب على المبتدىء احترامها وانتهوا الى تحديد مراحل البحث تحديدا دقيقا ويعرض الدكتور قاسم لدراسة مراحل البحث التاريخى تحت عنوانين أساسيين التحليل ــ والتركيب طبقا لما وصل اليه سينيوبوس ودولو . وفريمان وغيرهم واليك البيان .

التحليل التاريخى

اذا انتهى الباحث من اختيار موضوع دراسته ومن جميع الوثائق الخاصة به بدأ يحللها ويمحصها والتحليل نوعان خارجى ــ وداخلى .

اولا ــ التحليل الخارجى :

وتتكون مرحلته من عمليتين رئيسيتين هما :

أ ــ نقد الوثائق يقول سينيوبوس « لاوجود للتاريخ بدون وثائق وكل عصر ضاعت فيه وثائقه يظل مجهولا الى الأبد .

ولما كانت مادة التاريخ لاتقع تحت ملاحظاتنا بطريقة مباشرة ولما

---

١ ــ المنطق الحديث ومناهج البحث العلمى ص ٣٦٨ ط الانجلو المصرية .

كانت الوثائق السبيل الوحيد الى معـــرفتها فانه يجب الحــذر فى استخدامها والعناية بين الصحيح والزيف منها تتبين ضرورة هذا النقد اذا علمنا أن الانسان يميل بطبعه الى تصديق الأخبار دون تمحيص اذ التصديق أقل مجهودا من المناقشة والتسليم أيسر من النقد وتكديس الوثائق كيفما اتفق أقل عناية من فرزها وتقـــديرها وقد بين العــلامة سينييوس أنه يجب الحذر من بعض العبارات العقلية كالميل الى استخدام أول نسخة تقع لدينا ولو كانت غير دقيقة وكالميل الى الاعتماد على اقدم النسخ ولو كانت أردأ من النسخ الأقرب منها عهدا وكالميل الى اتخاذ الاغلبية حكما اذا اختلفت النسخ فيما بينها مع أن هذا لايدل على شيء البتة وقد ضرب سينيوبوس لذلك مثلا فقال فلنفرض أن هناك عشرين نسخة يشترك فيها ثمانى عشرة نسخة فى نقطة واحدة هى (أ) .

ويشترك النسختان الأخريتان فى نقطة مخالفة هى (ب) ففى هــذه الحالة يميل الباحث المتسرع الى تأكيد صحة (أ) دون (ب) .

لكن من المحتمل جدا أن تكون كثرة المجموعة الأولى صورية بأن تكون احدى النسخ أصلا والباقى منها فروعا ولذا فان الباحث المدقق يتساءل فيقول هل (أ) أكثر احتمالا للصدق من (ب) أم لا (١) .

ب ـ التحقق من شخصية صاحب الوثيقة .

لاتكفى المقارنة بين مختلف النسخ بل لابد من الوقوف على مصدر كل وثيقة واين ومتى كتبت ؟ ومن كتبها ؟ وذلك أنه لافائدة من استخدام وثيقة نجهل صاحبها وهذه العملية هامة جدا ولاسيما اذا كان المــؤرخ يدرس احدى وثائق العصور القديمة أو المتوسطة .

فان كتابها كانوا يعنون بتوقيع كتاباتهم أو تحـــديد تاريخها وقد يسارع الباحث الى تصديق نسبة احدى الوثائق الى أحد الكتاب اذا رأى انها تحمل توقيعه لكن يجب الحذر من هذا الميل الساذج الى سرعة التصديق فان الانتحال أمر مألوف وأسبابه عديدة ونحن نعلم أن بعض

١ ـ المنطق الحديث ومناهج البحث ص ٣٦٨ .

فراعنة مصر لم يتورعوا عن محو أسماءسابقيهم ونسبةآثرهمالىأنفسهم حقا أن خير وسيلة الى معرفة شخصية الكتاب هى التحليلالداخلى غير أنه يجب الاعتماد قبل ذلك على بعض العلاقات الخارجية كالخط والورق واللغة وكثيرا ماتكون دلالة هذه العلامات حاسمة فتقرر تزوير الوثائق وانتحالها فان كثيرا من المزيفين لايتخـذون جميـــع أسباب الحيطة فيستخدمون كلمات وجملا والوانا من الاساليب التى لم تكن مألوفة فى العصر الذى ينسبون اليه الوثائق ، كذلك يجب المقارنة بين الوثائق المختلفة فان ذلك يزيدنا علما بالظروف التى دونت فيها الوثائق الصحيحة وبمواضع التزييف أو التحريف فى غيرها .

وتســـتخدم المقــارنة فى التفـــرقة بين النص الذى اشــترك فى كتابتـــه أفراد عديدون لأن اضـــطراب الاســـلوب أو عدم اتبــاعه دليـل على تعدد كاتبى الوثيقــة أو على أن بعضهم ينقل عن بعض وتؤدى هذه العملية الى بعض النتائج السلبية يرى «سينيوبوس» أن التحليل الخارجى لايؤدى الى بعض النتائج الايجابية وانه اذا ارشدنا الى الوثـائق الرديئة التى يجب عدم استخدامها انه لا يوقفنا على كيفية استخدام الوثائق الجيدة ولكن مع ذلك يجب الاعتدال فى النقد فان بعض دارسى الوثائق يغلون فى النقد فيرون التحريف والتزويروالطلاسم فى كل مكان على الرغم من وضوح النصوص التى يدرسونها ولذا يجب الوقوف عند حد معلوم والا انتهى الأمر الى الشك المطلق وهنــاك آخرون يفقدون لمجرد النقد وكلما انتهوا الى وثيقة بحثوا عن غيرها ظانين بأن التاريخ نوع من الرياضة العقلية وان أهمية الوثيقة لا تقاس بمـا تحتوى عليه من حقائق بما تثيره من صعوبات اهـ .

وليت المغرمين بنقد الحـديث على غير موازين والمغـرمين بتتبع الغربيين يستمعون الىسينيوبوس فانه يعيب على منيشك عند وضوح النص فما بال من يشك بوضوح النص وصاحبهوتوفر اسمىالمقاييس؟.

ثم ان أصحاب المنهج الحديث لم يطلقوه فى كل شىء بل ذكروا ان من وسائله العلوم المساعدة ــ ذهب دونو الى ضرورة بعض الدراسات

بوسيلة يستعين بها الباحث على فهم الوثائق التاريخية ومن هذه كتب كبار الكتاب والفلاسفة الذين يجب قراءة كتبهم « كهيرودوت ، وتاسيت وميكيافيلى ، وفلتير،ونص على ضرورة الاطلاع على انتاج كبار الفلاسفة والمؤرخين .

وقال « فريمان » يجب على المؤرخ أن يحيط علما بكل شيء فلسفة وقانونا واقتصادا وعلم اجناس وجغرافيا وعلوم طبيعة وذلك لأنه سوف يلقى فى أثناء قراءته للنصوص التاريخية أشياء من هذا القبيل وان كان سينيوبوس يرى أن من يقوم بدراسة الوثائق أشد مايكون حاجة الى بعض الفنون والعلوم اذ كيف تجدى الفلسفة اذا وقف المرء حائرا أمام احدى الوثائق التى يجهل لغتها أو يعجز عن حل رموزها .

والمهم أن سينيوبوس يحرم الأسراف فى النقد للنص الواضح كما أن « دونو » وفريمان ــ ولم يعارضهما سينيوبوس يقررون أن هناك من الكتب ماهى صحيحة معتمدة مسلم بصحتها عندهم ولم يرق اليها الشك بل هى تكون كوسيلة عند بعضهم لايضاح الشـك فى غيرها وتدعيم الباحث وهى كتب كبار كتابهم وفلاسفتهم الذين يجب قراءتها كما يقولون رغم أنها الفت من غير منهج ،فليت أعداء السنة يستمعون لذلك فيعترفون بعد تحقق قوة مقاييس المحدثين بالتسليم والوجوب بالاعتراف لصحة مثل كتاب البخارى حتى تكون لهم اصالة كغيرهم ولعلهم لا يرتاعون ويرمون بالتأخر من يقول بلفظ الوجوب بالاعتراف بالصـحة للكتب المرسومة بذلك بعدما سمعوا ممن يعتبـرون بأقوالهم من الغـربيين فى كتبهم التى لاتقاس ولاتوزن فى كفة صحيح البخارى أو غيره واتخذوا هذه الكتب مرجعا سليما لتصحيح ماارتابوا فيه من المسـائل العلمية التاريخية واهتموا بدراسة تلك المراجع ليستعينوا بها فى مهمتهم العلمية، الغربيون يقررون ذلك والناقدون للسنة ينقدون لمجرد الهوى والغرض ورغبة منهم فى ادعاء الوصول الى مالم يصل اليه غيرهم ولو بحثت الحال لوجدتهم بعيدين عن فقه الحديث ومصطلحاته وأساليبه وطرقه وكان من

الحرى بهم أن يدرسوا قبل أن ينقدوا وان يتعلموا قبل أن ينصبوا أنفسهم أساتذة على أساتذة الفن .

ونعود الى استكمال مراحل المنهج الأوروبى الحديث .

ثانيا ـ التحليل الداخلى :

يطلق هذا الاسم على مجموعة العمليات التى يستخدمها الباحث فى فهم محتويات الوثائق وتقدير الظروف التى أحاطت بكتابتها فهى خاصة بالتحقيق من صدق النص التاريخى من جهة الموضوع لامن جهة الشكل وهى ضرورية للسبب الآتى وهو أن الظواهر الماضية لا تقع تحت ملاحظتنا ولا يمكن الثقه بما يذكره الرواه عنها دون تمحيص أو نقض فان أخبارهم تحتمل الكذب والخطأ وتقوم عمليات هنا على أساس استعادة الخطوات التى مر بها الراوى منذ مشاهدته للحوادث حتى وقت تسجيلها كتابة .

والتحليل الداخلى نوعان : ايجابى وسلبى .

أ ـ التحليل الداخلى الايجابى : يستخدم هذا التحليل للتفرقة بين العناصر الاولية التى يحتوى عليها النص التاريخى تمهيدا لفهم كل عنصر على حده وللوقوف على المعنى الحقيقى الذى ترمى اليه الالفاظ والعبارات غير أن كثيرا من المؤرخين لايوجهون عناية كافيه الى هذه الناحية ويميلون الى قراءة النصوص قراءة سريعة للاقتباس منها دون تحديد المعانى الحقيقيه التى يرمى اليها الكاتب . حقا ربما لم تكن هناك ضرورة كبرى الى تحليل الوثائق الخاصة للعصور الحديثه تحليلا تاما وذلك لقرب لغتها من لغة المؤرخ لكن ليس الأمر كذلك فيما يتعلق بوثائق العصرين القديم والوسيط اذلا مندوحة للباحث حينئذ من الاعتماد على تحليل ايجابى دقيق فان لغته وتفكيره يختلفان اختلافا كبيرا عن لغة وتفكير كاتب الاصل التاريخى الذى يقوم بدراسته ، وهكذا نجد أنه يقرر بانه ربما لم تكن هناك ضرورة كبرى الى تحليل الوثائق الخاصة بالعصور الحديثة تحليلا تاما وذلك لقرب لغتها من لغة

المؤرخ ويكتفون بذلك فاين هذه من المناوله فضلا عن السماع عند البخاري والمحدثين .

ويقول سينيوبوس أنه من المحتمل أن تستخدم التورية أو الدعاية أو الفكاهة أو التعمية ولاشك فى أن هذه الأمور الأخيرة تختلف باختلاف العصور والحوادث التى يلمح اليها أو يتندر بها وتستخدم القاعدة الآتية فى التفرقة بين المعنى الظاهر والمعنى الحقيقى حينما يكون المعنى الحرفى غامضا أو غير مفهوم أو غير متجانس أو يتعارض مع آراء الكاتب أو الحوادث المعروفة لديه فانه يجب علينا أن نستنتج من ذلك انه يستخدم التورية ويمكن تحديد المعنى الحقيقى بالمقارنة بين الفقرات التى تحتوى على التعبير الذى يظن أنه ذو دلالة خفية ومع ذلك فليست نتائج المقارنة يقينية بحال ما

وهكذا لا يسرعون الى رفض النصوص بمجرد غموضها بل يلتمسون التورية والمجازات .

ب ـ التحليل الداخلى السلبى :

ويتمثل فى دراسة الظروف التى وجد فيها كاتب الوثيقه أو شهادة الآخرين الذين رأوا الظواهر أو الحوادث التاريخية كما تتمثل فى دراسة الأسباب الخارجية والبواعث النفسية الداخلية التى ربما دعته الى الكذب أو أدت به الى الخطأ والقاعدة العامة تنص على وجوب الشك فى كل راو حتى تتوفر بعض الأسباب القوية التى تدعو الى الثقة به ويحتاج تحليل الأصول التاريخية على هذا النحو الى مجهود كبير قد يصرف كثيرا من الباحثين عن اعطاء هذه المرحلة الأساسية حقها من العناية لكن العادة والدربة يخففان من مشقة هذا العمل ويكسبان المؤرخ نوعا من الحدس الذى يعينه على اصابة مواطن الريبة دون عناء كبير وقد حدد سينيوبوس القواعد العامة التى يجب اتباعها فى هذه الحالة ووضعها على هيئة مجموعتين من الأسئلة تسمى احداهما الدوافع التى تدعو الى الكذب وتسمى الأخرى البواعث التى ينشأ عنها الخطأ وتتكون المجموعة الأولى

من الاسئلة الآتية مع بعض الاقتصار على العناصر الهامة وسنجد أن أصول هذه المبادىء انما هي كما قرر الدكتور قاسم مأخوذة من رواة المحدثين «وشيخهم البخاري» مع قصور بالغ يجبرهم الواقع على عدم تحققه لاطالة الزمن من ناحية وعدم حراسة المعلومات منذ نشأتها من ناحية أخرى وعدم قداستها والتزامها المنهج فى الزمن الماضى كما قرر الأوربيون بأن سير التاريخ على غير منهج وكل ذلك بخلاف منهج المحدثين فى تراثهم النبوى وهذه هى أسئلة المجموعة الأولى :

١ ـ هل أراد صاحب الوثيقة تحقيق مصلحة خاصة وهل أراد أن يخدع القارىء وأن يحمله على القيام بفعل أو صرفه عنه ؟ وهل أورد أخبارا كاذبة لتحقيق هذا الغرض ؟.

٢ ـ هل كان الراوى ينتمى الى جماعة خاصة يميل الى نصرتها ويبرر سلوكها ويظهرها فى وضع مشرف ؟

٣ ـ هل وجد الراوى فى مركز أو ظروف أكرهته على الكذب ؟ وهذا مايحدث لكاتب الوثائق الرسمية عندما لايتفق الصدق مع السياسة العامة للدولة أو التقاليد أو الشعور العام وحينئذ يضطر الكاتب الى التمويه والى القول بان الظروف التى يؤرخ لها ظروف عادية .

٤ ـ هل جره الغرور بشخصه أو بجماعته الى الاختلاق والتحريف؟

٥ ـ هل أراد الراوى التقرب الى الجمهور وتملقه واثارة عواطفه وهل شوه الحوادث حتى يكون على وفاق مع آراء معاصريه ونزعاتهم وأهوائهم ولو كان لايشاركهم فى شىء من ذلك ؟ ولذا يجب الحذر من عبارات المجاملة والود والاخلاص اذ اننا نسارع عادة الى تصديق مثل هذه العبارات من معاصرينا .

٦ ـ هل حاول صاحب الوثيقة التأثير فى الجمهور بأسلوبه الأدبى وهل شوه الحقائق عندما ألبسها ثوبا أدبيا ؟ وهنا يجب تطبيق القاعدة التى تقول بوجوب الشك فى صدق الوثيقة كلما غلب عليها طابع الأدب أما المجموعة الثانية فتتكون من الأسئلة الآتية :

١ ــ هل كان الكاتب فى حالة عقلية تسمح له بملاحظة الحــادثة ؟ وهل سلم من تأثير بعض العوامل الداخلية اللاشعورية التى تدعو الى الخطأ كالوهم أو الهزيان .

٢ ــ هل تحققت الشروط العلمية فى ملاحظته ؟ وهل كان فى مكان يستطيع أن يرى منه الحوادث ؟ وهل كان خلوا من الهوى وهل فهم ماسمع أو رأى وهل خلط بين حوادث مختلفة .

٣ ــ هل أصدر حكمه على حوادث صرفه الكسل أو الاهمال عن ملاحظتها وهل ذكر أمورا لم يرها .

٤ ــ هل كانت طبيعة الحادثة تسمح له بملاحظتها ذلك لأن بعض الحوادث يحــاط بالكتمان كما أن بعضها الآخر لا يستطيع فرد واحد الاستقلال برؤيته كأحد المواقع أو كتطور عادة اجتماعية وفى هذه الحال لا يذكر الراوى ما يرى بل يستنبط ومع ذلك فليس من الممكن أن يتطرق الكذب أو الخطأ الى بعض الأخبار فمثلا لايكذب الراوى اذا كان الخبر الذى ينقله لا يتفق مع مصلحته أو عاطفته الشخصية أو الدينية أو اذا كانت الظاهرة التى يذكرها معروفة لدى جميع معاصريه ويقل احتمال الكذب اذا استمرت هذه الظاهرة مدة طويلة من الزمن أو شغلت مساحة واسعة بحيث يراها عدد كبــير من الناس وهــذه هى حال العادات الاجتماعية .

وينتهى التحليل الداخلى بنوعيه الى تقرير بعض النتــائج الجزئية المبعثرة المنعزلة وانما كانت كذلك لأنها تتصــل بأمور مختلفة تذكرها الوثائق دون ترتيب ومن وظيفة المؤرخ التركيب التاريخى ويتلخص فى ثلاث نقاط :

١ ــ تصنيف الظواهر وهو أن يجمع معلوماته وينظمها على أساس أزمانها وأماكنها ونسبتها الى جماعة أو الى أحد الأفراد وتلك هى أسهل طرق التصنيف وقد تبعها القدماء ومؤرخو عصر النهضة واما أن يصنفها على أساس طبيعتها الداخلية ويقسمها الى ظواهر لغوية وعلمية ودينية

الخ .. ويرجع الفضل فى ابتكار هذه الطريقة الى علماء الألمان واما أن يصنفها على أساس طبيعة الشروط الخاصة التى تتصل بمظاهر النشاط الانسانى كالعادات المادية كالمأكل والملبس والنظم الاجتماعية كالعائلة والطبقات .

٢ ـ الاجتهاد وقد اباحوا فى منهجهم الحديث أن المؤرخ له أن يستخدم الخيال لسد الفجوات فى التاريخ بشرط أن يكون مقيدا بنتائج التحليل والا لو كان الخيال مطلقا لم يؤد الاستنباط فى هذه الحالة الى نتائج جديرة بالثقة .

٣ ـ التعليل اذا انتهى المؤرخ من سد الفجوات والتحقق من صدق فروضه ، وبتطبيقها على النتائج الجزئية التى هداه اليها التحليل وجب عليه أن يربط هذه النتائج جميعا وذلك بأن يبين العلاقات التى توجد بينها وهذا هو معنى التعليل ثم المرحلة الأخيرة وهى مرحلة العرض ونظرة المحدثين الى التاريخ على أنه وصف للحضارة أى لمختلف مظاهر النشاط الانسانى غير اتجاههم فى طريقة عرضه فجعلوا يستخدمون أساليب واضحة بريئة من طابع الخطابة أو الانشاء أو الفلسفة ويرجع الفضل فى هذا الاتجاه الجديد الى المؤرخين الألمان الذين بدأوا محاولتهم على استحياء فى القرن التاسع عشر وبالجملة لم يعد العرض التاريخى يرمى الى امتاع القارىء أو اسداء النصح اليه أو اثارة عواطفه بل الى مجرد المعرفة وليس معنى هذا أن يتحرر المؤرخ من كل قيد فمن الواجب أن يستخدم لغة واضحة دقيقة حتى يستطيع تحديد تلك الظواهر الانسانية المرنة ويمكن القول بأن المؤرخ لا يمكنه الا اذا أجاد اللغة والا اذا ابتعد عن استخدم تلك الألفاظ التى تدل على معانى مجردة أدعى الى الغموض واللبس منها الى الوضوح ، أ.هـ .

واذا نظرنا الى هذا المنهج خاصة بالنسبة الى الرواة وهو ماسموه بالتحليل الداخلى يجد الباحث أنه مأخوذ من البخارى والمحدثين بالنسبة لنفس الفكرة الأساسية ولكنه عند المقارنة يفوقه منهج المحدثين والبخارى عرضا وموضوعا .

أما عرضا فقد أوجزوه فى كلمات ميسرة عامة شاملة فقد اشترطوا فى الراوى أن يكون مسلما ثقة عدلا ضابطا غير متبع لبدعة يدعو اليها.

وأما موضوعا فهذه الكلمات الموجزة تشتمل على ما قيل فى الرواة وتفوق عنها باشتراط الاسلام الذى هو أصل فى المقاييس ويضفى عليها الثقة بحق ، هذا بالنسبة للرواة أما بالنسبة لطرق التلقى فأين ماشرطوه فى الوثوق للوثائق على الاعتماد . الحفريات والأوراق المتناثرة هنا وهناك التى لايعترف بها المحدثون وقد تكون منذ آلاف السنين أين هذا من صيغ الآداء كالسماع والعرض والمناولة ولو شرطوا ذلك لما وصلهم شىء عن تاريخهم القديم والأوسط وكذا أكثر العصر الحديث ولما ثبتت عندهم كتبهم التى عدوها أصولا ثابتة لاتقبل الشك من كتب كبار علمائهم ومؤلفيهم الواجب الاطلاع عليها كما تقدم .

ويلاحظ أن القارىء يبهر حينما يقولون لابد من الشك حتى يتحقق الباحث من صدق جميع تفاصيل الوثيقة أو كذبها وهذا يحتاج الى تحليل الأصول التاريخية ثم بعد ذلك يكون الاستدراك الممتع الذى يخفف من شأن المسألة لقولهم لكن العادة والدربة تخففان من مشقة العمل ويكسبان المؤرخ نوعا من الحدس الذى يعينه على اصابة مواطن الريبة دون عناء كبير .

وأين هذا المنهج من منهج البخارى فى الدقة حيث يقول « كتبت (١) عن ألف ثقة من العلماء وزيادة وليس عندى حديث لا أذكر اسناده (٢) ».

وانظر الى منهج البخارى فى كتابه الحديث . أين هؤلاء منه. يقول لم تكن كتابتى للحديث كما كتب هؤلاء كنت اذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبه وحمل الحديث ان كان الرجل فهما فان لم يكن سألته أن يخرج الى أصله ونسخته أما الآخرون فلا يبالون بما يكتبون وكيف يكتبون وبما تقدم فى منهجه .

---

١ ــ تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٩ .
٢ ــ مقدمة شرح البخارى للنووى جـ ١ ص ٨ .

ومن من العلماء لايظن فى نفسه المهارة حتى يحكم حدسه كما يقول الأوربيون لكن البخارى والمحدثين لا يرتضون هذا المنهج مطلقاأساسا لبحثهم العلمى .

وهل سمعت بالمرحلة الثانية من مرحلة التركيب التاريخى وهى اباحة أن المؤرخ يستخدم الخيال لسد فجوات التاريخ بشرط أن يكون مقيدا بنتائج التحليل .

هل يرضى ذلك منهج البخارى والمحدثين ؟ . كلا والله .

ثم هناك فرق جوهرى هام بين منهج الأوربيين ومنهج البخارى والمحدثين فهؤلاء أصحاب المنهج الأوربى الحديث عليهم أن يطبقوا هذا المنهج بينهم وبين أنفسهم ويخرجوا به معلوماتهم التاريخية وما عليك الا ان تخبر بأنهم اتبعوا المنهج فتصدق ولا عليه من حرج اذا لم يوقفك على خطوات بحثه .

أما البخارى والمحدثون فهم يتبعون منهجهم الدقيق فى وصف الرواه وطرق الأداء وصلة الاسناد وفق الشروط التى شرطوها مما يتعذر استلزامه ووجوده عند الغربيين .

فالمحدثون يعرضون عليك المتن برواته حتى تستوثق به أو تبحث عنه فتراه موصولا فى مكان آخر وعند ثقات آخرين هذا فضلا عن قرب زمن التدوين فى عصر النبى وبعده الى عصر البخارى ومن بعده وأهمية الحديث وقداسته وحراسته، ومعرفتهم أهميته فى الدين والدنيا ومقاييسهم الفريدة وقد كان المستشرق المحقق مرجليوس (١) محقا حينما قال : ليفتخر المسلمون ما شاءوا بعلم حديثهم.

---

١ ـ مقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل لشيخ الاسلام ابى محمد عبد الرحمن ابن ابى حاتم الرازى ط دائرة المعارف العثمانية بحيدراباد الدكن بالهند .



الباب الثامن

مؤلفات البخاري

مؤلفات الامام البخارى

وللامام البخارى . غير الجامع الصحيح مؤلفات . فى تاريخ الرجال وأحوالهم ومؤلفاته هى خير دليل على سعة أفقه وأمانته ومقدرته فى معرفة أحوال الرواة وتقدمه على غيره فى هذا الشأن .

وخير شاهد يؤكد الثقة بصحة جامعه الصحيح والثقة فى كل مروياته .

التاريخ الكبير

وهو بحق على حد تعبير طبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٦١ هـ «تأليف الحافظ النقاد شيخ الاسلام جبل الحفظ وأمام الدنيا أبى عبد الله البخارى » .

***

رواية أبى الحسن محمد بن سهل بن كردى البصرى الفسوى عنه .

ورواية أبى أحمد عبد الوهاب بن محمد بن موسى الغندجانى عنه.

ورواية الشيخ الجليل أبى الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف عنه .

وقد حاول (١) فيه استيعاب الرواة من الصحابة فمن بعدهم الى طبقة شيوخه والكتاب ثمانية أجزاء فى أربعة مجلدات ضخمة ــ رتبه على

---

١ ــ انظر التاريخ الكبير فى دار الكتب المصرية تحت رقم ح ١٠٢٤٠. انظر الرسالة المستطرفة ص ٩٦ وتدوين السنة ص ٢٦٥ .

حروف المعجم وبدأه بالمحمدين تكريما لاسم الرسول صلى الله عليه وسلم ووفق الى حسن المطلع فباركه باسم الرسول صلى الله عليه وسلم ونسبه وقد جعل لكل اسم بابا ورتب الأسماء فى الباب الواحد على حروف المعجم وراعى هذا فى الحرف الأول من أسماء الآباء أيضا ولم يراع ترتيب أبواب الأسماء حسب حروف المعجم فذكر باب ابراهيم ثم باب اسماعيل ثم باب اسحاق ثم باب أيوب ثم باب اشعث ثم هكذا .

ويذكر اسم المترجم له وبعض من روى عنهم وبعض من روى عنه وقد يذكر حديثا له وقلما يذكر جرحا وتعديلا (١) ويبين الصحابى بالتنبيه عليه .

والتاريخ الكبير يعطى صورة واضحة عن سعة علم البخارى ومعرفته بالرواة ويضفى الثقة الكاملة على كتابه الجامع الصحيح حيث أن أى ناقد لم يبلغ مبلغه فى معرفة القوم فكأنه شهد القوم على حد تعبير استاذه اسحاق بن راهوية .

ويعجب الباحث من قوة هذه الموهبة التى حباها الله للبخارى والروحانية المباركة التى أمده الله بها حتى يعلم أن الله أفاضها عليه عند قبر صاحب الرسالة الروحانية النبى صلى الله عليه وسلم حيث ألفه حول المقام .

وقد ألف البخارى التاريخ الكبير فى مقتبل حياته قبل الجامع الصحيح .

يقول البخارى : فلما طعنت فى ثمانى عشرة سنة صنفت قضايا الصحابة والتابعين ثم صنفت التاريخ الكبير فى المدينة عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فى الليالى المقمرة وقل اسم فى التاريخ الا وله عندى قصة الا أنى كرهت أن يطول .

---

١ ــ ولعله استغنى عن ذلك بكتابه «الضعفاء والمتروكين» .

وقد قوبل التاريخ الكبير فى عصر البخارى من شيوخه ومن طبقتهم بالتقدير والاعجاب حتى أن شيخه الامام اسحاق بن راهوية لم يتمالك أن قام فدخل به على الأمير عبد الله بن طاهر فقال أيها الأمير ألا أريك سحرا (١) ؟.

وقال الاستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف وكتب التواريخ والرجال جمعت بين الثقات والضعفاء وهى كثيرة وفيها أحوال كثير من الوضاعين ومنها كتاب التاريخ الكبير للبخارى وقد ذكر بهأسماء رواة الحديث من عصر الصحابة الى زمنه وفيه نحو من أربعين ألفا مابين ثقة وضعيف ورجل وامرأة أ.هـ .

وقال التاج السبكى : انه لم يسبق اليه وكل من ألف بعده فى التاريخ والاسماء والكنى فعيال عليه وقد جمع الحاكم من ظهر جرحه ممن ذكرهم فكانوا نحوا من ١٢٦ رجلا .

ويصور لنا أبو أحمد الحاكم الكبير مدى أثر التاريخ فيما ألف من كتب ضخمة ذخرت بها المكتبات الاسلامية مثل كتب أبى زرعة وابن أبى حاتم ومسلم بن الحجاج والغسانى وغيرهم وقد حمل البخارى لواء نهضة تاريخ الرواة كما حمل لواء نهضة تدوين الحديث فأصبح بحق العصر الثالث العصر الذهبى والبخارى باعث نهضته فى تاريخ الرجال وتدوين الحديث .

يقول الحاكم : وكتاب محمد بن اسماعيل فى التاريخ كتاب لم يسبق اليه ومن ألف بعده شيئا فى التاريخ أو الأسماء أو الكنى لم يستغن عنه فمنه من نسبه الى نفسه مثل أبى زرعة وأبى حاتم ومسلم ومنهم من حكاه عنه فالله يرحمه فانه الذى أصل الأصول .

وفى تذكرة الحفاظ على مافى مقدمة المعلمى لتقدمة الجرح والتعديل عن أبى أحمد الحاكم الكبير أنه ورد الرى فسمعهم يقرأون على بن أبى حاتم كتاب الجرح والتعديل قال :

---

١ ــ سير أعلام النبلاء للذهبى جـ ٨ مخطوط بدار الكتب المصرية .

« فقلت لابن عبدوية الوراق هذه ضحكة أراكم تقرأون كتـاب التاريخ للبخارى على شيخكم وقد نسبتموه الى أبى ذرعة وأبى حاتم فقال ياأبا أحمد ان ابا زرعة وأبا حاتم لما حمل اليهما تاريخ البخارى قالا هذا علم لايستغنى عنه ولا يحسن بنا أن نذكره عن غيرنا فاقعدا . وعبد الرحمن يسألهما عن رجل بعد رجل وزادا فيه ونقصا » .

وعلق المعلمى بقوله لاريب ان ابن أبى حاتم هذا فى الغالب حـذا حذو البخارى فى الترتيب وسياق كثير من التراجم وغير ذلك لكن هذا لايغض من تلك المزية العظمى وهى التصريح بنصوص الجرح والتعديل ومعها زيادة تراجم كثيرة .

وحاول أن يبرز قيمة كتاب الجرح والتعديل وشخصية صاحبه فيه بأنه تكميل وبه زيادات ونقص وهو كتاب رائع وعظيم لاشك فى ذلك .

ولست أنقص من قيمة كتاب الجرح والتعديل بل كلما زادت قيمـة كتاب الجرح والتعديل ازدادت النظرة التقديرية الى أصله كتاب التاريخ الكبير للبخـارى .

وقد بين الاستاذ المعلمى فى تحليل رائع ما يؤيد ذلك وبين عذر ابن أبى حاتم فى عدم ذكر آراء البخارى .

كما بين أن علم والده انما يرجع الى علم التاريخ الكبير قال «حرص ابن أبى حاتم بارشـــاد زينك الامامين (أبى زرعة ووالده محمد بن ادريس) على استيعاب نصوص أئمة الفن فى الحكم على الرواة بتعديل أو جرح وقد جعل فى يده ابتداء نصوص ثلاثة من الأئمة وهم أبـوه وأبو زرعة والبخارى أما أبوه وأبو زرعة فكان يسائلهما فى أغلب التراجم التى اثبتها فى كتابه ويكتب جوابهما واما نصوص البخارى فانه استغنى عنها بموافقة ابيه للبخارى فى غالب تلك الاحكام .

« ومعنى ذلك ان أبا حاتم كان يقف على ما حكم به البخارى فيراه صوابا فى الغالب فيوافقه عليه فينقل عبد الرحمن كلام أبيه » .

ثم بين الأستاذ المعلمى أيضا السبب المباشر فى عدم ذكر البخارى ونسبة أحكامه اليه «ويمكن ان تعتبره سببا شخصيا أو سياسيا» فقال

(وكان محمد ابن يحيى الذهلى قد كتب اليهم فيما جرى للبخارى فى مسألة القرآن على حسب ما يقوله الناس على البخارى كما ذكره ابن أبى حاتم فى ترجمة البخارى فى كتابه فكأنه هذا هو المانع لابن أبى حاتم من نسبة أحكام البخارى اليه .

فعلى كل حال فالمقصود حاصـل رحم الله مؤصل الأصول الامام البخارى ورحم الله من اقتفى أثره فقدم للاسلام خيرا .

والتاريخ الكبير طبع بمطبعة حيدر أباد الدكن بالهند طبعته جمعية دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٦١ هـ ـ ١٣٦٢ هـ فى أربعة مجلدات ضخمة جيدة على ورق جيد .

كتاب التاريخ الصغير

وهو كما عرفه الامام البخارى رضى الله عنه .

كتاب مختصر من تاريخ النبى صـلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار وطبقات التابعين لهم باحسـان ومن بعدهم ووفاتهم وبعض نسبهم وكناهم ومن رغب فى حديثه .

وابتدأ الجزء الأول بالتحدث عن أخبار مهاجرى الحبشة وآخره التحدث على من مات فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ممن حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن مات فى خـلافة أبى بكر رضى الله عنه ومن بعده من الخلفاء وتلاه الجزء الثانى وبه ذكر من مات فى خلافة عثمان وهكذا الى آخر الجزء السادس وبه ذكر من مات فى سنة ست وخمسين ومائتين .

وهو رواية أبى ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الهروى ـ والحافظ قال أخبرنا أبو على زاهر بن احمد الفقيه السرخسى بها قراءة

---

١ ـ والتاريخ الصغير طبع فى الهند بالخط الحجرى سنة ١٣٢٥ هـ الطبعة الاولى اعتنى بطبعـه وتصحيحه العبد المسكين محمد محيى الدين الجعفرى الزينبى وقدم له الاستاذ محمد حامد على والكتاب بمكتبة الازهر رقم ٣٥٠ تاريخ .

عليه سنة ٣٨٩ تسع وثمانين وثلاثمائة قال أخبرنا أبو محمد بن محمد النيسابورى قال حدثنا محمد بن اسماعيل البخارى .

كتاب الضعفاء الصغير(١)

ابتدأه مرتبا على حسب الحروف الهجائية مبتدئا بحرف الألف .

قال ابراهيم بن اسماعيل بن مجمع بن جارية الانصارى يروى عنه وهو كثير الوهم يروى عن الزهرى وعمرو بن دينار يكتب حديثه .

ابراهيم بن اسماعيل بن أبى حبيبه المدنى الانصارى الأشهلى عن داود بن الحصين ـ منكر الحديث .

وبعد أن انتهى من باب ابراهيم جاء بباب من اسمه اسماعيل ثم من اسمه اسحاق ثم أيوب ثم باب الباء وهكذا الى باب الياء وجاء فى آخره بالكنى من الضعفاء .

قال أبو بكر بن عبد الله بن أبى سيرة المدنى ـ ضعيف ـ أبو الرجال سمع النضر بن النضر بن أنس عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم منكر الحديث عنده عجائب ، أبو ماجد الحنفى عن بن مسعود ويقال العجلى قال الحميدى عن بن عيينه عن يحيى ـ (هو منكر الحديث) .

كتاب الكنى (٢)

وقد ذكر البخارى فيه كنى من غلبت كنيته على اسمه ومن لم يعرف الا كنيته وابتدأ بحسب ترتيب الحروف الهجائية بعد لفظ أب أو أم ذكر فيه أولا : باب أبو أميمه بن الأخنس قال قبيصه عن أبى سلمه بن شقيق المخزومى عن أبى أميمه بن الأخنس عن عمر فى الموضحه قال أنا لا تتعاقل المضغ بيننا .

---

١ ـ وكتاب الضعفاء طبع فى الهند تصحيح محمد حامد على ومحمد محيى الدين الجعفرى وهو فى مجلد واحد مع كتاب التاريخ الصغير ومع كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائى فى مكتبه الازهر تحت رقم ٣٥٠ تاريخ .

٢ ـ فى المكتبة الازهرية تحت رقم ٣٥١٨ تاريخ ـ طبع دائرة المعارف العثمانية الاصفية حيدر آباد الدكن بالهند سنة ١٣٦٠ هـ .

ثانيا : أبو أميمة المخزومى ان النبى صلى الله عليه وسلم أتى بلص فاعترف فلم يوجد معه متاع فقال : ما أخالك سرقت ؟.. قال بلى قال ما أخالك سرقت ؟ مرتين أو ثلاثة قال بلى قال اقطعوه ثم جيء به فقال استغفر الله وتب اليه فقال استغفر الله وأتوب اليه قال اللهم تب عليه قاله موسى بن اسماعيل عن حماد بن سلمه عن اسحاق ابن عبد الله بن أبى طلحة عن أبى المنذر مولى أبى ذر ، وقال حيان أنبأنا هسام سمع أسحاق عن أبى المنذر البراد عن أبى أميمه رجل من الانصار عن النبى صلى الله عليه وسلم ونحوه .

وبعد أن انتهى من الألف جاء بالباء والتاء الى آخره . ويذكر أحيانا الاسم مثال ذلك ترجمة رقم ٩٦٦ أبو ريحانه اسمه عبد اللهوذكر فيه فى الرجال ٩٩٣ رجلا .

وفى آخره الكنى من النساء واسم أم هانىء بنت أبى طالب هند وقال بعضهم اسمها فاخته واسم أم سلمة هند بنت أبى أميمة ــ وأبو أمية اسمه سهل واسم أم حبيبه رمله وفى آخره هذا آخر كتاب التاريخ الكبير على حروف المعجم وفى آخره الكنى وذكر من غلبت كنيته على اسمه ، وعلى ذلك فهو جزء من التاريخ الكبير .

تصنيف أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى رحمه الله

وبآخر الكتاب بحث عن كتاب الكنى للامام البخارى بقلم الأستاذ الناقد فى الرجال الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليمانى المعلمى .

ومن خلاله يتبين اعتماد الأئمة كالأمام مسلم بن الحجاج وابن أبى حاتم والحاكم وابن عبد البر فى تاريخ الرجال على الامام البخارى كما يتبين منه صلة كتاب الكنى بالتاريخ الكبير وعناية العلماء بمؤلفات البخارى .

قال الشيخ عبد الرحمن المعلمى أما بعد فان جمعيتنا العلمية دائرة المعارف العثمانية لما اعتزمت طبع كتاب التاريخ الكبير للامام أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى رحمه الله تعالى ظفرت بالجزء الرابع منه فى الخزانة الآصفية بحيدر أباد الدكن فسارعت الى استنساخه

ثم بعد البحث والتنقيب علم بأن فى بعض مكاتب استامبول نسخة من الكتاب . وفى المكتبه المصرية نسخه أخرى فاستحصلت الجمعية على صورة مأخوذة منها وعند المقابلة تبين أن المصرية منقولة عن الاستامبولية ووجد فى آخر المجلد الرابع من النسخه الآصفية زيادة مشتملة على الكنى لاتوجد فى الاسلامبولية مع أن فى آخر الاسلامبولية ما لفظه «كمل جميع كتاب التاريخ الكبير» .

وذلك صريح فى أن أبواب الكنى المتصلة بآخر النسخة الآصفية كتاب مستقل عن التاريخ .

ولكن الذى تبين بأمعان النظر أن هذا الجزء المشتمل على الكنى تأليف البخارى قطعا وانه ان لم يكن قطعة من التاريخ فهو تتمة له .

فأن ابن أبى حاتم مع اقتفائه فى ترتيب كتابه أثر البخارى فى التاريخ غالبا قال فى أواخره (باب ذكر من روى عنه العلم ممن عرف بالكنى ولا يسمى) ثم أقتفى فى الترتيب أثر البخارى فى هذا الجزء غالبا وربما سماه (أى البخارى) كقوله أبو المعلى بن رؤبه كما قاله البخارى فى كتابه .

وبالمراجعه وجد ذلك فى الكنى رقم ٦٨٥ كما ذكره البخارى ووجدنا ابن عبد البر فى الكنى من الاستيعاب ربما نقل عن هذا الجزء فيما يظهر كقوله فى الترجمه (أبو خالد ذكره البخارى قال وقال وكيع عن الاعمش عن مالك ابن الحارث عن أبى خالد وكانت له صحبه قال وفدنا الى عمر رضى الله عنه ففضل أهل الشام) .

وتجد هذه العبارة بتغيير يسير فى الترجمة رقم ٢٢٣ من هذا الجزء ا هـ وقد رجعت اليها كما أرشد الشيخ عبد الرحمن فوجدتها عند البخارى على الوجه الآتى ٢٢٣ . أبو خالد له صحبه وسمع عمر روى عنه مالك بن الحارث قال عبد الله بن محمد العبسى حدثنا وكيع عن الأعمش عن مالك بن الحارث عن أبى خالد وكانت له صحبة قال وفدت الى عمر ففضل أهل الشام علينا فى الجائزة ا هـ وهكذا كل ما أشار اليه الشيخ عبد الرحمن راجعته فوجدته مطابقا .

قال الشيخ وقد نقل ابن حجر فى كتبه كثيرا عنها تارة يسميها الكنى المفردة وتارة يسميها الكنى المجردة .. وربما اقتصر على قوله كتاب الكنى أو الكنى أو ذكره البخارى فقط ويظهر من مواضع فى كلامه أنه وقف على هذا الكلام وفى مواضع انه ينقل عنه بواسطة كتاب الكنى للحاكم أبى احمد كأنه كان فى نسخته نقص .

وقد عد فى مقدمة الفتح تصانيف البخارى الى أن قال « وكتاب الكنى ذكره الحاكم أبو أحمد ونقل منه » (١) .

قال (٢) أبو أحمد الحاكم فى الكنى قال مسلم أبو بشر — يعنى بالمعجمه — قال وقد بينا أن ذلك خطأ أخطأ فيه مسلم وغيره وخليق أن يكون محمد—يعنى البخارى قد اشتبه عليه مع جلالته فما نقله مسلم من كتابه تابعه عليه ومن تأمل كتاب مسلم فى الكنى علم أنه منقول من كتاب محمد حزو القذة وتجلد فى نقله حق الجلاده اذ لم ينسبه الى قائله والله يغفر لنا وله .

قال الشيخ عبد الرحمن أقول قول الحاكم أبى أحمد (ومن تأمل كتاب مسلم فى الكنى علم أنه منقول من كتاب محمد) يعنى البخارى اراد بكتاب البخارى التاريخ مع هذا الجزء — نقل مسلم كنى من عرفت أسماؤهم من التاريخ وكنى من لم تعرف أسماؤهم من هذا الجزء وقد علمت تسمية الحافظ ابن حجر لهذا الجزء (الكنى المفرده) أو (الكنى المجرده) والاسم الأول يقتضى انها ليست من التاريخ لأن معناه الكنى المفرده عن التاريخ كما سموا الأدب للمؤلف (الأدب المفرد يريدون المفرد عن الجامع الصحيح والاسم الثانى محتمل والظاهر أن معناه الكنى المجردة عن الأسماء أى أنها فيمن لم تعرف الا كنيته مجردة عن الاسم وذلك بالنظر الى الغالب .

وبالجملة فعبارة الحاكم أبى أحمد (علم انه منقول من كتاب محمد الخ) وأراد ما يشمل اصل التاريخ وهذا الجزء مع ما يدل عليه صنيع

---

١ — مقدمة فتح البارى .

٢ — تهذيب التهذيب ص ٣٥٨ .

ابن أبى حاتم كما تقدم ظاهر فى أن هذا الجزء ان لم يكن من التاريخ فهو تتمة له والله أعلم .

كتاب الأدب المفرد(١)

ذكر فيه البخارى جملة من الأحاديث النبوية الداعية الى مكارم الاخلاق وحسن المعاملة وابتدأه بعد البسملة بباب قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا) .

أخبرنا أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسن بن حامد بن هارون ابن عبد الجبار البخارى المعروف بابن النيازكى قرأه عليه فأقر به قدم علينا حاجا فى صفر سنة سبعين وثلاثة مائة قال أخبرنا أبو الخير أحمد بن محمد بن الخليل بن خالد بن حريث البخارى الكرمانى العبقسى البزار سنة اثنين وعشرين وثلاثمائه قال حدثنا أبو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ابن المغيره بن الاحنف الجعفى البخارى قال حدثنا أبو الوليد قال حدثنا شعبة قال الوليد بن العيز أو أخبرنى قال سمعت أبا عمرو الشيبانى يقول حدثنا صاحب هذه الدار وأومأ بيده الى دار عبد الله قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم أى العمل أحب الى الله عز وجل قال الصلاة على وقتها قلت ثم أى قال برالو الدين قلت ثم أى قال ثم الجهاد فى سبيل الله قال حدثنى بهن ولو استزدته لزادنى .

حدثنا آدم قال حدثنا شعبه قال حدثنا يعلى بن عطاء عن أبيه عبدالله ابن عمر قال رضا الرب فى رضا الوالد وسخطه فى سخط الوالد (باب بر الأم) حدثنا أبو عاصم عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قلت يا رسول الله من أبر ؟ قال أمك قلت ثم من أبر ؟ قال أمك قلت من أبر؟ قال أمك قلت من أبر قال أباك ثم الأقرب فالأقرب .

حدثنا سعيد بن أبى مريم قال أخبرنا محمد بن جعفر بن أبى كثير قال أخبرنى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس أنه أتاه رجل

---

١ ـ انظر كتاب الادب المفرد طبع فى المطبعة التازية لصاحبها عبد الواحد محمد التازى الطبعة الاولى ٣ صفر سنة ١٣٤٩ هـ . والادب المفرد شرحه محب الدين الخطيب طبع المكتبة السلفية .

فقال انى خطبت امرأة فأبت ان تنحكنى وخطبها غيرى فأحبت أن تنكحه فغرت عليها فقتلتها فهل لى من توبة . قال أمك حية قال لا قال تب الى الله عز وجل وتقرب اليه ما استطعت فذهبت فسألت ابن عباس لم سألته عن حياة أمه فقال انى لا أعلم عملا أقرب الى الله عز وجل من بر الوالدة

(باب بر الأب) حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا وهيب بن خالد بن شريحة قال سمعت أبا زرعة عن أبى هريرة قال قيل يا رسول الله من أبر قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أباك .

قال حدثنا بشر بن محمد قال أخبرنا يحيى بن أيوب قال حدثنا أبو زرعة عن أبى هريرة أتى رجل نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تأمرنى قال بر أمك ثم عاد فقال بر أمك ثم عاد فقال بر أمك ثم عاد الرابعة فقال بر أمك ثم عاد الخامسة فقال بر آباك .

(باب بر والديه وان ظلما) حدثنا حماد وهو ابن سلمه عن سليمان التيمى عن سعيد القيسى عن ابن عباس قال ما من مسلم له والدان مسلمان يصبح اليهما محتسبا الا فتح بابين يعنى من الجنة وان كان واحدا فواحدا وان أغضب أحدهما لم يرض الله عنه حتى يرضى عنه قيل وان ظلماه قال وان ظلماه .

(باب لين الكلام لوالديه) ثم باب جزاء الوالدين وباب عقوق الوالدين وباب لعن الله من لعن والديه وباب بر والديه ما لم يكن معصية وهكذا وآخر الكتاب باب أحبب حبيبك هونا ما .

حدثنا عبد الله قال حدثنا مروان بن معاوية قال حدثنا محمد بن عبيد الكندى عن أبيه قال سمعت عليا يقول لابن الكراء هل تدرى قول النبى صلى الله عليه وسلم أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما

(باب لا يكن بغضك تلفا) حدثنا سعيد بن أبى مريم قال أخبرنا محمد ابن جعفر قال حدثنا زيد بن أسلم عن أبيه عمر بن الخطاب قال لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا فقلت كيف ذلك قال اذا أحببت كلفت كلف الصبى واذا أبغضت أحببت لصاحبك التلف .

ويروى الأدب المفرد عن البخارى أبو الخير احمد بن الجليل البخارى الكرمانى البزار وقد طبعة طبعة حجرية ببلد آره بالهند سنة ١٣٠٩ هـ ثم طبع بالآستانه بهامشه سند أبى حنيفة سنة ١٣٠٩ هـ وبالقاهرة فى مطبعة التازى سنة ١٣٤٩ هـ وهى النسخة الموجودة معى ثم بالسلفية سنة ١٣٧٥ هـ مع تقديم الاستاذ محب الدين الخطيب وتعليق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى .

وهو يقع فى طبعة التازى فى مائة واحدى وتسعين صفحة قال فيه الحافظ ابن الحجر فى فتح البارى وكتاب الأدب المفرد يشتمل على أحاديث زائدة على ما فى الصحيح وفيه قليل من الآثار الموقوفة وهو كثير الفائدة ..

والأدب استعمال ما يحمد قولا وفعلا وعبر بعضهم عنه بأنه الأخذ بمكارم الأخلاق وقيل الوقوف مع المستحسنات وقيل تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك . ويقال أنه مأخوذ من المأدبة وهى الدعوة الى الطعام سمى بذلك لأنه يدعى اليه أ هـ .

***

وقد قال محقق كتاب الأدب طبعة التازى الأستاذ محمد عياد الطنطاوى الخمسى أحمد المولى الصمد وأصلى على سيدنا محمد وبعد: قد وفقنى الله لتصحيح الكتاب الأوحد المسمى الأدب المفرد فاذا به كتاب وايم الله لو اقتصر المرء على بعض ما فيه من الاخلاق لكفاه عن سائر ماصنف فى بابه على الاطلاق كيف لا وناسجه من لانظير له ولا اخال أن الزمان يسمح بمثله فى هذه السويعات القادمة ، أمام السنة ومنقذالأمة حامل لواء السمحه الغراء ومقوم تاريخ الشريعة البيضاء أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن بردزبه البخارى الجعفى رحمه الله (وأنى لمثل أن يعرف بمثله ماذا تصنع الصعاليك عند الملوك) فلو لم تسطر يده غير هذا

الأدب المفرد الذى طابق اسمه مسماه بل وأزيد لكان كافيا لكل باحث
عن دينه الصحيح المنقب عما يوصله للسعادتين راحته فى ذى الدار من
عدم الاشتغال بأحوال العباد واقتصاره على ما ينجو به يوم الميعـاد
فهو بغية ما يقتفى وخلاصة ما يقتنى فعليك به ايها المؤمن تنجح والزم
مطالعته والعمل به تربح فليس الخبر كالعيان وعلى الله التكلان أ ـ هـ .

من مؤلفات البخارى

رفع اليدين فى الصلاة

طبع الهند موجود بدار الكتب المصرية رقم ٢٣٣٢٧ب

خير الكلام فى القراءه خلف الامام

طبع الهند ثم الخيرية فى القاهرة

التاريخ الأوسط كما ذكره كشف الظنون

كتاب الاشربة ذكره الدارقطنى على ما فى الكشف

أسامى الصحابه كما فى الكشف

بر الوالدين كما ذكره ابن حجر

التفسير الكبير للقرآن : موجود بمكتبه الجزائر كما فى دائرة المعارف الاسلامية وفى مكتبة باريس كما ذكره المستشرق بروكلمان على ما فى أدب اللغـــة ـــ

الجامع الكبير كما فى الكشف

خلق افعال العباد كما فى الكشف وقد طبع مع كتاب العلو للذهبى

كتاب العلل فى الحديث ذكره الكتانى فى المستطرفة

قضايا الصحابة والتابعين كما فى تاريخ بغداد

كتاب المسند الكبير كما فى مقدمة الفتح

كتاب الوحدان وهو من ليس له الا حديث واحد كما فى الفتح

كتاب المبسوط كما فى المقدمة

كتاب الهبة كما فى المقدمة

مشيخته ذكر فيه الشيوخ الذين أخذ عنهم كما ذكره ابن السبكى فى الطبقات

وذكر ابن النديم فى الفهرست كتاب سنن الفقهاء للبخارى ولم اره لغيره فى المراجع الأخرى.

وفاة البخارى

وفى السنة الثانية والستين من حياة هذا الامام العظيم خرج الى خرتنك ــ قرية من قرى سمرقند ــ فنزل ضيفا على غالب بن جبريل وهو من ذوى قرباه قال غالب فسمعته ليلة وقد فرغ من صلاة الليل يقول فى دعائه « اللهم قد ضاقت على الأرض بما رحبت فاقبضنى اليك » . واقام فى خرتنك أياما فمرض . حتى وجه اليه رسول من أهل سمرقند يلتمسون منه الخروج اليهم فأجاب وتهيأ للركوب ولبس خفيه وتعمم فلما مشى عشرين خطوه أو نحوها الى الدابه ليركبها وأنا آخذ بعضده قال : « أرسلونى فقد ضعفت » فأرسلناه فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى وكان ذلك ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ بعد أن ملأ الدنيا نورا بأحاديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم وترك الأثر الخالد الذى ينير الطريق أمام البشرية ويهديها الصراط المستقيم . رحمه الله رحمة واسعه وجزاه عن المسلمين وعن الانسانية بقدر ماقدم من خير .

مراجع الكتاب المطبوعة

اسم الكتاب :

١ ــ الجامع الصحيح للبخاري .

٢ ــ فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني .

٣ ــ عمدة القاري شرح صحيح البخاري للبدر العيني .

٤ ــ ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني .

٥ ــ الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني .

٦ ــ شرح البخاري للامام النووي ومعه عون الباري لصديق بن حسن القنوجي .

٧ ــ فيض الباري على صحيح البخاري للمحدث الشيخ محمد أنور الكشميري ثم الديوبندي ومعه حاشية البدر الساري الى فيض الباري الأستاذ محمد بدر عالم الميرتهي من أساتذة الحديث بالجمعية الاسلامية بدابهيل .

٨ ــ الأدب المفرد للبخاري .

٩ ــ التاريخ الكبير للبخاري .

١٠ ــ التاريخ الصغير للبخاري .

١١ ــ كتاب الضعفاء للبخاري .

١٢ ــ كتاب الكنى للبخاري .

١٣ ــ مقدمة تنزيه الشريعة عن الأخبار الموضوعة لأبي الحسن على بن محمد الكتاني ــ تحقيق الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف .

١٤ ــ هدى الساري مقدمة فتح الباري لابن حجر .

١٥ ــ تقدمة المعرفة لشيخ الاسلام أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم مع تقديم الأستاذ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني .

١٦ ــ مفتاح صحيح البخاري للتوقادي .

١٧ ــ رفع الالتباس عن بعض الناس .

١٨ ــ الطبقات الكبرى لابن سعد .

١٩ ــ اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير .

٢٠ ـ أصول الفقه ـ طه عبد الباقي الدسوقي .
٢١ ـ العقيدة والشريعة للمستشرق جلد تسيهر ـ ترجمة الدكتور محمد يوسف وزملائه .
٢٢ ـ السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي للدكتور مصطفى السباعي.
٢٣ ـ الحديث والمحدثون للأستاذ محمد أبو زهو .
٢٤ ـ صحيح مسلم بشرح النووي .
٢٥ ـ تدريب الراوي على تقريب النوواي للسيوطي ـ تقديم وتعليق الدكتور الأستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف .
٢٦ ـ منهج ذوي النظر لمحمد محفوظ الترمسي ومعه شرح منظومة علم الأثر للسيوطي .
٢٧ ـ علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح ومعه التقييد والايضاح للعراقي .
٢٨ ـ الأم للامام الشافعي .
٢٩ ـ الرسالة للامام الشافعي .
٣٠ ـ تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة .
٣١ ـ قواعد التحديث للقاسمي .
٣٢ ـ مقدمة ابن خلدون .
٣٣ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر .
٣٤ ـ جامع بيان العلم لابن عبد البر .
٣٥ ـ تهذيب الأسماء واللغات للنووي .
٣٦ ـ شرح تراجم أبواب صحيح البخاري لمولانا شاه ولي الله الدهلوي.
٣٧ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي .
٣٨ ـ طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب ابن تقي الدين السبكي .
٣٩ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي .
٤٠ ـ تحفة الباري بشرح صحيح البخاري لشيخ الاسلام زكريا الأنصاري السنيكي الشرقاوي .
٤١ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي .
٤٢ ـ هدية المغيث في أمراء المؤمنين في الحديث للشنقيطي .
٤٣ ـ رفع اليدين في الصلاة للبخاري .
٤٤ ـ تاريخ حياة البخاري للقاسمي .

٤٥ ـ حاشية التاودى .
٤٦ ـ روح التوشيح على البخارى لعلى بن سليمان الدلنتى الجامعوى.
٤٧ ـ تأويل مختلف الحديث للرد على أعداء أهل الحديث لابن قتيبة .
٤٨ ـ دائرة المعارف الحديثة .
٤٩ ـ دائرة المعارف البستانية .
٥٠ ـ نهاية الارب لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى .
٥١ ـ مسند الامام أحمد وبهامشه كنز العمال لعلاء الدين على بن الحسام .
٥٢ ـ موطأ الامام مالك ـ شرح الزرقانى ـ تقديم محب الدين الخطيب.
٥٣ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى .
٥٤ ـ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب .
٥٥ ـ البداية والنهاية لابن كثير .
٥٦ ـ وفيات الأعيان وأنباء الزمان لابن خلكان .
٥٧ ـ تاريخ الاسلام للذهبى .
٥٨ ـ الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر .
٥٩ ـ معجم المؤلفين ـ تأليف عمر رضا كحاله .
٦٠ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفة ـ تعليق محمد شرف الدين المدرس بجامعة استنبول .
٦١ ـ رجال الفكر والدعوة لأبى الحسن الندوى
٦٢ ـ السنة قبل التدوين لمحمد عجاج الخطيب .
٦٣ ـ اطوار الثقافة والفكر فى ظلال العروبة والاسلام للأستاذ على الجندى وزملائه .
٦٤ ـ المنهج الحديث فى علوم الحديث قسم المصطلح للأستاذ محمد السماحى .
٦٥ ـ المنطق الحديث ومناهج البحث للدكتور محمود قاسم .
٦٦ ـ المنهل الحديث فى علوم الحديث للأستاذ عبد العظيم الزرقانى.
٦٧ ـ شروط الأئمة الخمسة للحازمى ـ تعليق الكوثرى
٦٨ ـ ترجمة جامع صحيح البخارى لمحمد بن الدمشقى
٦٩ ـ حجة الله البالغة لولى الله الدهولى .

٧٠ ـ الفقه على المذاهب الأربعة للجزيرى .
٧١ ـ فجر الاسلام للأستاذ أحمد أمين .
٧٢ ـ ضحى الاسلام للأستاذ احمد أمين .
٧٣ ـ مفتاح السنة للأستاذ عبد العزيز الخولى .
٧٤ ـ أبو هريرة راوية الاسلام لمحمد عجاج ـ سلسلة المؤسسة المصرية لأعلام العرب .
٧٥ ـ مالك تجارب حياة للأستاذ أمين الخولى .
٧٦ ـ ابن قتيبة للدكتور عبد الحميد سند الجندى ـ سلسلة المؤسسة المصرية لأعلام العرب .
٧٧ ـ اضواء على السنة المحمدية ـ للأستاذ محمود أبوريه .
٧٨ ـ منهاج السنة لابن تيمية .
٧٩ ـ النور السارى من فيض صحيح البخارى للشيخ حسن العدوى.

المراجع المخطوطة :

٨٠ ـ المدخل للحاكم ـ مخطوط بدار الكتب .
٨١ ـ سير أعلام النبلاء للذهبى ـ مخطوط بدار الكتب المصرية .
٨٢ ـ النكت وهو مختصر فتح البارى لابن حجر ـ مخطوط بمكتبة الأزهر .
٨٣ ـ تغليق التعليق لابن حجر ـ مخطوط بمكتبة الأزهر .
٨٤ ـ دروس فى الكلام على الجامع الصحيح لعبد الرحمن الشهير بابن الغزى ـ مخطوط بدار الكتب المصرية .
٨٥ ـ ثلاثيات البخارى ـ جمع الشيخ أحمد العجمى ـ مخطوط بمكتبة الأزهر .
٨٦ ـ الرموز اليونينية للعلامة أبى الحسين محمد على بن محمد بن احمد المعروف باليونينى على هامش نسخته من الجامع الصحيح مخطوط بالأزهر .
٨٧ ـ شرح ابن بطال المالكى المغربى القرطبى ـ للجامع الصحيح بالأزهر .
٨٨ ـ التوشيح على الجامع الصحيح للسيوطى ـ مخطوط بالأزهر .
٨٩ ـ اسماء شيوخ البخارى ومسلم لابن خلفون الأزدى ـ مخطوط بالأزهر .
٩٠ ـ غاية المرام فى رجال البخارى الى سيد الأنام للبازلى الكردى الحموى الشافعى ـ مخطوط بالأزهر .

٩١ ــ أحاديث الأحــكام فيما اتفق عليه الامامان البخارى ومســلم « لم يعلم مؤلفه مخطوط بدار الـكتب المصرية » .

٩٢ ــ الجمع بين الصحيحين للبخارى ومســلم ــ تاليف ابى محمــد عبد الحميد الاسدى الأندلسى ــ مخطوط بدار الـكتب .

٩٣ ــ عمدة الأحكام فيما اتفق عليه الامامان البخارى ومسلم لتقى الدين عبد الغنى ــ مخطوط بدار الـكتب .

٩٤ ــ الرسالة المستطرفة لبيان كتب السنة المشرفة للكتانى ــ مخطوط بدار الـكتب .

٩٥ ــ معرفة علوم الحديث للنيسابورى ــ مخطوط بدار الكتب .

٩٦ ــ شرف أصحاب الحديث ــ مخطوط بدار الكتب .

٩٧ ــ المستدرك على الصحيحين للحاكم ــ مخطوط بدار الكتب .

فهرست

رقم الصحيفة

رقم الصحيفة

رقم الصحيفة

رقم الصحيفة

رقم الصحيفة



الدار القومية للطباعة والنشر

الدار القومية للطباعة والنشر

الثمن ٧٥ ص

